

شهادة قرآنية خالطة



رَسُولُ اللَّهِ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

جمع وإعداد

حسن إسماعيل

محمد رسول الله ﷺ

في القرآن الكريم

شهادة قرآنية خالصة

خير الكلام ما قل ودل

حينما فكرت أنا أعد هذا الكتاب عن رسول الله وخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام خاتني يداي وقواي وهي لم تخني مطلقاً منذ خطيت أول كلمة في حياتي ان هذا الخوف والرهبه والتردد حالة طبيعة حينما تكتب عن عظيم هذه الأمة بل عن أعظم شخصية عرفها التاريخ البشري فوجدت ان كل ما قيل في هذا النبي الكريم من وصف ومدح يبقى قول بشر ولا يرقى لقول الله سبحانه وتعالى فيه من هذه الجملة الأخيرة قلت سابدأ وأتتهى وعقدت العزم أن أنطلق وقلت في نفسي لماذا لا أجمع كل مقاله كتاب الله عن الرسول الكريم وأضمه في كتاب واحد وهذا الذي ستره أخي القارئ .

لن نقرأ في هذا الكتاب عن شعر ونثر ومقالات وأراء ومدح مما قاله البشر ويقولوه منذ يوم خلق رسولنا الكريم وليومنا خلا بعض الأقوال التي صدرت عن بعض المفكرين والباحثين والمستشرقين الغربيين لكننا سنذهب أبعد من ذلك الى ما قاله ربنا الكريم عن عبده ورسوله وكفى بالله وكلامه شاهدا .

حسن إسماعيل

أيلول _ 2023

محمد

الصادق الأمين

لم يذكر القرآن الكريم قصة حياة رسولنا الكريم ولم يعطينا أي تفاصيل حولها ولقد ذكر قصص عددا من الأنبياء مثل موسى ويوسف وعيسى عليهم السلام فذكر طفولة هؤلاء الأنبياء الثلاثة فأخبرنا كتاب الله كيف صنعت أم موسى به وهو طفلا وألقته في اليم وكيف وصل الى قصر فرعون وتربى هناك ثم بعد ان صار شابا قتل شخصا مصريا ومنها هرب الى مدين وتزوج من هناك وعاد وهو في الطريق كلمه الله وكلفه بالنبوة وغير ذلك من أخبار وتحدث كتاب الله بتفاصيل أكثر عن حياة يوسف الصديق منذ أن رأى رؤيا وهو طفل صغير ومن بعدها كيف تأمر عليه أخوته وألقوه في الجب ثم بيع رقيقا في سوق النخاسة بمصر وكيف عاش وتربى عند قائد جيش الملك ولما كبر دخل السجن ومكث فيه سنوات طوال وخرج منه ليصبح أمينا على مخازن مصر ومكرما عند ملكها آنذاك وكذلك تحدث كتاب الله عن ولادة عيسى كيف تكلم وهو لا زال في المهد .

طفولة الرسول الكريم وشبابه قبل البعثة

أن الرسول الكريم ┌ ولد في أشرف بيت من بيوت العرب، فهو من أشرف فروع قريش، وهم بنو هاشم، وقريش أشرف قبيلة في العرب، وأزكاها نسبا وأعلاها مكانة، وقد روي عن العباس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقتهم، وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا، وخيرهم بيتا» (رواه الترمذي بسند صحيح) ولمكانة هذا النسب الكريم في قريش لم

نجدها فيما طعنت به على النبي صلى الله عليه وسلم لاتضح نسبه بينهم، ولقد طعنت فيه بأشياء كثيرة مفتراة إلا هذا الأمر أنه نشأ يتيماً، فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين فحسب، ولما أصبح له من العمر ست سنوات ماتت أمه آمنة فذاق صلى الله عليه وسلم في صغره مرارة الحرمان من عطف الأبوين وحنانهما، وقد كفله بعد ذلك جده عبد المطلب، ثم توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنوات، فكفله بعد ذلك عمه أبو طالب حتى نشأ واشتد ساعده، وإلى يتمه أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿الَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:6].

أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السنوات الأربع الأولى من طفولته في الصحراء في بني سعد، فنشأ قوي البنية، سليم الجسم، فصيح اللسان، جريء الجنان، يحسن ركوب الخيل على صغر سنه قد تفتحت مواهبه على صفاء الصحراء وهدوئها، وإشراق شمسها وبقاوة هوائها كانت تعرف فيه النجابة من صغره، وتلوح على محياه مخايل الذكاء الذي يجيبه إلى كل من رآه، فكان إذا أتى الرسول وهو غلام جلس على فراش جده، وكان إذا جلس عليه لا يجلس معه على الفراش أحد من أولاده (أعمام الرسول)، فيحاول أعمامه اتزاعه عن الفراش، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً. أنه عليه الصلاة والسلام كان يرعى في أوائل شبابه لأهل مكة أغنامهم بقراريط يأخذها أجراً على ذلك، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من نبي إلا قد رعى الغنم» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا» وفي رواية أخرى أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فأجاب: «وأنا رعيته لأهل مكة على قراريط» ثم لما بلغ من عمره خمسا وعشرين، عمل لخديجة بنت خويلد في التجارة بما لها على أجر توديه إليه. لم يشارك عليه الصلاة والسلام أقرانه من

شباب مكة في لهوهم ولا عبثهم، وقد عصمه الله من ذلك، فقد استفاض في كتب السيرة أنه سمع وهو في سن الشباب غناء من إحدى دور مكة في حفلة عرس، فأراد أن يشهدا، فألقى الله عليه النوم، فما أيقظه إلا حر الشمس، ولم يشارك قومه في عبادة الأوثان، ولا أكل شيئاً مما ذبح لها، ولم يشرب خمراً، ولا لعب قماراً، ولا عرف عنه فحش في القول، أو هُجر [قبح] في الكلام. وعرّف عنه منذ إدراكه رجحان العقل، وأصالة الرأي، وفي حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة دليل واضح على هذا، فقد أصاب الكعبة سيل أدى إلى تصدع جدرانها، فقرّر أهل مكة هدمها وتجديد بنائها، وفعلوا، فلما وصلوا إلى مكان الحجر الأسود فيها اختلفوا اختلافاً شديداً فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وأرادت كل قبيلة أن يكون لها هذا الشرف، واشتد النزاع حتى تواعدوا للقتال، ثم ارتضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب بني شيبية، فكان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا بحكمه، فلما أخبر بذلك، حل المشكلة بما رضي عنه جميع المتنازعين، فقد بسط رداءه ثم أخذ الحجر فوضعه فيه، ثم أمرهم أن تأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء، فلما رفعوه وبلغ الحجر موضعه، أخذه ووضع بيده، فرضوا جميعاً، وصان الله بوفور عقله وحكمته دماء العرب من أن تسفك إلى مدى لا يعلمه إلا الله. عرف عليه الصلاة والسلام في شبابه بين قومه بالصادق الأمين، واشتهر بينهم بحسن المعاملة، والوفاء بالوعد، واستقامة السيرة، وحسن السمعة، مما رغب خديجة في أن تعرض عليه الاتجار بما لها في القافلة التي تذهب إلى مدينة (بصرى) كل عام على أن تعطيه ضعف ما تعطي رجلاً من قومها، فلما عاد إلى مكة وأخبرها غلامها ميسرة بما كان من أمانته وإخلاصه، ورأت الربح الكثير في تلك الرحلة، أضعفت له من الأجر ضعف ما كانت أسمت له، ثم حملها ذلك على أن ترغب في الزواج منه، فقبل أن يتزوجها وهو أصغر منها بخمسة عشر عاماً، وأفضل شهادة له بحسن خلقه قبل النبوة قول

خديجة له بعد أن جاءه الوحي في غار حراء وعاد مرتعدا : كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (الضعيف)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق . سافر مرتين خارج مكة، أولهما مع عمه أبي طالب حين كان عمره اثنتي عشرة سنة، وثانيتها حين كان عمره خمسا وعشرين سنة، متاجرا لخديجة بما لها، وكانت كلتا الرحلتين إلى مدينة (بصرى) في الشام، وفي كليهما كان يسمع من التجار أحاديثهم، ويشاهد آثار البلاد التي مر بها، والعيادات التي كان عليها سكانها . حبب الله إليه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة بسنوات أن يخرج إلى غار حراء - وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، على قرب منها - يخلو فيه لنفسه مقدار شهر - وكان في شهر رمضان - ليفكر في آلاء الله، وعظيم قدرته، واستمر على ذلك حتى جاءه الوحي، ونزل عليه القرآن الكريم.

ولد محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، وعاش بها معظم سنوات عمره إلى أن تركها مهاجرا إلى يثرب، وكانت حياته بها قبل البعثة النبوية مختلفة عما درج عليه الكثيرون من شباب القبائل العربية، التي كانت مكة وطنا لهم، وشاءت إرادة الله تعالى أن يحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم طفلا وشابا، حتى كان الإعلان عن بعثته عندما نزل عليه الوحي في غار حراء، القريب من مكة، بعد مرحلة طويلة من التأمل والتفكير، وبعيدا عن الناس، وحيدا في الغار، الذي كان يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، دون أن يستحوذ عليه الإعجاب بالدنيا بالشكل الذي يصرفه عن ممارسة الاقتراب من الله تعالى، بما تيسر له من بقايا ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام وكانت حياته صلى الله عليه وسلم في مراحلها الأولى قبل الزواج غير منعزلة عن الواقع، أو منصرفة إلى أحوال الآخرة وإنما كانت حياة ذات طبائع

خاصة، لا تصرفه عن هموم البيئة، ولا تقطعه عن التواصل الحميم مع الأحداث الكبيرة التي كانت موضع تفكير، واتفاق واختلاف، في هذا المجتمع الذي كان خاضعًا لسلطان القبيلة، ولسائر الاعتبارات الأخرى كعبادة الأصنام المتعددة، ووجود طائفة مستعبدة من الإماء والأرقاء، بشرة سوداء، لا تسر آنذاك أحدًا من الناظرين، ومن بين المشاركات بالفعل أو بالقول، والتي لا تغيب عن ذاكرة محمد صلى الله عليه وسلم منذ أن بدأت مسيرة الأحداث إلى أن بعثه الله نبيًا لسائر الخلق ما يأتي :

سلوكه صلى الله عليه وسلم في حرب الفجار

كانت حرب الفجار إحدى المعارك القبلية، التي دارت رحاها بين قبيلتي كنانة وقيس عيلان، وشاركت قريش فيها، وانحازت إلى قبيلة كنانة، وتمخضت هذه الحرب عن انتصار لكنانة على قيس، وكان عمر النبي آنذاك خمس عشرة أو عشرين سنة.

وذكر كاتبو السيرة أن حروب الفجارات في العرب أربع منها: فجار البراض، وبه يوم يسمى يوم الشرب وهو أعظمها، وقد حضره الرسول، وشارك فيه بمعاونة أعمامه على قبيلة قيس، كما أن أيام القتال في هذه الحرب كانت كثيرة، والنتائج غالبًا غير حاسمة، ولذلك تذكر الأحداث بإطالة ويكثر الادعاء والفخر فيها .

ولم تترك المشاركة للرسول في هذه الحرب أثرًا في نفسه، أو تأثيرًا في غيره، فبقى مصانًا محفوظًا، وخاليًا من آفة تبعات تلحق بسيرته في الجاهلية، والتي بقيت معطرة إلى أن هبط عليه جبريل عليه السلام بالوحي الكريم .

الإشادة بحلف الفضول

كان حلف الفضول بعد حرب الفجار بعدة أشهر، وذلك قبل المبعث النبوي بعشرين سنة، وقد تحالفت فيه بعض القبائل، بحيث يكونوا يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، وشهد الرسول بني هاشم وزهرة وتيما، وهم يجتمعون في دار عبد الله بن جُدعان بمكة، حيث تعاهدوا وتحالفوا على حماية الضعفاء المظلومين، وذكرت أسباب كثيرة لانعقاده، وإن كان الهدف منه واحدًا ومتقاربًا، وقيل: إن تسميته بذلك، لأن الداعين إليه كانوا ثلاثة من أشرف العرب، واسم كل واحد منهم (فضل) وقد رفع هذا الحلف من منزلة قريش بين القبائل العربية، وتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فقال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

وليس للرسول في هذا الحلف مداخلات أو تعقيبات، إذ لم يكن عمره آنذاك يحول له أن يدلى برأي فيه، ولكنه رضي به، وذكره في حديثه وأشاد به لما فيه من دعوة إلى السلام الاجتماعي وحقق الدماء، ونبذ الحروب، والتقريب بين الفرقاء.

القدرة على فض النزاع

عند إعادة بناء الكعبة ورفع الحجر الأسود تذكر الروايات التاريخية أن الكعبة المشرفة قد تعرضت لحريق، عندما جاءت إليها امرأة تعطرها فانطلقت منها شرارة إلى الكسوة وإلى الأخشاب، ثم جرف السيل البناء، فتصدعت الجدران، ورأى المكيون ضرورة هدمها، وإعادة بنائها، ولكنهم اختلفوا في ذلك، إلى أن جاء سيل آخر، فجعل إعادة البناء أمرًا محتومًا، وشرعوا في هدمها، ووصلوا إلى حجارة

خضر، فأبقوا عليها أساسًا للكعبة، وكان ذلك قبل البعثة النبوية بخمس سنين، وقد أسهم الرسول صلى الله عليه وسلم في نقل الأحجار، لاستكمال البناء، حتى بلغ الارتفاع موضع الحجر، وكانوا يجمعون الأحجار، من الجبال القريبة من مكة، واختلفوا فيمن ينال شرف رفع الحجر الأسود، ليوضع في مكانه، حتى يكتمل البناء فوقه، ثم اتفقوا كما قال ابن هشام في السيرة النبوية على لسان أبي أمية بن المغيرة، وكان يومها أسن رجل في قريش قال: «اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، قال صلى الله عليه وسلم: «هلم إليّ ثوبًا، فأتى به، فأخذ الركن (الحجر) فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بُني عليه».

وقد جعلت هذه المعالجة للموقف بكامله من الرسول صاحب رأي نافذ، وأهلا للمشورة، ومستحقًا لأن يوضع في الاعتبار عند بروز أزمة أخرى في مسيرة الأحداث بمكة المكرمة، كما دعم هذا الموقف أيضًا اتصافه صلى الله عليه وسلم بالأمانة، وتلقيه بالأمين واختياره لأن توضع الأمانات عنده، ولذلك عندما كانت الهجرة في مرحلة تالية جعل عليًا ينام في بيته، ويجرس الأمانات، ويردها إلى أهلها بعد خروجه من مكة المكرمة.

خلق الأمانة

لقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية بالأمانة خاصة بعد عمله في التجارة واشترائه مع عمه أبي طالب في الرحلة إلى الشام، وتحمله المسؤولية في مال السيدة خديجة بنت خويلد، وجاء ذلك

عرضاً منها لمحمد صلى الله عليه وسلم، للخروج بما لها إلى الشام متاجراً، بحيث تعطيه أفضل مما تعطى غيره من التجار، وقبل هذا العمل، وأخلص فيه، وشهد عليه مرافقه في الرحلة (ميسرة) غلام خديجة، الذي أقر بما لمحمد من الأمانة والصدق والإخلاص، وكان ذلك فاتحة خير إذ أتاحت له سبل التقدم للزواج بها، وتحقق له الخير معها، ورزقه الله تعالى الولد منها دون غيرها من النساء، اللاتي تزوج بهن في مرحلة تالية، وقد كانت الأمانة التي اشتهر بها وتميز فيها سنداً قوياً له في حياته مع جده وأعمامه ومع غيرهم من القبائل العربية في مكة، فصارت حياته في ظل هذه الأخلاق نموذجاً عربياً مشرفاً لغيره من الرجال، الذين رأوا فيه ما يصلح للتأثر به والسير على منهاجه.

الإخلاص في العمل

بدأ ارتباط محمد صلى الله عليه وسلم بمزاولة العمل، منذ طفولته ونشأته في ديار بني سعد، حيث كانت إقامة مرضعته حليلة السعدية، فقد وُجّه إلى رعي الأغنام مع أخيه من الرضاعة (عبد الله) وواصل العمل بالرعي، عندما استكمل نشأته في مكة إلى أن تحول إلى التجارة بعد ذلك، ولما بعث بعد الأربعين من عمره كان ذهنه مدركاً لتاريخه مع هذا النشاط، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرها على قراريط لأهل وقد اكتسب من هذه المهنة صفات حميدة أفادته في مستقبل حياته، مثل مجته عن الأماكن المعشبة والأمنة التي يسوس فيها الأغنام، واليقظة في حراستها، وتأمين انتشارها مما يمكن أن يعترضها من ضرر وأذى واتساع الصدر، وخلق الصبر، وطول البال، وحسن الحيلة والأمانة، وهي الصفات التي انعكست مع غيرها على حياته في المستقبل.

وعمل في مرحلة تالية من عمره بالتجارة، وهي مهنة لا تكتسب بين عشية وضحاها، وبدأها تحت رعاية عمه أبي طالب، من خلال الرحلة إلى الشام، وكانت تجربة عملية مفيدة، خبر فيها كثيراً من نفوس البشر ورغائبهم في الكسب وزيادة الثروة المالية، واستفاد من ذلك الكثير، الذي تأهل به للارتقاء إلى العمل في أموال السيدة خديجة بنت خويلد، وحقق لها الكثير من المكاسب بصدقه وإخلاصه وأمانته، مما جعلها تدعم رغبته في التقدم للزواج منها .

عمق التأمل والتفكير

كان زواج الرسول من خديجة بنت خويلد زواجاً ميموناً مباركاً، تلاقت فيه صفاته ورغباته مع اهتماماتها وشواغلها فأغناها بفكره وصدقه وإخلاصه وأمانته عن الاحتياج إلى مشورة أحد من الرجال، كما كانت تفعل قبل الزواج منه، وكانت بالنسبة له فاتحة خير وارتياح حيث تمكن من إشباع اتجاهه إلى التأمل في بدائع صنع الله، وصار التفرغ لذلك متاحاً بصورة أفضل عما كان عليه قبل الزواج، فكان يمكث في البيت أياماً كثيرة يعيش فيها مع التأمل العميق، الذي يتحول إلى نشاط ذهني وتفكيري يقنع به أحياناً، وقد لا يصل إلى الحقيقة، خاصة في مسألة عبادة قومه للأصنام، التي ينهزمون أمامها، أو يقدمون لها من القرابين ما يعجز عن فهمه، وقد أكرمه الله تعالى فلم يسجد لصنم منها، وبقي ذهنه شاردًا لم يرتو ظمؤه بشأن الوصول إلى كثير من الحقائق، وكان من عادات العرب أن تنقطع طائفة من مفكريهم إلى العبادة في أيام معدودة يفضلونها في خلوة بعيداً عن الناس، «يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء، ويتوجهون إليها بقلوبهم، يلتمسون عندها الخير والحكمة، وكانوا يسمون هذا الانقطاع للعبادة: التحنف والتحنث» .

وتحول الرسول من الخلوة في بيته إلى مكان خارج مكة، وهو غار حراء، حيث كان يذهب إليه كل عام يقضى به شهر رمضان يخلو فيه إلى نفسه، ويتعبد به على طريقته، ربما عن اعتقاد جاء إليه من بقايا ديانة سيدنا إبراهيم أو غير ذلك، وكانت هذه الخلوة تحقق له الراحة والرؤيا العميقة، خاصة أن احتياجاته من الطعام والشراب كانت متاحة بشكل يتيح له القدرة على التواصل مع هذه النزعة القويمية، وبقي على ذلك حتى نزل عليه الوحي من السماء .

وهكذا كانت حياة الرسول نموذجاً إنسانياً رائعاً للحياة العربية في مكة قبل البعثة النبوية، فشهد التناحر بالسلح في حرب الفجار، والقناعة والرضا بالصلح بين الفرقاء، والإسهام في فض النزاع عند إعادة بناء الكعبة ورفع الحجر الأسود إلى مكانه، واتجاهه إلى العمل راعياً وتاجراً، واستغراقه في التأمل والتفكير، وتميزه ﷺ - بالأخلاق الحميدة التي فاق بها أقرانه، وارتقى بكل ذلك حيث انصرف إلى الخلوة والتأمل حتى نزل عليه القرآن الكريم .

ماذا قالوا في رسول الله ﷺ

سندهب في جولة قصيرة لما قاله علماء وأدباء ومفكرون غربيون مدحوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اعتنق الإسلام ومن ثم سنرى ما ذكرته آيات القرآن الكريم عنه .

إذا أراد الغربيون أن يقفوا على حقيقة الإسلام، فليسالوا فلاسفتهم وعلماءهم وأدباءهم . ونظرا لكثرة هؤلاء وكثرة المؤلفات التي وضعوها عن الإسلام، فسنتكفي بذكر بعضهم :

زويمر الكندي مستشرق كندي (1813 – 1900 م) :

قال في كتابه الشرق وعاداته: « إن محمداً كان ولا شك من أعظم القادة الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبلغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا » .

سنرستن الآسوجي : أستاذ اللغات السامية، ولد عام 1866.

له عدة مؤلفات منها: القرآن الإنجيل الحمدي وتاريخ حياة محمد قال في كتابه تاريخ حياة محمد: « إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرّاً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ » .

جونس أوركس : أديب إنجليزي

قال: « لم نعلم أن محمداً نبي الإسلام (صلوات الله وسلامه عليه) تسربل بأي رذيلة مدة حياته » .

لين بول (1854 – 1931 م) : مستشرق وعالم آثار بريطاني

قال: « إن محمدًا كان يَتَّصِفُ بكثير من الصفات؛ كاللطف والشجاعة وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تَطْبَعُهُ هذه الصفات في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادرًا عن غير ميل أو هوى، كيف لا؟! وقد احتمل محمد عدااء أهله وعشيرته سنوات بصبر وجَدَدٍ عظيمين، ومع ذلك فقد بَلَغَ من بُبُلِهِ أنه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه حتى لو كان يصفح طفلًا! وأنه لم يَمِرَّ بجماعة يومًا من الأيام -رجالًا كانوا أم أطفالًا- دون أن يُسَلِّمَ عليهم، وعلى شفقيه ابتسامته حلوة، وبنغمته جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذبًا». .

وليم موير (1819 - 1905 م): مستشرق أسكتلندي

قام بعمل دراسات حول حياة النبي محمد والخلافة الإسلامية المبكرة .

قال: « امتاز محمد بوضوح كلامه، ويسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، لم يشهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد . ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، وخيرٌ به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، وذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم ». .

واشنجتون إرفنج (1783 - 1859 م): مؤلف وكاتب مقالات ومؤرخ أمريكي .

قال: « كانت تصرفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدلُّ على أنه نبي مرسل، لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمةً وشفقةً على مواطنيه، برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه تَوَجَّحَ نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو ». .

جورج سارتون وُلِدَ عام 1884م صيدلي ومؤرخ بلجيكي .

« وخلاصة القول . . . إنه لم يُتَّخَ لنبي من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصارًا تامًّا كانتصار محمد » .

مونتجومري وات (1909 – 2006م) : مستشرق بريطاني عمل أستاذًا للغة العربية

والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة في اسكتلندا . من أشهر كتبه " محمد في مكة (1953)، و محمد في المدينة (1956) .

قال في كتابه محمد في مكة: « استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه » .

برتلي سانت هيلر (1805 – 1895 م): فيلسوف، سياسي، ، ومستشرق ألماني.

قال في كتابه الشرقيون وعاداتهم: « كان محمد رئيسًا للدولة وساهرًا على حياة الشعب وحرته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنایات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بن ظهرانها، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة » .

إدوار مونته (1817 – 1894 م): فيلسوف ومستشرق فرنسي

قال في آخر كتبه العرب : « عرف محمد بإخلاص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام. فقد وجههم إلى حياة لم يلمحوا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم » .

ميخائيل إيمارى : مستشرق إيطالي

قال في كتابه تاريخ المسلمين: « وحسب محمد ثناءً عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات واشتداد الحن وهو القائل "لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته " . عقيدة راسخة، وثبات لا يقاس بنظير، وهمة تركت العرب مدينين ل محمد بن عبد الله، إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر» .

جان ليك : مستشرق إسباني.

قال في كتاب العرب: « لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: ﴿أَوْ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وقد برهن بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى المساعدة، كان محمد رحمة حقيقة لليتامى، والفقراء، وابن السبيل، والمنكوبين، والضعفاء، والعمال، وأصحاب الكد والعناء، وإني بلهفة وشوق أصلي عليه وعلى أتباعه » .

توماس وولكر آرنولد (1864-1930م) : مستشرق بريطاني شهير .

قال في كتاب الدعوة إلى الإسلام: «قبيل وفاة محمد نرى جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً تدين له بالطاعة، وإذا ببلاد العرب، التي لم تخضع إطلاقاً لأمر من قبل، تظهر في وحدة سياسية وتخضع لإرادة حاكم مطلق، ومن تلك القبائل المتنوعة، صغيرها وكبيرها، ذات العناصر المختلفة التي قد تبلغ المائة

والتي لم تنقطع عن التنازع والتناحر، خلقت رسالة محمد أمة واحدة، وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد، ذلك النظام الذي سرت مزاياه في سرعة تبعث على الدهشة والإعجاب. وأن فكرة واحدة كبرى هي التي حققت هذه النتيجة، تلك هي مبدأ الحياة القومية في جزيرة العرب الوثنية، وهكذا كان النظام القبلي لأول مرة، وإن لم يقض عليه نهائيًا (إذ كان ذلك مستحيلًا)، شيئاً ثانويًا بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية. وتكلفت المهمة الضخمة بالنجاح، فعندما انتقل محمد إلى جوار ربه كانت السكينة وتزفر على أكبر مساحة من شبه الجزيرة العربية، بصورة لم تكن القبائل العربية تعرفها من قبل، مع شدة تعلقها بالتدمير وأخذ الثأر. وكان الدين الإسلامي هو الذي مهد السبيل إلى هذا الائتلاف.»

إدوار بروي (1901-1974م): قال في كتابه التاريخ العام للحضارات :

« جاء محمد بن عبدالله، النبي العربي وخاتم النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، وكانت الشريعة [في دعوته] لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، ففرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين، ونشر الدين الحنيف، وعندما قبض النبي العربي، عام 632م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل.»

آن بيزيت :مؤلفة كتاب حياة وتعاليم محمد، دار مدارس للنشر 1932.

قالت: « من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتجيب هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم. هل تقصد أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وقياً لها طيلة 26 عامًا، ثم عندما بلغ الخمسين من عمره- السن التي تحبو فيها شهوات الجسد- يمكن أن يتزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص. فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية.

واشنطن إيرفينغ (1783 – 1859م) : مؤلف وكاتب مقالات وكاتب سير ومؤرخ

ودبلوماسي أمريكي

قال في كتابه حياة محمد: كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وأعظم الرسل الذين بعثهم الله تعالى؛ ليدعو الناس إلى عبادة الله. كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو. برغم انتصارات الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل

مصلحة، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثياً لأسرته.»

لورا فيتشا فاليري (1893 – 1989 م): مستشرقة إيطالية. كانت أستاذة اللغة العربية في جامعة نابولي.

قالت في كتابها الدفاع عن الإسلام: «كان محمد المتمسك دائماً بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة، لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين.»

رودي بارت (1901 – 1983 م): هو مستشرق ألماني، ترجم القرآن إلى الألمانية مع شرح فيلولوجي.

قال: «كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي أدلة الله، ومشرعاً حكيماً، ورسولاً للفضيلة، وناطقاً بكلمة الدين الطبيعي الفطري، ومبشراً به.»

إجناتس جولدتسيهر (1850 – 1921 م): هو مستشرق يهودي مجري، وهو من بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا.

قال: «الحق أن محمداً كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية.»

مارسيل بوازار: أستاذ جامعة سويسري.

قال: «سبق أن كُتب كل شيء عن نبي الإسلام، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها، والصورة التي خلفها محمد عن نفسه، تبدو حتى وإن عُمدَ إلى تشويها - علمية في الحدود التي تكشف فيها - وهي تندمج في ظاهرة الإسلام - عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني، وتتيح إدراك عظمته الحقيقية. لم يكن محمد على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب، بل كان كذلك مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق. لقد كان محمد نبياً لا مصلحاً اجتماعياً، وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر».

بوسورث سميث (1794 - 1884 م): أسقف مسيحي بروتستانتي أمريكي.

قال في كتابه محمد والمحمدية: «لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد، لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة، ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها».

المستر سنكس (1831 - 1883 م): مستشرق أمريكي.

قال في كتابه ديانة العرب: «ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وإرجاعها إلى الاعتقاد بآله واحد، وبجياة بعد هذه الحياة. إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقيًا كبيرًا جدًا في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من

قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان . ولقد توصل محمد . بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق . إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة . «
مايكل هارت صاحب كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد) : "إن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والديني، إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والديني معا يحوله أن يعتبر أعظم شخصية أثرت في تاريخ البشرية " .

قال المفكر الفرنسي لامارتين (لامارتين من كتاب "تاريخ تركيا":

" إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجروء أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات . فلم يجنوا إلا أجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرائهم . لكن هذا الرجل (محمداً صلى الله عليه وسلم) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ . ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة" .

قال جان جاك روسو: "لم ير العالم حتى اليوم رجلاً استطاع أن يحول العقول، والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا "محمداً" ولو لم يكن قد بدأ حياته صادقاً أميناً ما صدقه أقرب الناس إليه، خاصة بعد أن جاءته السماء بالرسالة لنشرها على بني قومه الصلاب العقول والأفئدة، لكن

السماء التي اختارته بعناية كي يحمل الرسالة كانت تؤهله صغيراً فشب متأملاً محباً للطبيعة ميالاً للعزلة لينفرد بنفسه".

قال المستشرق الإنجليزي سبريت و. أرنولد، في كتابه الدعوة إلى الإسلام :

" قبيل وفاة محمد نرى جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً تدين له بالطاعة، وإذا ببلاد العرب التي لم تخضع إطلاقاً للأمير من قبل تظهر في وحدة سياسية وتخضع لإرادة حاكم مطلق. ومن تلك القبائل المتنوعة، صغيرها وكبيرها، ذات العناصر المختلفة التي قد تبلغ المائة والتي لم تنقطع عن التنازع والتناحر، خلقت رسالة محمد أمة واحدة، وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد، ذلك النظام الذي سرت مزاياه في سرعة تبعث على الدهشة والإعجاب. وأن فكرة واحدة كبرى هي التي حققت هذه النتيجة، تلك هي مبدأ الحياة القومية في جزيرة العرب الوثنية، وهكذا كان النظام القبلي لأول مرة، وإن لم يقض عليه نهائياً (إذ كان ذلك مستحيلاً)، شيئاً ثانوياً بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية. وتكلفت المهمة الضخمة بالنجاح، فعندما انتقل محمد إلى جوار ربه كانت السكينة وترف على أكبر مساحة من شبه الجزيرة العربية، بصورة لم تكن القبائل العربية تعرفها من قبل، مع شدة تعلقها بالتدمير وأخذ الثأر. وكان الدين الإسلامي هو الذي مهد السبيل إلى هذا الائتلاف "

جورج برنارد شو(كاتب مسرحى بريطانى) : "لما قرأت دين محمد أحسست أنه دين عظيم، وأعتقد أن هذا الدين العظيم سيسود العالم ذات يوم قريب مقبل إذا ما وجد الفرصة لانتصاره، ليتعرف العالم عليه بلا تعصب".

برتراند راسل وهو أحد فلاسفة بريطانيا الكبار والحاصل على جائزة نوبل للسلام

عام 1950:

“لقد قرأت عن الإسلام ونبى الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث وتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها”.

يقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون (1841 – 1921 م):

“وإذا ما قيسَتْ قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد [صلي الله عليه و سلم] من أعظم مَنْ عَرَفَهم التاريخ ، وأخذ بعض علماء الغرب يُنصفون محمداً [صلي الله عليه و سلم] ، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله”.

المستشرق الإيطالي ميخائيل إيمارى في كتابه (تاريخ المسلمين) يقول :

”وحسب محمد ثناءً عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات واشتداد الحن وهو القائل “لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته“ . عقيدة راسخة، وثبات لا يقاس بنظير، وهمة تركت العرب مدينين لمحمد بن عبد الله، إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر“.

برتراند راسل

“لقد قرأت عن الإسلام ونبى الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث وتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها”.

برتراند راسل وهو أحد فلاسفة بريطانيا الكبار والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام 1950.

فولتير (1694-1778م) :

فرانسوا ماري آروويه المعروف باسم شهرته (فولتير) هو كاتب وفيلسوف فرنسي، واحد من أشهر فلاسفة ومفكري وأدباء عصر التنوير. عاش في القرن الثامن عشر، وتميز بالعداء الشديد للكنيسة التي كانت تهيمن على حياة الناس، ونادى بالمدنية والعلمانية، وقيم الحرية والعدل، والتسامح. فعمد إلى سلوك طرق غير مباشرة لمواجهة الكنيسة، فكتب قصائد وألف روايات ومسرحيات يعري فيها الكاثوليكية والبروتستانتية ويسخر منهما. وامتد هجومه إلى اليهودية، حتى اعتبروه معاديا للسامية، ولم يسلم منه الدين الإسلامي. ومن أجل فهم حقيقة موقف فولتير من الإسلام، لا بد من التذكير بأن المناوئين للكنيسة في فرنسا وأوروبا كانوا يهاجمون الأديان كلها، لكنهم في الواقع يقصدون الكنيسة المتسلطة المتحجرة المتغطسة بالدرجة الأولى.

أول موقف لفولتير من الإسلام كان مسرحية بعنوان : محمد أو التعصب، والعنوان يلخص المضمون. لكن في كتاباته التالية ترك التعميم، وأبصر الحق. ذلك أن المسرحية كانت مجرد تمويه لمهاجمة الكنيسة، من غير السقوط تحت طائلة الرقابة القانونية، وكان هذا رأي الأديب الألماني جوته، الذي ترجم المسرحية، وحين أبداه للقائد الفرنسي بوناپارت وافقه عليه. وفي أعمال لاحقة، وبينما كان يواصل انتقاده اللاذع للمسيحية، نجد يثني على الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول أن الإسلام أفضل من المسيحية، ويقول عن الإسلام أنه دين حكيم وصارم وطاهر وإنساني وحكيم؛ «لأنه لا يسقط في جنون الإشراف بالله، وليس فيه طلاس، وهو صارم لأنه يحرم القمار والخمر، ويأمر بخمس صلوات في اليوم، وهو طاهر لأنه

يحدد عدد الزوجات بأربع، وهو إنساني لأنه يأمر بالصدقة أكثر من الحج، وأضيف إلى خصائص الحق هذه سمة أخرى، هي التسامح.

هذه الشرائع الحازمة، وهذه العقيدة البسيطة، جلبت للإسلام الاحترام والثقة، وخاصة عقيدة التوحيد، التي ليس فيها طلاس، بل هي مناسبة للعقل الإنساني، كل هذا جعل عددا كبيرا من الأمم تعتنق هذا الدين، من سود إفريقيا إلى جزر المحيط الهندي.».

ثم يضيف: «إن القليل الذي قلته يكذب كل ما يقول مؤرخونا ومنتقدونا ومواقفنا المسبقة، لكن الحقيقة يجب أن تواجههم.».

وفي كتابه القاموس الفلسفي، يكتب: «أقولها لكم مرة أخرى، أيها الجهلة الحمقى، الذين أقنعهم جهلة آخرون بأن الدين الحمدي شهواني، إن هذا ليس صحيحا، لقد خدعوكم في هذه المسألة كما في مسائل متعددة أخرى، أيها القساوسة والأخبار، لو فرض عليكم أن تمتنعوا عن الطعام والشراب من الرابعة صباحا إلى العاشرة مساء في شهر يوليو، عندما يصادف الصيام هذا الشهر، ولو منع عنكم القمار بكل أنواعه، ولو حرمت عليكم الخمر، ولو كُتب عليكم الحج في الصحراء المحرقة، ولو أمرتم بإخراج اثنين ونصف من دخلكم للفقراء، ولو اقتصرتم على أربع زوجات، أتم الذين أفتم التمتع بشماني عشرة امرأة، هل يمكن - بكل صدق - أن تقولوا عن هذا الدين: إنه شهواني؟» فلماذا يغفل العلمانيون عن هذه النظرة، ويتشبثون بالمسرحية المذكورة، التي لا علاقة لها إطلاقاً بالرسول عليه الصلاة والسلام وسيرته، وإنما هي محض عمل خيالي، كان نقدا مبطناً للكنيسة؟!!

رنولد جوزف توينبي (1889 - 1975م): بريطاني من أشهر المؤرخين في القرن العشرين، أهم أعماله موسوعة دراسة للتاريخ

قال: « الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية سيجدون أمامهم من الأسفار ما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله ، إنني أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة وإن في بقاء الإسلام أمل للعالم كله . »

هنري دي بولانفلييه (1658 - 1722م): فيلسوف ومؤرخ فرنسي.

كان أول أوروبي أنصف النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بكتاب بعنوان: حياة محمد؛ لم يكن يعرف العربية، وإنما اعتمد على لوي مرتشي وإدوارد بوكوك.

قال: « كان محمد أداة الله التي قضى بها على العبادة الباطلة، وأحل محلها الحق . . . ولولاه ما عرف أحد الله ولا مجده كما يليق به. »

ريني نون وبعد إسلامه عبد الواحد يحيى (1886 - 1951م): كاتب ومفكر فرنسي.
قال :

« لقد أردت أن أستعصم بنص إلهي مقدس لا يأتيه الباطل، فلم أجد بعد الدراسة الطويلة المضنية سوى القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الذي أفتعني وأمن على ما في قلبي . ورسول الإسلام هو الرسول الذي أحببته وسعدت بالسير تحت لوائه، وغمرتني أقواله وأفعاله بالسعادة النفسية والسكينة الروحية . ولولاه صلى الله عليه وسلم لغرقت الإنسانية في بحار المادية والإلحاد والانحلال الخلقى والدمار الروحي . »

ليو تولستوي (1828-1910 م) :

من عمالقة الروائيين الروس ومصلح اجتماعي وداعية سلام ومفكر أخلاقي، يعد من أعظم الروائيين على الإطلاق.

قال: «لا يوجد نبي حظي باحترام أعدائه سوى النبي محمد مما جعل الكثرة من الأعداء يدخلون الإسلام.»

زيغريد هونكه (1913-1999 م) :

مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية. وقد قامت بتقديم مقدمة مؤثرة للنسخة العربية من كتابها شمس الله تسطع على الغرب، بعد ترجمته.

قالت: «إن محمدا والإسلام شمس الله على الغرب. كان رسول الإسلام يعرف أن المرأة ستجد طريقها بجوار الرجل ذات يوم. لذا آثر أن تكون المرأة متدينة، لها لباس معين، حتى تقي نفسها شر النظرات وشر كشف العورات. ورجل بهذه العبقرية لا أستطيع أن أقول إلا أنه قدم للمجتمع أسمى آيات المثالية وأرفعها وكان جديرا أن تظل الإنسانية مدينة لهذا الرجل الذي غير مجرى التاريخ برسالة العظيمة.»

جيبون أوكلي. (إدوارد جيبون (1737-1794 م):وسيمون أوكلي (1678 - 1720 م):

قالا في كتاب تاريخ الإمبراطورية العربية الإسلامية (لندن 1870 ص54): «ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور، فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن،

رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان . لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية . لا إله إلا الله محمد رسول الله هي عقيدة الإسلام البسيطة والثابتة . إن التصور الفكري للإله في الإسلام لم ينحدر أبداً إلى وثن مرئي أو منظور . ولم يتجاوز توقير المسلمين للرسول أبداً حد اعتباره بشراً ، وقيدت أفكاره النابضة بالحياة شعور الصحابة بالامتنان والعرفان تجاهه ، داخل حدود العقل والدين . « ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ ألهة من دون الله ، ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر ، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين .

خلاصة وتعليق

ان رسولنا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يكفيه ان الله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم قال فيه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : 4] أما ما ذكرناه من أقوال وأراء فيه فهي من القبيل قول الحق فلقد أستنطق الله الكثير من علماء الغرب ومفكره كما راينا ليقول في رسول الله كلمة حق يستحقها وهذا يسد الطريق على كل الادعاءات الفارغة التي كانت صرنا نسمعها مؤخرا وخاصة ما نشرته أحد الصحف الفرنسية الكاريكاتيرية .

ان أكثر ما أستوقف الغرب والغربيين وحيرهم في الإسلام والمسلمين هما أمرين اثنين كتاب الله وشخصية وسيرة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام والذين جعلهم يستغربون أكثر هو اتفاق مليارات من

المسلمين على ايمانهم واعتقادهم بوجود الله لا شريك له واتفاقهم جميعا ان محمدا عبده ورسوله وهو قائدهم وأسوتهم الحسنة بالرغم من انقساماتهم العقائدية والمذهبية والطائفية وغير ذلك .

اسم محمد (ﷺ) في كتاب الله

ذكر اسم (محمد) ﷺ بكتاب الله أربع مرات وباسم (أحمد) مرة واحدة وسميت سورة باسمه

في الآية 144 من سورة آل عمران

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

ان هذا النص القرآني يؤكد من ان محمد ﷺ هو رسول مثله مثل بقية الرسل الذين أنزلهم الله لهداية الناس كما تؤكد على بشرية الرسول الكريم فقد يموت أو يقتل وهو يدعو الى الله وليس لنفسه فاذا حدث له ذلك أترددون عن عبادة الله والايان به فأن فعلتم ذلك فلن تضروا الله شيئاً أما الصامدون منكم فجزاءهم عند الله .

وفي الآية 40 من سورة الأحزاب يقول الله عز وجل :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

[الأحزاب : 40]

هذا النص يؤكد على حقيقة أخرى من صفات الرسول الكريم الشخصية فهو لا يعد بمثابة أب ووالد لأحد منكم بل هو رسول الله وخاتم النبيين وهناك تفسير ملفت النظر لهذه الآية الكريمة التي سبب نزولها الخاص هو ابن الرسول الكريم بالتبني زيد بن حارثة (وروي عن عطاء عن ابن عباس : أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا) (وكان الله بكل شيء عليما) .

وهذه من حكم ورحمة الله فينا اذ أن هناك من يجعل أولاد ابنته فاطمة رضي الله عنها من آل محمد أي من ذريته وهذا خطأ فادح صحيح أن رسولنا الكريم قال للحسن ان ابني هذا سيد ؟ لكن بمثابة ولده فهو ابن ابنته .

فرسولنا الكريم ﷺ قدر الله له أن يعيش ويتربى يتيماً الأبوين وهو لم يرى أباه ولا يتذكر أمه وشاءت الحكمة الإلهية أن لا يكون له ولد وكانت قريشا تعيره في ذلك هذا اليتيم الذي لم يرى أبواه ولم تكن له

ذرية وولد جعله الله أكرم وأنبل خلقه وعوضه خالقه بأمر عظيمه وجعله سيد المرسلين وكان فضل الله عليه عظيما .

وفي الآية رقم 2 من سورة محمد يقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد : 2]

ويلاحظ هنا ان كلمة آمنوا قد تكررت مرتين المرة الأولى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والمقصود بذلك أنهم آمنوا بالله وبوحدانيته أما قوله تعالى (وَأَمَّنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) أي القرآن الكريم ويؤكد لهم أنه الحق وكفر عنهم سيئاتهم أي قد محاها وأصبحت من الماضي وفوق كل ذلك فلقد غير حالهم وأصلح بالهم قال العلماء: هو الأمر، وقالوا: هو الحال، وقالوا: هو الشأن، وقالوا: هو القلب، وقالوا: هو النية، أصلح شأنهم، أصلح حالهم، أصلح نيتهم، أصلح قلوبهم، أصلح عقولهم ونفوسهم، البال في اللغة هو الحال والشأن، فماذا سياتر على صلاح الحال والشأن، وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ، إذا صلح حالنا ، إذا صلح الحال صلحت الحياة والأمور، حصل الفوز والفلاح، حصلت الراحة والطمأنينة، حصلت النعمة والنعيم النفسي، استقام الأمر ورضي القلب واستمتع الإنسان بالحياة .

وجاء في الآية 29 من سورة الفتح في ذكر كتاب الله لأسم (محمد)

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجِ

شَطَاهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿29﴾ [الفتح : 29]

ان هذه الآية الكريمة تصف الرسول الكريم والمؤمنين بالله ورسالته وهو وصفا دقيقا ومن هذه الصفات المشتركة بين النبي ﷺ والمؤمنين معه :

أولا : أنهم أشداء على الكفار فهم جميعا في موقف صلب وشديد وعلى قلب رجل واحد تجاه عدوهم وعدو دينهم .

ثانيا : رحماء بينهم لقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ التراحم سمة للكيانات الطيبة، وضرب لهذا التراحم الذي أصبح مكوناً من مكونات شخصياتهم مثلاً، وهو أنَّ ما يتأذى به فرد من أفراد هذا الكيان فهو يؤذي الجميع، لأنهم شيء واحد وجسد واحد، فقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». قال ابن الجوزي رحمه الله: «إنما جعل المؤمنين كجسد واحد لأن الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء، فلموضع اجتماع الأعضاء يتأذى الكل بتأذي البعض، وكذلك أهل الإيمان يتأذى بعضهم بتأذي البعض».

والجسد الواحد من طبيعته أنه إذا تألم أو ضعف أي عضو فيه؛ فإن الجسد كله يتأثر بتألم ذلك العضو وضعفه، وظهرت عدة أعراض لهذا الألم والضعف، على نواحي الجسد المختلفة.

وإذا كان هذا جسد المؤمنين بعمومهم، فكيف يجسد الكيانات والجماعات والمؤسسات التي قامت على فعل الخير والدعوة إلى الله! لا شك أنَّ الرابطة الإيمانية في هذه المواقع أشد وشيخة، وأمتن علاقة.

ولهذا فإن رسوخ الرحمة في أعماق أفرادها أقوى، فتجد القائد يدير الأعمال بمبدأ الرحمة، وتجد الفرد ينظر إلى أقرانه بمنظار الرحمة، وتجد الرحمة ذاتها نقطة الارتكاز التي يدور حولها الأفراد وقياداتهم بما يحملونه من سلوك ومشاعر تجاه العمل وتجاه أنفسهم. . هذا مقتضى قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إنها دعوة للصادقين من أهل الإيمان، الذين جمعهم الإيمان وأظلتهم الدعوة إلى الإيمان والعمل لخدمة الإسلام أن يحسُّوا بإخوانهم ويتألموا لآلامهم وأن يتحركوا لرفع معاناتهم. والتألم لآلام الإخوة لا مجرد الألم، ولكن المؤمن حين يعيش آلام أخيه كأنها آلامه - بحكم الجسد الواحد - فإنه سيتحرك لرفع هذه المعاناة والآلام كأنما يرفعها عن نفسه.

ثالثاً : سماهم في وجوههم من أثر السجود : لا يعني السمة في وجوه المؤمنين هي سمة مادية بالضرورة ناتجة عن احتكاك البشرة بسجادة الصلاة فان ظهور هذه العلامة في بعض الناس دون بعضهم، ليس سببه الوحيد كثرة السجود أو قلته، فقد يكون بسبب اختلاف قوة وضعف جلودهم.

والراجع في تفسير سيماهم في وجوههم أنه نور الطاعة والعبادة، وليس بالضرورة أن تكون هذه العلامة من خشونة الجلد في موضع السجود.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: وقوله جل جلاله "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: سيماهم في وجوههم يعني السمات الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: يعني الخشوع والتواضع. وقال ابن أبي حاتم: عن مجاهد "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" قال الخشوع قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه. وقال السدي: الصلاة

تحسن وجوههم . وقال بعض السلف: من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار . . وقال بعضهم: إن للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس .

رابعا : مثلهم في التوراة والإنجيل أي صفتهم موجودة في التوراة والإنجيل كما يقول المفسرون ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴿ أي: هذا الوصف لأصحاب محمد من الشدة على الكفار، والتراحم فيما بينهم، وكثرة صلواتهم، وإخلاصهم وصدق تياتهم، وسيماهم في وجوههم؛ صفتهم في التوراة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ قال: " أصحابه، ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾؛ يعني: نعتهم مكتوب في التوراة والإنجيل، قبل أن يخلق السماوات والأرض ."

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾؛ أي: وصفة أصحاب محمد في الإنجيل كزرع أخرج صغاره من الفروع والورق التي تنبت حول أصله .

﴿ فَازْرَهُ فَاسْتَعْلَظْ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ ﴾؛ أي: فقوى الزرع ورقه الذي نبت حول أصله، فغلظ الزرع، وتناهى طوله، وبلغ غاية قوته، وقام على أصوله .

خامسا : هذه الصفات في الرسول الكريم وصحبه الكرام (لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) إذا أنهم يتعجبون ويستغربون من هذه الوحدة والانسجام بين المؤمنين في السراء والضراء وكانت مواقفهم العملية تشهد على ذلك فلقد أسس لهم الرسول الكريم قواعد هذه المحبة والتكاتف والتكافل فكانوا اخوة متعاضدين متماسكين لا ينجشون بالله لومة لائم .

ان السلوك النبوي كان له الأثر الكبير في تكوين هذا المجتمع الفريد من نوعه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : 21] وهذا ما يشهد الله به على رسوله ونبيه ذلك أنهم كانوا يرجون مغفرة الله ورضوانه وكانوا يريدون الدار الآخرة فحياتنا هذه ليست الا جسرا للعبور .

الاية الأخيرة سورة الصف الاية 6

التي ذكر فيها كتاب الله اسم الرسول الكريم جاء ذكره باسم أحمد
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف : 6]

الآيات القرآنية التي ذكر فيها الرسول

وسنقسم هذه الآيات الى قسمين القسم الأول وسنذكر فيه النصوص التي تتحدث عن شخص الرسول والقسم الثاني وسنذكر فيها الآيات التي تتحدث عنه كني وحامل رسالة الله .

النصوص التي تتحدث عن شخص الرسول

الألطف والمنن والعطايا الإلهية

أولا

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ . (الضحى / 4 - 8) .

فسورة الضحى هي من السور النازلة بمكة، والموضوع الذي تدور عليه هذه السورة يمكن أن يُجمل بموضوع واحد وهو الألفاف والمنن والعطايا التي حبا الله جلا جلاله بها نبيه ﷺ، هذا في الجملة .

روى الإمام أحمد عن جُنْدُب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأنت امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله هذه السورة . رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير عن جُنْدُب هو ابن عبد الله البجلي، ثم العلقمي به .

وفي رواية عن الأسود بن قيس: سمع جندباً قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: ودَّع محمداً ربُّه، فأنزل الله هذه السورة .

قال العوفي عن ابن عباس: "لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً، فتغير بذلك، فقال المشركون: ودَّعه ربُّه وقلاه، فأنزل الله: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ."

في هذه السورة الكريمة عدة ألفاف الهية يخاطب بها الرسول الكريم ﷺ

أولها : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) يعني وما قلاك وما أنساك وتركك والله سبحانه وتعالى يقسم على ذلك بالضحي والليل اذا سجى . وهذا رد قاطع على ما قاله المشركون من أن رب محمد قد تخلى عنه ثانيا : (وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) أي والدار الآخرة خير لك من هذه الدار، وفي هذا إشارة بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل له في الدار الآخرة ما يغنيه عن هذه الدنيا وما فيها .

ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها أطراحًا، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خُيِّرَ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية .

روى الإمام أحمد عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: اضطلع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: ما لي وللدنيا؟! ما أنا والدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلَّ تحت شجرة، ثم راح وتركها، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به، وقال الترمذي: حسن صحيح .

ثالثا : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) والعطاء هنا لم يحدد لذلك فهو عطاء في الدنيا والآخرة وان كان عطاء الآخرة لا يمكن مقارنته بعطاء الدنيا ومن عطاء الدنيا ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد رأى بعينه كيف أنتصر الإسلام وفتح مكة وكان فتحا عظيما ولقد رأى كيف كسر الله شوكة المشركين الذين أخرجوه منها والرسول الكريم لم يتوفاه الله قبل أن رأى الناس يدخلون بدين الله أفواجا

فطلب منه التسبيح والتكبير والشكر والى يومنا هذا فالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يذكر على لسان مليارات من المسلمين الذين يصلون عليه ويسلموا تسليماً بل رأينا كيف وصفه الكثير من الغربيين بالمدح والثناء وقالوا عنه أعظم شخصية في تاريخ البشرية وسيبقى اسم الله جلا جلاله مذكوراً وسيذكر المسلمون معه اسم رسولهم حتى يرث الله الأرض وما عليها .

رابعا : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) : واليتيم الذي فقد أبواه وهو لا يزال طفلاً وهنا يؤكد القرآن الكريم حالة تيم الرسول الكريم وكيف آواه جده عبدالمطلب ومن بعده عمه أبا طالب وكيف دافع عنه حتى مات .

خامسا : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)

فالضلال المقصود في هذه الآية الكريمة، هو الغفلة عن الشرائع، وأسرار علوم الدين التي لا تعلم إلا بالوحي، فقد كان صلى الله عليه وسلم غافلاً عن ذلك، فهداه الله بما أوحى إليه، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب": قوله تعالى: ووجدك ضالاً فهدى. هذه الآية الكريمة يوهم ظاهرها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ضالاً قبل الوحي، مع أن قوله تعالى: فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ، يدل على أنه صلى الله عليه وسلم فطر على هذا الدين الحنيف، ومعلوم أنه لم يهوده أبواه، ولم ينصره، ولم يجسسه، بل لم يزل باقياً على الفطرة؛ حتى بعثه الله رسولاً، ويدل لذلك ما ثبت من أن أول نزول الوحي كان وهو يتعبد في غار حراء، فذلك التعبد قبل نزول الوحي، دليل على البقاء على الفطرة.

وَأَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ضَالًّا فَهْدَى، أَي: غَافِلًا عَمَّا تَعَلَّمَهُ الْآنَ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَأَسْرَارِ عُلُومِ الدِّينِ الَّتِي لَا تَعَلَّمُ بِالْفِطْرَةِ، وَلَا بِالْعَقْلِ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمُ بِالْوَحْيِ، فَهَذَاكَ إِلَى ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ، فَمَعْنَى الضَّلَالِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: الذَّهَابُ عَنِ الْعِلْمِ.

وَمِنْهُ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَقَوْلُهُ: لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى، وَقَوْلُهُ: قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ .

وَيُمْكِنُنَا تَوْسِيعُ مَعْنَى وَصْفِ الضَّلَالَةِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ لِرَسُولِهِ فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ كَانَ يَعْشَى فِي بَيْتَةِ مَشْرُكَةٍ فَاسِدَةٍ تَحْكُمُهَا عَادَاتُ جَاهِلِيَّةٍ وَهُوَ قَدْ تَرَكَهُمْ وَدِينَهُمْ وَشَأْنَهُمْ لَكِنَّهُ بَقِيَ ضَالًّا بِمَعْنَى تَائِهًا لَا يَعْرِفُ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ الَّذِي يُوصلُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمُهُ سَبْحَانَهُ طَرِيفُ الْهُدَايَةِ وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِيمَانِ شَرَائِعَ دِينِ الْإِسْلَامِ . وَقَوْلُهُ: وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ، وَقَوْلُهُ : وَعِلْمُكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَقَوْلُهُ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يَلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ .

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعِيلٌ فَوَالِدُهُ تُوْفِيَ وَجَدَهُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ كَانَ شَيْخًا طَاعِنًا بِالسِّنِّ وَعَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ كَانَ يَعْيِلُ عَائِلَةً كَبِيرَةً لِذَلِكَ فَكَانَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فَقِيرًا لِذَلِكَ فَلَقَدْ هَيَّأَ لَهُ اللَّهُ مَصْدَرًا لِلْعَيْشِ الْكَرِيمِ بِزَوْاجِهِ مِنْ أَمْرَأَةٍ غَنِيَّةٍ لِيُدِيرَ تِجَارَتَهَا فِيمَا بَعْدَ . لِذَلِكَ تَحْتَمُّ هَذِهِ السُّورَةُ بِتَذْكِيرِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ بِجَالْتِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ يَتِيمٌ وَفَقِيرٌ وَيُوصِيهِ بِهِمَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) .

ثانيا

انشراح الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزُرْكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . (الانشراح/ I . 4) .

نزلت سورة الشرح بعد سورة الضحى، وكأنها تكملة لها، فيها مظاهر الرعاية والعناية الإلهية، وفيها

البشرى باليسر والفرج : ألم نفسح صدرك لهذه الدعوة ونيسر لك أمرها ؟

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ

هياً الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم لتلقي الرسالة الكريمة، وأفاض عليه من نعمه الجزيلة،

فشرح صدره بما أودع فيه من العلوم والحكم، حتى حمل أعباء النبوة، وجعل أمر التبليغ عليه سهلاً

هيناً .

وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزُرْكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ

ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك . أي : ووضعنا عنك عبأك الذي أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه

من ثقله، وضعناه عنك بشرح صدرك له فحفف وهان، وتيسيرك وتوفيقك للدعوة ومداخل القلوب .

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

ورفعنا لك ذكرك . رفعناه في الملائ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعا، ورفعناه

فجعلنا اسمك مقرونا باسم الله، كلما تحركت به الشفاه : لا إله إلا الله، محمد رسول الله .

قال مجاهد في معناه : أي لا أذكر إلا ذكرت معي .

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

فإن مع العسر يسرا . ومع الشدة فرجا، ومع قلة ذات اليد السهولة والغنى، فخذ في أسباب اليسر والتيسير، فإذا فرغت من مهمة تبليغ الرسالة فانصب واتعب في القيام بواجبات العبادة لنا . وإلى ربك فارغب . واجعل رغبتك إليه، ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه . وعلى الله فليتوكل المؤمنون . (التغابن :

. (١٣)

فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب .

إذا فرغت من شؤون الدنيا وأمرها فأتبع ذلك بالتصعب والتعب في شؤون الآخرة، وارغب إلى الله في عبادتك وصلاتك ومناجاتك وتبتلك، وقم إلى العبادة نشيطا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة .

وقيل : إذا فرغت من الصلاة المفروضة فانصب في صلاة النافلة، أو في الدعاء والاستغفار .

وإلى ربك فارغب . اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل .

وقد سار النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الهدى الكريم، فكان نموذجا يحتذى في عمله، وقيام

الليل، وتدريب المسلمين وقيادة الجيوش، وتربية الصحابة والصحابيات، وقد اقتدى به أصحابه من

بعده، فكانوا خير أمة أخرجت للناس .

(وتنتهي سورة الشرح كما انتهت سورة الضحى، وقد تركت في النفس شعورين ممتزجين :

الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل الذي ينسم على روح الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه الودود الرحيم، والشعور بالعطف على شخصه صلى الله عليه وسلم ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم، في هذه الآونة التي اقتضت ذلك الود الجميل .

إنها الدعوة، هذه الأمانة الثقيلة، وهذا العبء الذي ينقض الظهر، وهي مع هذا وهذا مشرق النور الإلهي ومهبطة، ووصلة الفناء بالبقاء، والعدم وبالوجود .

ثالثا

الأسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ

آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ [الإسراء : I]

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَوْ قَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ . (النجم/2 . 17) .

واقعة الأسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : 1]

لاينكر أحدا من ان واقعة الاسراء وحادثة المعراج هي من أكثر الأمور التي أثارت الجدل سواء من حيث وقوعها وكيفيته أو من حيث تفسيرها وان حادثة الاسراء لم تثير كل هذا الجدل حقيقة ووقوعها انما كان الخلاف في طريقته وفي تفسيرها وهل تمت بالروح والجسد أم بالروح فقط أما حادثة المعراج فهناك شك كبير بين العلماء والمفسرين في وقوعها بالأساس وسنرى ذلك مفصلا .

ان النص القرآني يذكر حادثة الاسراء بنصا صريح وقاطع ولقد جاء ذلك في الآية الأولى في سورة سميت بأسمه هي سورة الاسراء فهي قد وقعت ولنرى ما قاله المفسرون حول هذه الواقعة :

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (3/33) : " ثم اختلف الناس : هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه ، أو بروحه فقط ؟ على قولين ، فالأكثر من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناماً ، ثم رآه بعد يقظة ،

لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) الإسراء / I ،
فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقال تعالى : (أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) وقال تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الإسراء / 60 ، قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به ، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، رواه البخاري [2888] ، وقال تعالى :
(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) النجم / I7 ، والبصر من آلات الذات لا الروح .

فقيل : كان الإسراء بروحه ولم يُفقد جسده ، نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما ، ونقل عن الحسن البصري نحوه . لكن ينبغي أن يعرف الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناماً وبين أن يقال كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، فعائشة ومعاوية رضي الله عنهما لم يقلوا كان مناماً ، وإنما قالوا : أسري بروحه ولم يفقد جسده ، وفرق ما بين الأمرين أن ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج إلى السماء وذهب به إلى مكة ، وروحه لم تصعد ولم تذهب ؛ وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال ، فما أراد أن الإسراء كان مناماً ، وإنما أراد أن الروح ذاتها أسري بها ؛ ففارقت الجسد ثم عادت إليه ، ويجعلان هذا من خصائصه فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت .

قصة الإسراء والمعراج كما جاءت في بعض الأحاديث

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أُتِيْتُ بِالْبَرَاقِ - وهو دَابَّةٌ أبيضٌ طويلٌ، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرْفه - قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة؛ التي يربطُ به الأنبياءُ . قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل: اخترتَ الفطرة»... فذكر الحديث [مسلم (162)].

مفارقات حديث أنس

ان حديث أنس بن مالك رضي الله عنه على فرض انه روي عنه كما قاله وهناك شك في ذلك ان هذا الحديث يناقض نفسه بنفسه بالسؤال التالي :

لماذا كانت الوسيلة التي سخرت للرسول هي ما سمي بالبراق وقد وضعت له أوصاف خيالية وهل يخاف النبي الكريم أن يهرب منه البراق وهو مسخر له بالأساس ويقوم بربطه بحلقة فهذا أمر لا يمكن لعقل تقبله أو قبوله ولماذا لم يذهب الرسول الكريم مع جبرائيل عليهما السلام والذي كان حاضرا هناك وفق ما يروي الحديث (ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل: اخترتَ الفطرة») وجبرائيل عليه السلام الذي يقطع السموات ليصل للأرض قادر على أخذ الرسول الكريم معه في رحلة أرضية لا تتجاوز مدتها دقائق .

فأول أمر يجب معرفته هو أن الاسراء قد تم لكن ليس بواسطة البراق الذي هو حيوان مخترع لذلك هناك عدة احتمالات او حالات يمكن تنبؤها او تصورها وأقول تصورها لغياب المشهد الحقيقي فلو أن واقعة الاسراء كان فيها كلام يوضح ويصور تفاصيلها لأنتهى القول عنده لذلك فهي تدخل هنا في مفهوم الغيب

بالنسبة لنا وليس لنا سبيل الا للتنبؤ والتصور وقد نصيب في ذلك أو نخطئ لأن الحقيقة والصورة والمشهد كما حدث لا يعلمه الا الله وحده .

فماهي هذه الاحتمالات :

أولها : ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد أسري به بروحه لا بجسده كما قال البعض مثل عائشة ومعاوية رضي الله عنهما وغيرهم .

ثانيهما : انه عليه الصلاة والسلام قد أسري به بروحه وجسده وهذا القول يتفق عليه الأغلبية ونحن نؤيد هذا القول .

ثالثهما : وهو يتعلق بالوسيلة التي أوصلت الرسول الكريم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

وقلنا لا يمكن القبول بحديث أنس عن البراق وربطه وغير ذلك فيبقى أمامنا تصورين لا ثالث لهما

فأما الرسول الكريم قد أسرى به مع جبرائيل عليهما السلام بالذهاب والإياب .

وأما أسري به بطريقة سخرت له بقدره الله سبحانه وتعالى وهو قادر على كل شيء وهناك مثال على هذا النوع من القدرة الإلهية في قوله الله تعالى في قصة سليمان مع ملكة سبأ : (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَالشُّكْرَ أَمْ الْكُفْرَ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي

غَنِيٌّ كَرِيمٌ) النمل/38- 40 .

فالذي عنه علم من الكتاب استطاع أن يأتي بعرش ملكة سبأ من اليمن الى فلسطين بثوان معدودات فكيف حصل ذلك وبأي وسيلة أو طريقة هنا يقف العقل البشري عن تصورها وكذلك بالنسبة لحادثة الأسراء فهي قد وقعت وتقول ان الله قادر وقدير على كل شيء فالذي يمكن لجبرائيل قطع المسافة بين السماء والأرض في وقت قصير قادر أن ينقل عبده ورسوله الكريم بثوان من مكة المكرمة الى بيت المقدس .

حديث المعراج وخطورته

نص الحديث

الكتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
باب المعراج

وفي حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا؛ إذ أتاني ات، فقد - قال: وسمعتة يقول: فسق - ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرتة وسمعتة يقول: من قصبه إلى شعرتة - فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي، ثم حشيت، ثم أعيدت، ثم أتيت بدابة دون البغل، وفوق الحمار أبيض - فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟! قال: أنس: نعم - يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به، فنعم الجيء جاء، ففتح، فلما خلصت؛ فإذا فيها آدم،

فقال: هذا أبوك آدم، فسَلَّمْ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصَّالح، والتَّيِّبِ الصَّالح. ثم صعد بي حتَّى أتى السَّماءَ الثَّانيةَ فاستفتح، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلَمَّا خَلَصْتُ؛ إذا يحيى، وعيسى - وهما ابنا خالَةٍ - قال: هذا يحيى، وعيسى، فسَلَّمْ عليهما، فسَلَّمْتُ فردًّا، ثم قالاً: مرحباً بالأخ الصَّالح والتَّيِّبِ الصَّالح. ثم صعد بي إلى السَّماءِ الثَّالثة، فاستفتح، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلَمَّا خَلَصْتُ؛ إذا يوسفُ، قال: هذا يوسفُ فسَلَّمْ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصَّالح، والتَّيِّبِ الصَّالح.

ثم صعد بي حتَّى أتى السَّماءَ الرَّابعةَ، فاستفتح، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلَمَّا خَلَصْتُ؛ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسَلَّمْ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصَّالح، والتَّيِّبِ الصَّالح، ثم صعد بي حتَّى أتى السَّماءَ الخامسةَ، فاستفتح، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلَمَّا خَلَصْتُ؛ فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسَلَّمْ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصَّالح، والتَّيِّبِ الصَّالح، ثم صعد بي حتَّى أتى السَّماءَ السَّادسةَ، فاستفتح، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء. فلَمَّا خَلَصْتُ؛ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسَلَّمْ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصَّالح، والتَّيِّبِ الصَّالح؛

فلَمَّا تجاوزتْ؛ بكى، قيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي؛ لأنَّ غلاماً بعثَ بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممَّن يدخلها من أمتي.

ثمَّ صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، ونعم الحجيء جاء، فلَمَّا خلصت؛ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فردَّ السلام، ثمَّ قال: مرحباً بالابن الصالح، والتبي الصالح، ثمَّ رُفِعَتْ لي سِدْرَةُ المنتهى، فإذا نَبْتُها مثل قِلالِ هَجْر، وإذا ورقها مثل اذانِ الفيلة، قال: هذه سِدْرَةُ المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟! قال: أمَّا الباطنان؛ فههران في الجنة، وأمَّا الظاهران؛ فالتيلُّ والفرات، ثمَّ رُفِعَ لي البيت المعمور، ثمَّ أُتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذتُ اللبَنَ، فقال: هي الفطرة؛ التي أنت عليها، وأمُّك، ثمَّ فُرِضَتْ عليَّ الصَّلَاةُ خمسين صلاةً كلَّ يومٍ، فرجعتُ، فمررتُ على موسى؛ قال: بِمِ أُمِرْتَ؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كلَّ يومٍ. قال: إنَّ أمَّك لا تستطيع خمسين صلاةً كلَّ يومٍ، وإنِّي والله! قد جرَّبتُ النَّاسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجعْ إلى ربك، فاسأله التَّخْفِيفَ لأمِّك، فرجعتُ، فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى، فقال مثله، فقال مثله، فرجعتُ، فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى، فقال مثله، فرجعتُ، فقال مثله، فرجعتُ إلى موسى، فقال: بِمِ أُمِرْتَ؟ قلت: أُمرتُ بخمسين صلواتٍ كلَّ يومٍ، قال: إنَّ أمَّك لا تستطيع خمس صلواتٍ كلَّ يومٍ، وإنِّي قد جرَّبتُ النَّاسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجعْ إلى ربك فاسأله التَّخْفِيفَ لأمِّك، قال:

سألت ربي حتى استحييتُ، ولكن أرضى، وأسلم، قال: فلَمَّا جاوزت نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي،

وخفت عن عبادي» [البخاري (3207) ومسلم (164)]

ان هذا الحديث لا يمكن قبوله بأي شكل من الأشكال وذلك للأسباب التالية :

أولا : انه قائم على رواية لم يروي صاحبها الا هي :

فتح الباري شرح صحيح البخاري « كتاب مناقب الأنصار » جاء ما يلي في مقدمة شرح الحديث

قوله : (عن مالك بن صعصعة) أي ابن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري من بني النجار ، ما له في

البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث ، ولا يعرف من روى عنه إلا أنس بن مالك .

قوله : (فقلت للجارود) لم أر من نسبه من الرواة ، ولعله ابن أبي سبرة البصري صاحب أنس ، فقد

أخرج له أبو داود من روايته عن أنس حديثا غير هذا .

ثانيا : ان هذا الحديث يروي واقعة شق صدر النبي عليه الصلاة والسلام بالرغم ان هناك ثلاث حالات

غيرها تفيد بوقوع عملية شق بطن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وهذا غير مقبول وغير منطقي

لأن الحادثة ذاتها غير معقولة وتنافي طبيعة الرسول الكريم القائمة على ايمانه الفطري وعقله السليم وان

أخذ نصيب الشيطان من قلبه يعني أنه مسير ومجبر للسير في طريق الايمان وهذا يتنافي كليا ما يجب أن

يتحلى به الأنبياء من صبر ومعاناة في سبيل نشر دعوتهم كما أنها تفيد بعكس ماأريد منها فلو ان فرضنا

حسب قولهم ان عملية الشق قد تمت لإزالة حظ الشيطان فهل يعني هذا انه اذا لم تتم سيبقى الرسول

الكريم خاضعا للشيطان وحاشاه ان يكون ذلك .

ثالثاً : لا يعقل أن تقوم للنبي الكريم أربع عمليات جراحية خلال مدة حياته لحجة خرافية واهمة فهناك أربع روايات تتحدث عن ذلك :

أن الحادثة وقعت للنبي محمد، وهو صغير في ديار بني سعد بن هوازن في فترة الرضاع التي قضها النبي محمد في بادية بني سعد، كحديث أنس بن مالك الذي جاء في صحيح مسلم ومسنده أحمد .

أن الحادثة وقعت عند البيت الحرام في مكة قبيل رحلة الإسراء والمعراج كما في حديثي البخاري في صحيحه في كتابي «مناقب الأنصار» و«بدء الخلق» وحديثي الترمذي والنسائي في سننهما .

أن الحادثة وقعت قبل أن يوحى إلى النبي محمد في مكة عند البيت الحرام كما في حديث البخاري في كتاب «التوحيد» .

أن الحادثة وقعت في بيت النبي محمد في مكة قبل رحلة الإسراء والمعراج مباشرة كما في حديث البخاري في كتاب «الصلاة»، وحديث مسلم عن أبي ذر .

فقد استنكر محمد الغزالي مسألة شق الصدر لاستخراج علقمة من قلب النبي محمد، فقال في كتابه «فقه السيرة»: «لو كان الشرّ إفراز غدة في الجسم ينحسم بانحسامها؛ أو لو كان الخير مادة يزود بها القلب كما تزود الطائفة بالوقود، فتستطيع السمّ والتحليق . . . لقلنا: إنّ ظواهر الآثار مقصودة، ولكن أمر الخير والشر أبعد من ذلك؛ بل من البديهي أنه بالناحية الروحية في الإنسان الصق». كما تناول محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد» مسألة شق الصدر في بادية بني سعد، فقال: «لا يطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه ويرونها ضعيفة السند . فالذي رأى الرجلين في

رواية كتاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلاً، وكانت كذلك سن محمد يومئذ . والروايات تجمع على أن محمداً أقام ببني سعد إلى الخامسة من عمره . فلو كان هذا الحادث قد وقع وسنه سنتان ونصف سنة، ورجعت حليلة وزوجها إذ ذاك به إلى أمه، لكان في الروايتين تناقض غير مقبول . ولذلك يرى بعض الكُتّاب أنه عاد مع حليلة مرة ثالثة . ولا يرضى المستشرق سير وليم موير أن يشير إلى قصة الرجلين في ثيابهما البيضاء، ويذكر أنه إن كانت حليلة وزوجها قد نبها لشيء أصاب الطفل، فلعله نوبة عصبية أصابته، ولم يكن لها أن تؤذي صحته لحسن تكوينه . ولعل آخرين يقولون: إنه لم يكن في حاجة إلى من يشقّ بطنه أو صدره ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسالته . ويرى درمنجم أن هذه القصة لا تستند إلى شيء غير ما يفهم من ظاهر الآيات: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وأن ما يشير القرآن إليه، إنما هو عمل روحيّ مجت، والغاية منه تطهير هذا القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصاً، ويؤدّيها مخلصاً تمام الإخلاص محتملاً عبء الرسالة المضني .

رابعا : من المضحك المبكي أن يفسر قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) بطريقة جراحية يرسل الله جبرائيل عليه السلام ليفتح صدر الرسول الكريم وينظفه مما استحوذ عليه الشيطان عدة مرات متتالية .

ثالثا : ان حادثة الاسراء واضحة وضوح الشمس فلقد ذكرت بنص صريح في القرآن الكريم لا يقبل النقاش والجدل وذكرنا ان هناك خلاف فقط حول هل الاسراء كان بالروح ام بالروح والجسد أما حادثة المعراج فليس لها أي ذكر في القرآن لا بالصفة أو الفعل أو الإشارة وأن ما ورد في سورة النجم فكثير من كتب التفسير تتحدث عن جبرائيل وليس عن الرسول الكريم عليهما السلام .

التفسير الميسر

عَلَّمَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكٌ شَدِيدُ الْقُوَّةِ، ذُو مَنْظَرٍ حَسَنٍ، وَهُوَ جَبْرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي ظَهَرَ وَاسْتَوَى عَلَى صُوْرَتِهِ الْحَقِيْقِيَّةِ لِلرَّسُوْلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى، وَهُوَ أَفْقُ الشَّمْسِ عِنْدَ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ دَنَا جَبْرِيْلٌ مِنَ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَزَادَ فِي الْقُرْبِ، فَكَانَ دَوُّهُ مَقْدَارَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَقْرَبَ مِنْ ذَلِكَ. فَأَوْحَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَوْحَى بِوَسْطَةِ جَبْرِيْلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. مَا كَذَبَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى بِبَصَرِهِ.

السعدى : عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى

ثم ذكر المعلم للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو جبريل [عليه السلام]، أفضل الملائكة [الكرام] وأقواهم وأكملهم، فقال: ﴿عَلَّمَهُ [شَدِيدُ الْقُوَى]﴾ ❁ أي: نزل بالوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام، ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ❁ أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين.

(أَقْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) قَرَأَ حَمِزَةَ وَالْكَسَائِي وَيَعْقُوبُ : "أَقْتَمَارُونَهُ" بفتح التاء [وسكون الميم]

بلا ألف ، أي : أفتجحدونه ، تقول العرب : مريت الرجل حقه إذا جحدته ، وقرأ الآخرون : "

أَقْتَمَارُونَهُ" بالألف وضم التاء على معنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين أسري به ،

فقالوا : صف لنا بيت المقدس ، وأخبرنا عن غيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به ، والمعنى :

أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما رآه وعلمه .

(ولقد رآه نزلة أخرى) يعني : رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أخرى ، وذلك أنه رآه في صورته مرتين ، مرة في الأرض ومرة في السماء .

والخلاصة

كانت حادثة الإسراء قبل هجرته - عليه السلام - بسنة، هكذا قال القاضي عياض في الشفا، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته الميمونية؛ أخبر قومه بذلك، فقال لهم في مجلس حضره المطعم بن عدي، وعمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة: إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصليت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فثُشِر لي رهطٌ من الأنبياء؛ منهم: إبراهيم، وموسى وعيسى، وصليت بهم، وكلمتهم، فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال: أما عيسى: ففوق الرّبعة، ودون الطول، عريض الصّدر، ظاهر الدّم، جعدٌ، أشعرٌ، تعلوه صُهبةٌ، كأنه عروة بن مسعود الثّقفي. وأما موسى: فضخّم آدم، طوالٌ، كأنه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلّص الشّفة، خارج اللّثة، عابسٌ، وأما إبراهيم: فوالله إنه لأشبه النّاس بي، خلُقاً، وخُلُقاً. فقالوا: يا محمد! فصف لنا بيت المقدس، قال: «دخلت ليلاً، وخرجت منه ليلاً»، فأتاه جبريل بصورته في جناحه، فجعل يقول: «بابٌ منه كذا، في موضع كذا، وبابٌ منه كذا، في موضع كذا».

ثمّ سألوهم عن غيرهم، فقال لهم: «أتيت على غير بني فلان بالروحاء، قد ضلّت ناقةٌ لهم، فانطلقوا في طلبها، فاتمّيت إلى رحالهم، ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء، فشربت منه، فاسألوهم عن ذلك» - قالوا: هذه والإله أية! - «ثمّ انتهيت إلى غير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جملٌ أحمر، عليه جُوالقٌ مخطّطٌ ببياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا؟ فاسألوهم عن ذلك» - قالوا: هذه والإله أية! -

«ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التّنعيم، يقدمها جملٌ أورك، وها هي تطلع عليكم من الثّنية» فقال الوليد بن المغيرة: ساحرٌ، فانطلقوا، فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال [المطالب العالمة (4/201 - 204)، ومجمع الزوائد (1/75 - 76) وابن هشام في السيرة النبوية (2/II)]. كانت هذه الحادثة قننةً لبعض الناس، ممّن كانوا امنوا، وصدّقوا بالدعوة، فارتدّوا، وذهب بعض الناس إلى أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم: أنّه أسري به الليلة إلى بيت المقدس! قال: أو قال ذلك؟! قالوا: نعم! قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق! قالوا: أو تصدّقه: أنّه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بنجر السماء، في غدوةٍ أو روحة. فلذلك سُمي أبو بكر: الصّديق [الحاكم (3/62)].

كان إسرائ النبي صلى الله عليه وسلم، بالروح والجسد يقظةً إلى بيت المقدس، وعلى هذا جماهير السلف، والخلف، ولا يُعوّل على من قال: إنّ الإسرائ كان بروحه، وأنّه رؤيا منام؛ إذ لو كان الإسرائ مناماً؛ لما كانت فيه آية، ولا معجزة، ولما استبعده الكفار، ولا كذبوه؛ إذ مثل هذا من المنامات لا يُنكر، ثمّ إنّ في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، والمقصود بعبدّه: سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، وكلمة «بعبدّه» تشمل روحه، وجسده.

رابعاً

ما ضلّ صاحبكُم وما غوى

وقوله: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) يقول تعالى ذكره : ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحق ولا زال عنه، ولكنه على استقامة وسداد .

ولقد رأينا أثناء فهمنا لمعنى ووجدك ضالاً فهدى وقلنا ان الرسول الكريم صلى اللع عليه وسلم لم يكن ضالاً عن الحق والايامن انما كان لا يعرف الطريق السوي اليهما لذلك فهداه الله وهذه الآية تؤكد أنه لم يكن ضالاً مثلكم يسير في طريقكم ومعكم .

ويعني بقوله (وَمَا غَوَى) : وما صار غويًا، ولكنه رشيد سديد، يقال: غَوِيَ يَغْوِي من الغي، وهو غاور، وَغَوِيَ يَغْوِي من اللين (2) إذا بَشِمَ . وقوله: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) جواب قسم والنجم .

خامسا

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

فليس معنى هذه الآية أن كل كلام ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً يكون وحياً من عند الله، وإنما معناها أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ فيما يبلغه عن الله، بخلاف غيره من الكلام الذي يحتمل الاجتهاد .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه . رواه البزار وابن حبان في صحيحه . وقال الهيثمي: فيه أحمد بن منصور الرمادي، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح . .

وقال الطبري: يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه. . .

وقال البغوي: يريد لا يتكلم بالباطل؛ وذلك أنهم قالوا: إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - يقول القرآن من تلقاء نفسه. اهـ.

وقال البيضاوي: وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى.

وقال النسفي: وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، إنما هو وحي من عند الله يوحى إليه، ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام، ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقرهم عليه كان كالوحي، لا نطقاً عن الهوى. اهـ.

وقد اختلف في مسألة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في ما لم ينزل عليه فيه وحي، وقد ذهب الجمهور إلى أنه صلى الله عليه وسلم يجوز له أن يجتهد في الأحكام الشرعية والأمور الدينية.

وإذا اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في حكم: فإن كان صواباً أقر عليه، وإن كان خطأً لم يُقر عليه، ونزل الوحي مبيئاً ذلك.

ومن الأمثلة على هذا: اجتهاده صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر وأخذه الفداء منهم، واجتهاده صلى الله عليه وسلم في إذنه للمنافقين في التحلف عن عزوة تبوك.

قال الشيخ زكريا الأنصاري - رحمه الله -: الأصح (جواز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم ووقوعه) لقوله تعالى ﴿ ما كان لنبِيِّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾، ﴿ عفا الله عنك لم

أذنت لهم ﴿ عوتب على استبقاء أسرى بدر بالفداء، وعلى الإذن لمن ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة تبوك، والعتاب لا يكون فيما صدر عن وحي، فيكون عن اجتهاد . انتهى .

سادسا

بسم الله الرحمن الرحيم

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . (البقرة / 137) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: 36]

يقول الشيخ محمد الشعراوي في تفسير هذه الآية (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) :

((وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي لا تلتفت إلى معاركهم ولا إلى حوارهم فالله يكفيك بكل

الوسائل عن سواه وقرأ قوله سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ . . [الزمر: 36] .

اللَّهُ سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا حاول اليهود والنصارى والمناققون أن يكيدوا لك

ويؤذوك والمؤمنين، فالله سبحانه وتعالى يكفيك لأنه عليم بصير لا يخفى عليه شيء . . ولقد حاول

اليهود قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة وحاولوا إيذائه بالسحر فأبطل الله كيدهم وأظهر

ما خفي منه وأطلع رسوله عليه . . فمهما استخدموا من وسائل ظاهرة أو خفية فسيفيك الله شرها

ولذلك قال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . . أي سميع بما يقال، عليم بما يدبرونه . بل

يعلم ما في صدورهم قبل أن ينطقوا به . . فلا تعتقد أن شيئا يفوت على الله سبحانه أو يفلت منه . إن

كل حركة قبل أن تحدث يعلمها سبحانه، وكل كيد قبل أن يتم هو محبطه . فإذا كان الله سبحانه وتعالى معك فماذا تخشى؟ ومن تخاف؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يصل إليك؟ . وأنت معك عليم بكل ما سيحدث حتى يوم القيامة وبعد يوم القيامة . . ومادام معك القوي الذي لا يضعف أبدا والحي الذي لا يموت أبدا والعليم بكل شيء فلا تخشى أحدا لأنك في أمان الله سبحانه)). .

سابعاً

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ

أليس الله بكاف عبده أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامثل أمره واجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناواه بسوء .

ويخوفونك بالذين من دونه من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم .

ومن يضل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . أليس الله بعزیز له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعزته يكفي عبده ويدفع عنه مكربهم . ذي انتقام ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته .

والحقيقة ان قول الله سبحانه وتعالى هو بمثابة حصن منيع يحمي به كل الذين طلبوا من الله حمايته وعونه فالله عندها يكفي عبده ولا حاجة لنا أن نركن الى غيره ونطلب منه العون والمدد والمساعدة والدعم والمؤازرة حينما تعتقد قلوبنا وتيقن بأن الله وحده كافيا فأنا الله لا يخلف وعده ولا يخلف ميعاده

ثامنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ (المائدة/67)

وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ هَذِهِ حِمَايَةٌ وَعِصْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مِنَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حِرْصُكَ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّبْلِيغِ، وَلَا يَتَيْنِكَ عَنْهُ خَوْفٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ نَوَاصِيَهُمْ بِيَدِ اللَّهِ وَقَدْ تَكْفَلُ بِعِصْمَتِكَ، فَأَنْتَ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا قِصْدَ لَهُمْ إِلَّا اتِّبَاعَ أَهْوَائِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيهِمْ وَلَا يُوَفِّقُهُمْ لِلْخَيْرِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ. "انتهى من "تفسير السعدي" (239).

وقال "ابن كثير" (3/150): "وقوله: والله يعصمك من الناس أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فإن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك.

وروى "الترمذي" (3046) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ: وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ).

تاسعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (التكويد/24)

و ماهو الضنين ؟

(وما هو) يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - (على الغيب) أي الوحي ، وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من الأنباء والقصاص ، (بضنين) قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء أي بمتهم ، يقال : فلان يظن بمال ويزن أي يتهم به : والظنة : التهمة ، وقرأ الآخرون بالضاد أي يبخل ، يقول إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا ، تقول العرب : ضننت بالشيء بكسر النون أضن به ضنا وضنائة فأنا به ضنين أي يبخل . (وما هو) يعني القرآن (بقول شيطان رجيم) قال الكلبي : يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش . (فأين تذهبون) أي أين تعدلون عن هذا القرآن ، وفيه الشفاء والبيان ؟ قال الزجاج : أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم . ثم بين فقال : (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكر للعالمين) موعظة للخلق أجمعين . (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي يتبع الحق ويقيم عليه . (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله ، وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرا إلا بحذالته .

وهذا تفسير الآية كما وردت في العديد من كتب الحديث

التفسير الميسر : وما هو على الغيب بضنين

وما محمد الذي تعرفونه بمجنون، ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة في الأفق العظيم، وما هو
ببخيل في تبليغ الوحي . وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله
ووحيه .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

وليس صاحبكم ببخيل عليكم يبخل أن يبلغكم ما أمر بتبليغيه إليكم، ولا يأخذ أجرًا كما يأخذه
الكهنة .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 24

«وما هو» محمد صلى الله عليه وسلم «على الغيب» ما غاب من الوحي وخبر السماء «بظنين» أي
بمتهم، وفي قراءة بالضاد، أي ببخيل فينتقص شيئاً منه .

تفسير السعدي : وما هو على الغيب بظنين

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ - أي: وما هو على ما أوحاه الله إليهم بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم
بعضه، بل هو صلى الله عليه وسلم أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين،
فلم يشح بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرءوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا
بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمت صلى الله عليه وسلم حتى كانوا علماء
ربانيين، وأحبارا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم، وهم
الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم .

تفسير البغوي : مضمون الآية 24 من سورة التكويد

(وما هو) يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم - (على الغيب) أي الوحي ، وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من الأنباء والقصاص ، (بضنين) قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء أي بمتهم ، يقال : فلان يظن بما لا يوزن أي يتهم به : والظنة : التهمة ، وقرأ الآخرون بالضاد أي يبخل ، يقول إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا ، تقول العرب : ضنت بالشيء بكسر النون أضن به ضنا وضنائة فأنا به ضنين أي بخيل .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

والضمير في قوله-تبارك وتعالى-: وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المعبر عنه قبل ذلك بصاحبكم .

والغيب: ما غاب عن مدارك الناس وحواسهم، لأن الله-تبارك وتعالى- قد استأثر بعلمه .

والضنين: هو البخيل بالشيء، مأخوذ من الضن- بالكسر والفتح- بمعنى البخل .

قال الآلوسی: «وما هو» أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم «على الغيب» أي: على ما يخبر به من

الوحي إليه وغيره من الغيوب «بضنين» من الضن- بكسر الضاد وفتحها- بمعنى البخل، أي: ببخيل،

أي: لا يبخل بالوحي، ولا يقصر في التعليم والتبليغ، ومنح كل ما هو مستعد له من العلوم، على خلاف

الكهنة فإنهم لا يطلعون غيرهم على ما يزعمون معرفته إلا بإعطائهم حلوانا .

وقرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمر بظنين- بالظاء- أي: وما هو على الغيب بمتهم، من الظنة- بالكسر-
بمعنى التهمة .

ثم قال: ورجحت هذه القراءة، لأنها أنسب بالمقام، لاتهام الكفرة له صلى الله عليه وسلم بذلك، ونفى
التهمة، أولى من نفي البخل . وهذا القول لا نوافق الآلوسی - رحمه الله - عليه، لأن القراءة متى ثبتت
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز التفاضل بينها وبين غيرها التي هي مثلها في الثبوت، والقراءتان
هنا سبعيتان، ومن ثم فلا ينبغي التفاضل بينهما .

والمعنى عليهما واضح ولا تعارض فيه .

أي: وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل بتبليغ الوحي، بل هو مبلغ له على أكمل وجه وأتمه، وما
هو- أيضا - بمتهم فيما يبلغه عن ربه، لأنه صلى الله عليه وسلم سيد أهل الصدق والأمانة .

وما هو على الغيب بظنين: تفسير ابن كثير

وقوله ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي: بمتهم ومنهم من
قرأ ذلك بالضاد أي: ببخيل بل يبذله لكل أحد

قال سفيان بن عيينة ظنين وضمن سواء أي ما هو بكاذب وما هو بفاجر والظنين المتهم والظنين :

البخيل

وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضمن به على الناس بل بلغه ونشره وبذله لكل من
أراده وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد .

عاشرا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . (الحجر/95) .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

وقوله إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ تعليل للأمر بالجهر بالدعوة، بعد أن مكث صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام سرا ثلاث سنين أو أكثر.

وقوله كَفَيْنَاكَ . . من الكفاية .

وتقول: كَفَيْتَكَ عدوك أي: كَفَيْتَكَ بأسه وشره .

والمراد بالمستهزئين: أكابر المشركين في الكفر والعداوة والاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم أي: إنا كَفَيْنَاكَ الانتقام من المستهزئين بك وبدعوتك، وأرحناك منهم، بإهلاكهم .

وذكر بعضهم أن المراد بهم خمسة من كبرائهم، وهم: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن عيطل، والعاص بن وائل: وقد أهلكهم الله جميعا بمكة، وكان هلاكهم العجيب من أهم الصوارف لأتباعهم عن الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام الرازي: واعلم أن المفسرين قد اختلفوا في عدد هؤلاء المستهزئين، وفي أسمائهم، وفي كيفية طريق استهزائهم، ولا حاجة إلى شيء منها .

والقدر المعلوم أنهم طبقة لهم قوة وشوكة ورياسة، لأن أمثالهم هم الذين يقدرون على إظهار مثل هذه السفاهة، مع مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في علو قدره، وعظم منصبه، ودل القرآن على أن الله-تبارك وتعالى- أفناهم وأبادهم وأزال كيدهم .

حادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا (الطور/48)

معنى آية "واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بالصبر؛ وذلك تسليية له بعد ما ساقته السورة أخبار المشركين وضلالهم وبعدهم عما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والآيات الواضحات أما قوله تعالى: (لِحُكْمِ رَبِّكَ) فقد جاءت في تفسيره أقوال، منها: اصبر لقضاء ربك الذي جعلك نبياً وحملك الرسالة. اصبر على ما ابتليت به من بلاء وأذى في قومك، ولا تبال بهم اصبر على حكم ربك القدري والشرعي، والمقصود بالحكم القدري هو: ما قدره الله سبحانه وتعالى من الإحياء والإماتة، والمرض والفقر، والمصائب والضعف والرزق، وغير ذلك من الأمور التي يقدرها الله سبحانه وتعالى والتي تحتاج من العبد صبراً، لأنها قد تكون بخلاف ما يهوى ويحب، وأما الحكم الشرعي فالمقصود به الأحكام التي جاءت بها الشريعة من وجوب ونهي، وتحليل وتحريم، وغير ذلك من الأحكام التي يجب الصبر عليها والقبول بها وعدم الاعتراض عليها فهي أمر الله عز وجل وشرعه وهذا القول يشمل القولين السابقين؛ فالله سبحانه وتعالى قدر لنبيه صلى الله

عليه وسلم أن يكون نبياً وكلفه بحمل الرسالة فيجب عليه تبليغ هذه الرسالة وأن يصبر على ما يصيبه في سبيل ذلك وهذا الحكم الشرعي، أما الحكم القدرى فهو ما ابتلي به صلى الله عليه وسلم وتعرض له من الأذى والظلم والسخرية من هؤلاء القوم في سبيل تبليغ هذه الرسالة ثم علل سبحانه وتعالى أمره لنبيه بالصبر بقوله تعالى: (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أي: اصبر لأنك بأعيننا، فإننا نراك ونرى عمالك، فنحن نحفظك ونحميك، فلا يصيبك أذى المشركين، وهذه الآية الكريمة تشبه قول القائل لمن يحبه ويشفق عليه: أنت في عيني، أي: أنت في حمايتي ورقابتي، فليس المقصود أن الشخص حال أو موجود في عينه بل هو أسلوب من أساليب الكلام دلالة جمع العين في قوله تعالى: "فإنك بأعيننا" جاء في تفسير جمع العين في قوله تعالى: (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) تعليان، هما: جمعت لأنها أضيفت إلى ضمير الجماعة (نا)، أما لما كان الضمير مفرداً أفرد العين وذلك في قوله تعالى في سورة طه: (وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) جمعت للمبالغة بالحفظ حتى كأن معه جماعة حفظة يحفظونه بأعينهم .

أما تفسير القرطبي، لقوله تعالى: واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا فيه مسألتان: الأولى: واصبر لحكم ربك قيل: لقضاء ربك فيما حملك من رسالته، وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك . الثانية: قوله تعالى: فإنك بأعيننا أى بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما نقول وتفعل، وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك، والمعنى واحد، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ولتصنع على عيني أى بحفظى وحراستى وقد تقدم .

وقال الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال في كتابه (معجم الألفاظ العامية، ذات الحقيقة والأصول العربية): نقول في دارجتنا: "أقضى لك حاجة كذا، على عيني ورأسي". أى سأقضيها في فرح وامتنان، وعزم أكيد .

وأما قوله تعالى: **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** [الطور: 48] فليست من هذا الباب، وإنما معناها كما قال الطبري في تفسيره: فإنك بمرأى منا، نراك، ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أراذك بسوء من المشركين .

وكذلك قال النحاس في (إعراب القرآن)، وقال تفسير الماوردي في تفسيره: ﴿ **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: بعلمنا، قاله السدي، والثاني: بمرأى منا، حكاه ابن عيسى، والثالث: بحفظنا وحراستنا، ومنه قوله تعالى لموسى: ﴿ **وَلَتُصَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي** ﴾ [طه: 39] بحفظي وحراستي، قاله الضحاك .

ثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (الأنفال/ 33) .

تفسير السعدي : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم

فمنذ قالوا: ﴿ **اللَّهُمَّ إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ** ﴾ الآية، علم بمجرد قولهم أنهم السفهاء الأغبياء،

الجهلة الظالمون، فلو عاجلهم الله بالعقاب لما أبقى منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب

وجود الرسول بين أظهرهم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فوجوده - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم أمانة لهم من العذاب. وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رؤوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله [تعالى فلماذا] قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

تفسير الجلالين : قال تعالى: «وما كان الله ليعذبهم» بما سأله «وأنت فيهم» لأن العذاب إذا نزل عمّ ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» حيث يقولون في طوافهم: غفرانك، غفرانك. وقيل أهم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى: (لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم تعقب السورة على هذا الدعاء الغريب الذي حكته عن مشركي مكة، فتبين الموجب لإمهالهم وعدم إجابة دعائهم فتقول: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

أى: وما كان الله يريد أن يعذب هؤلاء الذين دعوا بهذا الدعاء الغريب تعذيب استئصال وإهلاك، وأنت مقيم فيهم - يا محمد - بمكة، فقد جرت سنته - سبحانه - ألا يهلك قرية مكذبة وفيها نبيها والمؤمنون به حتى يخرجهم منها ثم يعذب الكافرين .

واللام في قوله لِيُعَذِّبَهُمْ لتأكيد النفي، وللدلالة على أن تعذيبهم والرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة .

والمراد بالاستغفار في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ استغفار من بقي بينهم من المؤمنين المستضعفين الذين لم يستطيعوا مغادرة مكة بعد أن هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون .

أى: ما كان الله يريد لتعذيبهم وأنت فيهم- يا محمد- وما كان- أيضا- يريد تعذيبهم وبين أظهرهم بمكة من المؤمنين المستضعفين من يستغفر الله، وهم الذين لم يستطيعوا مغادرتها واللحاق بك في المدينة .

قالوا: ويؤيد أن هذا هو المراد بالاستغفار قوله-تبارك وتعالى- في آية أخرى: لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً أى: لو تميز المؤمنون عن الكافرين لعذبنا الذين كفروا عذاباً أليماً .

وأسند- سبحانه - الاستغفار إلى ضمير الجميع، لوقوعه فيما بينهم، ولتنزيل ما صدر عن البعض منزلة ما صدر عن الكل .

كما يقال: قتل أهل بلدة كذا فلانا والمراد بعضهم .

ويرى بعضهم أن المراد بالاستغفار المذكور: استغفار الكفرة أنفسهم كقولهم: غفرانك .

في طوافهم بالبيت، أو ما يشبه ذلك من معاني الاستغفار وكأن هذا البعض يرى أن مجرد طلب المغفرة منه- سبحانه - يكون مانعا من عذابه ولو كان هذا الطلب صادرا من الكفرة .

ويرجح ابن جرير أن المراد بقوله: وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ نفي الاستغفار عنهم فقد قال بعد أن ذكر بضعة آراء: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم، لأنى لا أهلك قرية وفيها نبيا، وما كان الله معذبهم وهم

يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون . . .

قال بعض المحققين: والقول الأول أبلغ لدلالته على أن استغفار الغير مما يدفع به العذاب عن أمثال هؤلاء الكفرة.

ثم قال: روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله على أماني لأمتي «وما كان الله ليعذبهم . . .» الآية.
فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة» .

قال ابن كثير: ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم.
فقال الله-تبارك وتعالى- فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني» .

ثالث عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (الحج/67)

طلب الهداية (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

الهداية في الآية بمعنى : طلب التوفيق والإرشاد إلى الحق، والدلالة عليه، والثبات على الصراط إلى
الممات .

والمعنى : ألهمنا يا ربنا ووقفنا وأرشدنا ودلنا على طريق الخير والهدى والفلاح ، وهو الطريق الموصل
إلى الله تعالى وإلى جنته بمعرفة الحق والعمل به ولزوم دين الإسلام وترك ما سواه .

المناسبة : ولما كان الجانب الديني في الاستعانة المذكورة في الآية قبلها هو الأهم، كان طلب المسلم للهداية
أهم ما ينبغي على العبد أن يلح في دعائه لله تعالى بشأنه؛ لأن طلب الهداية من الله تعالى، والاستعانة به
سبحانه على تحقيقها، أهم ما يشغل المسلم، وأول أمر يعنيه هو الحاجة إلى الهداية، والعبد وإن كان من
المهتدين إلا أنه محتاج ليل نهار إلى سؤال الهداية من ربه، وتثبته عليها، وازدياده منها، واستمراره عليها،
وهو مفتقر في كل ساعة إلى إجابة الدعاء .

ومن هنا فإن المسلم يردد طلب الهداية من الله تعالى، وهو يناجيه في صلاته كلها، فريضة أو نافلة، آناء
الليل وأطراف النهار وما بين ذلك، عشرات المرات في اليوم الواحد .

قال ابن القيم : ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، أجل المطالب لنيل أشرف المواهب،
علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يدي الدعاء حمده سبحانه، والثناء عليه، وتمجيده،
ثم ذكروهم بعبوديته وتوحيده، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم :

1- توسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته .

2- توسل إليه بعبوديته والاستعانة به سبحانه .

وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء .

وقد اشتملت سورة الفاتحة في نصفها الأول على هذين النوعين من التوسل، ثم كان الدعاء بعدهما في النصف الثاني، بطلب الهداية من الله تعالى، وسلوك طريق الذين أنعم الله عليهم بالاستقامة والسعادة في الدارين .

وقد جمعت سورة الفاتحة بين التوسل بالحمد والثناء، والتوسل بالتوحيد والعبودية، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وهو طلب الهداية بعد هاتين الوسيلتين، فالداعي حينئذ حقيق بالإجابة بمحض فضل الله تعالى عليه .

فنصف سورة الفاتحة الأول يشتمل على نوعي التوسل المشروع؛ وهما: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه سبحانه بالعبادة والعمل الصالح .

وقد جاء النوع الأول في حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده .

وجاء النوع الثاني في توجه العبد بعبادته إلى الله وحده واستعانة به سبحانه .

وبعد ذلك يكون العبد حريًا بإجابة الدعاء، وقد طلب من ربه أن يهديه إلى أعدل الطرق وأقومها، ويبعده عن طريق أهل الغضب والضلال، بعد أن قدم بين يدي ربه دواعي الإجابة، فيكون جديرًا بالهداية .

I- فالتوسل المشروع يكون بأسماء الله تعالى الحسنی وصفاته العليا، كما قال تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا" [الأعراف: 180] أي: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنی .

كأن يقول العبد : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، وكما في حديث الرجل الذي سأل ربه الجنة في تشهده بأسمائه الحسنی وصفاته العليا .

وهو حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول في تشهده : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، فقال صلى الله عليه وسلم : «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى» (رواه أبو داود والنسائي وأحمد في «المسند» قال محققوه: حديث صحيح وإسناد قوي، والبخاري في «الأدب المفرد» وابن حبان وغيرهم بإسناد صحيح) .

فهذا توسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته .

2- ويكون التوسل المشروع أيضاً بالعبادة والعمل الصالح الذي قدمه العبد بنفسه، كما في قصة الثلاثة الذين آواهم الغار وانطبقت عليهم الصخرة، فدعا كل منهم ربه بعمل صالح عمله، حيث دعا الأول ربه بربه لوالده، ودعا الثاني بحفظ الأمانة وتنميتها لصاحبها، ودعا الثالث بترك شهوته خوفاً من الله تعالى، بعد أن تمكن من المرأة، وقعد بين شعبها الأربع، ورفع الله عنهم الصخرة، والحديث في الصحيحين .

ومن ذلك قوله تعالى : "الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [آل عمران: 16] وقوله تعالى : "رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمْنَا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ" [آل عمران: 19] .

ومن ذلك حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو ويقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال : «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب» (رواه أحمد بإسناد صحيح ورجال ثقات رجال الشيخين، والترمذي والنسائي في «الكبرى» وابن حبان وأبو داود وغيرهم).

فهذا توسل إلى الله تعالى بعمل صالح هو الشهادة والتوحيد .

والهداية تتعدى بنفسها وبغيرها :

I- الهداية قد تتعدى بنفسها، كما قال تعالى : "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" [البلد: IO] أي: طريق الخير والشر

2- وقد تتعدى الهداية باللام، كما قال تعالى على لسان أهل الجنة : "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا

كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ" [الأعراف: 43] .

أي : الحمد لله الذي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً .

3- وقد تتعدى الهداية بالي، كما قال تعالى : "وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" [الشورى: 52، 53] .

وقد فرق بعضهم بين الفعل المتعدي بنفسه؛ فقالوا: معناه الدلالة على الخير، وبين المتعدي بغيره؛ فقالوا :

معناه إيصال الخير إلى العبد .

طلب الزيادة من الهداية : والمهتدي يطلب من الله تعالى زيادة الهدى، كما قال سبحانه : "وَالَّذِينَ

أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" [محمد: I7] .

وكما قال جل شأنه : "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" [الكهف: I3] .

أنواع الهداية؛ الهداية نوعان :

النوع الأول : خلق الهداية وإيجادها في نفس العبد .

وهذه الهداية خاصة بالله تعالى لا يملكها غيره، وعلى هذا المعنى يُحمل مثل :

I- قول الله تعالى : "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [القصص:

56] .

2- وقوله سبحانه : "إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ" [النحل:

37] .

3- وقوله جل شأنه : "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ" [يونس: 99] .

والله تعالى لا يهدي من سبق في عمله أنه لا يهدي من أهل الضلال والزيغ والظلم، كما قال تعالى : "وَمَا

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ" [البقرة: 26] .

وكما قال سبحانه : "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [الصف: 7] وقال أيضاً : "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" [الصف: 5] ففسقهم وظلمهم وزينهم وكرههم هو السبب .

النوع الثاني : الهداية بمعنى الدعوة إلى الله تعالى، والدلالة على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا النوع من الهداية، هو وظيفة الرسل والأنبياء والدعاة والمصلحين، وهي المرادة في قوله تعالى : "اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" .

وفي قوله تعالى : "وَإِنَّا لَنَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" [الشورى: 52، 53] .

ومن الهدايات التي يطلبها العبد من ربه، أن يطلب منه :

- 1- الهداية بالتوبة عن المعاصي مما ألم به من ذنوب وآثام اقترفها وهو على غير هدى .
 - 2- ويطلب منه أن يهديه؛ بمعنى يوفقه إلى الثبات والاستمرار على الاستقامة إن كان مهتدياً في حاضره
 - 3- ويطلب من الله تعالى أن يهديه في المستقبل كما حصل له من الهداية في الماضي .
 - 4- ويطلب أن يزيد الله هداية فوق هدايته، وتقوى على تقواه .
 - 5- ويطلب منه أن يوفقه إلى تمام الهداية في الأمور التي هُدي فيها من وجه دون وجه .
- فالمسلم يطلب من ربه أن يهديه في جميع أنواع هذه الهدايات إلى أفضل الأحوال .
- أ - وأهل هذه الهداية المختصون بنعمته سبحانه هم من عرفوا الحق وعملوا به .

- ب - دون من عرفوا الحق ولم يعملوا به، ممن غضب الله عليهم؛ بسبب النكوص بعد الاهتداء .
- ج - ودون من فقدوا طريق الهداية، فعبدوا الله بغير علم، فضلوا وأضلوا، ولم يوفقوا إلى الوصول إليه .

رابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم/4)

تفسير السعدي : وإنك لعلی خلق عظیم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين، [عائشة - رضي الله عنها-] لمن سأها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [الآية]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بكارم الأخلاق، [والآيات] الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلًا لنا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها،

فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم .

(وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ) قال ابن عباس ومجاهد : دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه ، وهو دين الإسلام .

وقال الحسن : هو آداب القرآن .

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن .

وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله ، والمعنى إِنَّكَ عَلَى الْخَلْقِ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ .

وقيل : سمي الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله : " خذ العفو " الآية (الأعراف - 198)

وروينا عن جابر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق ، وتمام محاسن الأفعال " .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف [حدثنا

محمد بن إسماعيل] حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم

بن يوسف ، عن أبيه عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي أف قط [وما] قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا [قط] ولا حريرا ولا شيئا [كان] ألين من كف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عبد الله بن عمر قال : " إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول : " خياركم أحسنكم أخلاقا " .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن هشام بن ملاس ، حدثنا مروان الفزاري ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طريق من طرق المدينة فقالت : يا رسول الله إن

لي إليك حاجة فقال : يا أم فلان اجلسي في أي سلك المدينة شئت أجلس إليك ، قال : ففعلت فقعد إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى [قضى] حاجتها .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل قال : [حدثنا] محمد بن عيسى ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حميد الطويل ، حدثنا أنس بن مالك قال : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتنطلق به حيث شاءت .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا عمران بن يزيد التغلبي ، عن زيد [ابن العمي] عن أنس بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده [حتى يكون هو الذي ينزع يده] ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه [عن وجهه] ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد ، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي ، أخبرنا الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا عبيدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ضرب خادماً ولا امرأة .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني مالك بن إسحاق عن عبد الله بن أبي

طلحة ، عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ضحك ثم أمر له بعتاء .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سماعيل ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكة ، عن يعلى بن مملك ، عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن ، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء " .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو منصور السمعاني ، أخبرنا أبو جعفر الرياني ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا داود بن يزيد [الأودي] سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : " أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان : الفرج والفم ، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن أكثر ما يدخل الناس الجنة : تقوى الله وحسن الخلق " .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن عبد الله [بن عبد] الحكم ، أخبرنا أبى وشعيب قالوا حدثنا الليث عن [ابن] الهاد عن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عائشة قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار " .

التفسير الوسيط ويستفاد من هذه الآية :

أثنى - الله سبحانه - على الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام بأجمل ثناء وأطيبه فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

والخلق - كما يقول الإمام الرازى - ملكه نفسانية ، يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال

الجميلة والعظيم : الرفيع القدر ، الجليل الشأن ، السامى المنزلة .

أى : وإنك - أيها الرسول الكريم - لعل دين عظيم ، وعلى خلق كريم ، وعلى سلوك قويم ، فى كل ما تأتبه وما تتركه من أقوال وأفعال . . . والتعبير بلفظ " على " يشعر بتمكنه صلى الله عليه وسلم ورسوخه فى كل خلق كريم .

وهذا أبلغ رد على أولئك الجاهلين الذين وصفوه بالجنون ، لأن الجنون سفة لا يحسن معه التصرف .

أما الخلق العظيم ، فهو أرقى منازل الكمال ، فى عظماء الرجال .

والتعبير بلفظ " على " يشعر بتمكنه صلى الله عليه وسلم ورسوخه فى كل خلق كريم .

وهذا أبلغ رد على أولئك الجاهلين الذين وصفوه بالجنون ، لأن الجنون سفة لا يحسن معه التصرف .

أما الخلق العظيم ، فهو أرقى منازل الكمال ، فى عظماء الرجال .

وإن القلم ليعجز عن بيان ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة ، من ثناء من الله - تعالى - على نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره ، لهذه الآية ما ملخصه : قال قتادة : ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل السيدة عائشة عن معنى هذه الآية فقالت : ألسنت تقرأ القرآن؟ قال : بلى .

قالت : فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . ومعنى هذا ، أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً ، سجية له وخلقاً وطبعاً ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا ما جبله الله عليه من الخلق الكريم ، كالحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، والعدالة . . وكيف لا يكون صلى الله عليه وسلم جماع كل خلق عظيم وهو القائل : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

خامس عشر

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . (النحل/128) . فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ . (طه/13ظ) .

(واصبر وما صبرك إلا بالله) أي : بمعونة الله وتوفيقه ، (ولا تحزن عليهم) في إعراضهم عنك ،

(ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي : فيما فعلوا من الأفاعيل .

قرأ ابن كثير هاهنا وفي النمل (ضيق) بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد ، قال أهل الكوفة : هما لغتان مثل رطل ورطل .

وقال أبو عمرو : " الضيق " بالفتح : الغم ، وبالكسر : الشدة .

وقال أبو عبيدة : " الضيق " بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن ، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح .

وقال ابن قتيبة : الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ، ولين ولين ، فعلى هذا هو صفة ، كأنه قال : ولا تكن في أمر ضيق من مكروهم . (إن الله مع الذين اتقوا) المناهي ، (والذين هم محسنون) بالعون والنصرة .

واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون أمره الله تعالى بثلاثة أمور:

الأمر الأول: الصبر، والصبر في الناس ضبط النفس، وفي النبي - صلى الله عليه وسلم - تحمل الأذى بصدر رحيب، وقلب مطمئن ورضا بالتكليف وما صبرك إلا بالله أي إلا بتوفيقه وعونه وهو نعم العون ونعم النصير.

الأمر الثاني: ألا يحزن على ما يصيب المؤمنين وكفر الكافرين فلا تذهب نفسك عليهم حسرات

الأمر الثالث: ألا يضييق صدره بمكروهم؛ فالرسالة توجب تحمل كل ما يجيء في سبيل الدعوة، وضييق صدره بما يمكرون بأن يظن أن لمكروهم أثر أي أثر في دعوته، فالله غالب على أمره.

التفسير الميسر : واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم

واصبر -أيها الرسول- على ما أصابك من أذى في الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على من خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم من مكروهم وكيدهم؛ فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال.

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 127

«واصبر وما صبرك إلا بالله» بتوفيقه «ولا تحزن عليهم» أي الكفار. إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم «ولا تك في ضيق مما يمكرون» أي لا تهتم بمكروهم فأنا ناصرك عليهم.

تفسير السعدي : واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم

ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على ذلك وعدم الاتكال على النفس فقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هو الذي يعينك عليه ويثبتك.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولاً لدعوتك، فإن الحزن لا يجدي عليك شيئاً.

﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ - أي: شدة وحرَج ﴿ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ فَإِنْ مَكَرَهُمْ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ وَأَنْتَ مِنَ الْمُتَّقِينَ الْمُحْسِنِينَ .

تفسير البغوي : مضمون الآية 127 من سورة النحل

(واصبر وما صبرك إلا بالله) أي : بمعونة الله وتوفيقه ، (ولا تحزن عليهم) في إعراضهم عنك ، (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي : فيما فعلوا من الأفاعيل .

قرأ ابن كثير هاهنا وفي النمل (ضيق) بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد ، قال أهل الكوفة : هما لغتان مثل رطل ورطل .

وقال أبو عمرو : " الضيق " بالفتح : الغم ، وبالكسر : الشدة .

وقال أبو عبيدة : " الضيق " بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن ، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح .

وقال ابن قتيبة : الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ، ولين ولين ، فعلى هذا هو صفة ، كأنه قال : ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم أمر - سبحانه - بالصبر أمراً صريحاً ، بعد أن بين حسن عاقبته فقال: **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** أي: .: واصبر- أيها الرسول الكريم- على أذى قومك، وما صبرك في حال من الأحوال بمؤت

ثمارة المرجوة منه إلا بتوفيق الله-تبارك وتعالى- لك، وبشبيته إياك، وما دام الأمر كذلك فالجأ إليه وحده، واستعن به- سبحانه - في كل أمورك، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال.

ثم نهاه- سبحانه - عن الحزن بسبب كفر الكافرين، فإن الهداية والإصلاح بقدره الله وحده فقال- تبارك وتعالى-: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ.

أى ولا تحزن بسبب كفر الكافرين، وإصرارهم على ذلك، وإعراضهم عن دعوتك، ولا يضق صدرك بمكرهم، فإن الله-تبارك وتعالى- ناصرك عليهم، ومنجيك من شرورهم.

تفسير ابن كثير

وقوله: ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانتة، وحوله وقوته.

ثم قال تعالى: ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ أى: على من خالفك، لا تحزن عليهم؛ فإن الله قدر ذلك، ﴿ ولا تك في ضيق ﴾ أى: غم ﴿ مما يمكرون ﴾ أى: مما يجهدون [أنفسهم] في عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك، ومؤيدك، ومظهرك ومظفرك بهم.

تفسير القرطبي: معنى الآية 127 من سورة النحل

قوله تعالى: واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فيه مسألة واحدة - قال ابن زيد: هي منسوخة بالقتال.

وجهور الناس على أنها محكمة أي اصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا في المثل.

ولا تحزن عليهم أي على قتلى أحد فإنهم صاروا إلى رحمة الله ولا تك في ضيق مما يمكرون ضيق جمع ضيقة ؛ قال الشاعر :كشف الضيقة عنا وفسح وقراءة الجمهور بفتح الصاد وقرأ ابن كثير بكسر الصاد ، ورويت عن نافع ، وهو غلط ممن رواه قال بعض الغويين : الكسر والفتح في الصاد لغتان في المصدر .

قال الأخفش : الضيق والضيق مصدر ضاق يضيق والمعنى : لا يضيق صدرك من كفرهم .

وقال الفراء : الضيق ما ضاق عنه صدرك ، والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب . وقال ابن السكيت : هما سواء يقال : في صدره ضيق وضيق .

سادس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) .بِالْمُؤْمِنِينَ

رُؤُوفٌ رَحِيمٌ (التوبة/128) .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

لقد جاءكم - يا معشر العرب - رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاقُّ عليه ما يشقُّ عليكم، شديدة رغبته في هدايتكم والعناية بكم، وهو بالمؤمنين خاصة كثير العطف والرحمة .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 128

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم» أي منكم: محمد صلى الله عليه وسلم «عزيز» شديد «عليه ما عَنْتُمْ» أي عنتم، أي مشقتكم ولقاءكم المكروه «حريص عليكم» أن تهتدوا «بالمؤمنين رءوف» شديد الرحمة «رحيم» يريد لهم الخير.

تفسير السعدي: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما

يتمن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو - صلى الله عليه وسلم - في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم. ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيه، وتوقيره

تفسير البغوي: مضمون الآية 128 من سورة التوبة

قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب، من بني إسماعيل.

قال ابن عباس: ليس من العرب قبيل إلا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم، وله فيهم نسب.

وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولاد الجاهلية من زمان آدم عليه السلام.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرنا عبد الله بن حامد ، حدثنا حامد بن محمد ، أخبرنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن أبي نعيم ، حدثنا هشيم ، حدثني المدني - يعني : أبا معشر - عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنهكح الإسلام " .

وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصة " من أنفسكم " بفتح الفاء ، أي : من أشرفكم وأفضلكم .
(عزيز عليه) شديد عليه ، (ما عنتم) قيل " ما " صلة أي : عنتم ، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم .

وقال القتيبي : ما أعنتكم وضرركم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ضللتكم .

وقال الضحاك والكلبي : ما أتمتم .

(حريص عليكم) أي : على إيمانكم وصلاحكم .

وقال قتادة : حريص عليكم أي : على ضالكم أن يهديه الله ، (بالمؤمنين رءوف رحيم) قيل : رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

وجمهور المفسرين على أن الخطاب في قوله - سبحانه - : لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ للعرب: فهو كقوله: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ.

أى: لقد جاءكم- يا معشر العرب- رسول كريم «من أنفسكم» أى: جنسكم، ومن نسبكم، فهو عربي مثلكم، فمن الواجب عليكم أن تؤمنوا به وتطيعوه.

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة ترغيب العرب في الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي طاعته وتأيدته، فإن شرفهم قد تم بشرفه، وعزهم بعزه، وفخرهم بفخره، وهم في الوقت نفسه قد شهدوا له في صباه بالصدق والأمانة والعفاف وطهارة النسب، والأخلاق الحميدة.

قال القرطبي: قوله «من أنفسكم» يقتضى مدحا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من صميم العرب وخالصها، وفي صحيح مسلم عن وائلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قرش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم» وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني من نكاح ولست من سفاح» . وقال الزجاج إن الخطاب في الآية الكريمة لجميع البشر، لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم، ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم «من أنفسكم» أنه من جنس البشر.

ويبدو لنا أن الرأي الأول أرجح لأن الآية الكريمة ليست مسوقة لإثبات رسالته صلى الله عليه وسلم وعمومها، وإنما هي مسوقة لبيان منته وفضله- سبحانه - على العرب، حيث أرسل خاتم أنبيائه منهم،

فمن الواجب عليهم أن يؤمنوا به، لأنه ليس غريبا عنهم، وإذا لم يؤمنوا به تكون الحجة عليهم ألزم، والعقوبة لهم أعظم.

وقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ أَيْ: شديد وشاق عليه عنتكم ومشقتكم، لكونه بعضا منكم فهو يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب.

يقال: عَزَّ عليه الأمر أى صعب وشق عليه، والعنت المشقة والتعب ومنه قولهم: أكمة عنوت، إذا كانت شاقة مهلكة، والفعل عنت بوزن فرح.

وقوله: حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَيْ: حريص على إيمانكم وهدايتكم وعزتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة. والحرص على الشيء معناه: شدة الرغبة في الحصول عليه وحفظه.

وقوله: «بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» أَيْ: شديد الرأفة والرحمة بكم- أيها المؤمنون- والرأفة عبارة عن السعى في إزالة الضرر، والرحمة عبارة عن السعى في إيصال النفع، فهو صلى الله عليه وسلم يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين، وفي إزالة كل مكروه عنهم.

قال بعضهم: لم يجمع الله-تبارك وتعالى- لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه قال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» وقال عن ذاته- سبحانه - إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما: تفسير ابن كثير

يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم ، أي: من جنسهم وعلى لغتهم ، كما قال إبراهيم ، عليه السلام : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ [البقرة : 129] ، وقال تعالى : ﴿ لقد

من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴿ [آل عمران : 164] ، وقال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴿ أي: منكم وبلغتكم ، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى : إن الله بعث فينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصفته ، ومدخله ومخرجه ، وصدقه وأمانته ، وذكر الحديث .

وقال سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه في قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴿ قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية ، وقال صلى الله عليه وسلم : " خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح " .

وقد وصل هذا من وجه آخر ، كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه " الفاصل بين الراوي والواعي " : حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال : أشهد على أبي لحدثني ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يمسي من سفاح الجاهلية شيء " .

وقوله : ﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴿ أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال : " بعثت بالحنيفية السمحة " وفي الصحيح : " إن هذا الدين يسر " وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة ، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه .

﴿ حريص عليكم ﴿ أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

قال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن فطر ، عن أبي الطفيل ، عن أبي ذر قال . تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما - قال : وقال صلى الله عليه وسلم : " ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم " .

وقال الإمام أحمد : حدثنا [أبو] قطن ، حدثنا المسعودي ، عن الحسن بن سعد ، عن عبدة النهدي ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ، ألا وإني آخذ مجزكم أن تهافتوا في النار ، كتهافت الفراش ، أو الذباب وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملكان ، فيما يرى النائم ، فقعدهما عند رجليه والآخر عند رأسه . فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال : رأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة ، وحياضاً رواءً أتبعوني ؟ فقالوا : نعم . قال : فانطلق بهم ، فأوردهم رياضاً معشبة ، وحياضاً رواءً ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم ألقمكم على تلك الحال ، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواءً أن تتبعوني ؟ فقالوا : بلى . قال : فإن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه ، وحياضاً هي أروى من هذه ، فاتبعوني . فقالت طائفة : صدق ، والله لتبعنه وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه .

وقال البزار : حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالوا حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي ، عن عكرمة عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ؛ أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعينه في شيء - قال عكرمة : أراه قال : " في دم " - فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، ثم قال : " أحسنت إليك ؟ " قال الأعرابي : لا ولا أجملت . فغضب بعض المسلمين ، وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول الله إليهم : أن كفوا . فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ إلى منزله ، دعا الأعرابي إلى البيت ، فقال له : " إنك جئتنا فسألنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت " فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، وقال : " أحسنت إليك ؟ " فقال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء ، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يذهب عن صدورهم " . قال : نعم . فلما جاء الأعرابي . قال إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وأنا قد دعونا فأعطيناه فزعم أنه قد رضي ، [كذلك يا أعرابي ؟] قال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا . فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها ، وأعلم بها . فتوجه إليها وأخذ لها من قدام الأرض ، ودعاها حتى جاءت واستجابت ، وشد عليها رحلها وإنه لو أطعتمكم حيث قال ما قال لدخل النار " . ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

قلت : وهو ضعيف مجال إبراهيم بن الحكم بن أبان ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ كما قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين .
فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ [الشعراء : 215 - 217] .
وهكذا أمره تعالى .

تفسير القرطبي : معنى الآية 128 من سورة التوبة

قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيمهاتان
الآيتان في قول أبي أقرب القرآن بالسماء عهدا .

وفي قول سعيد بن جبير : آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله على ما تقدم .

فيحتمل أن يكون قول أبي : أقرب القرآن بالسماء عهدا بعد قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .

والله أعلم .

والخطاب للعرب في قول الجمهور ، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك ؛ إذ جاء بلسانهم وبما
يفهمونه ، وشرفوا به غابر الأيام .

وقال الزجاج : هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى : لقد جاءكم رسول من البشر ؛ والأول أصوب .

قال ابن عباس : ما من قبيلة من العرب إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قال : يا معشر

العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل .

والقول الثاني أوكد للحجة أي هو بشر مثلكم لتفهموا عنه وتأتموا به .

قوله تعالى من أنفسكم يقتضي مدحا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من صميم العرب وخالصها

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله

اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إني من نكاح ولست من سفاح .

معناه أن نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام لم يكن النسل فيه إلا من نكاح ولم يكن فيه زنا

وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من " أنفسكم " بفتح الفاء من النفاسة ؛ ورويت عن النبي صلى الله

عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها أي جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم من قولك : شيء
نفيس إذا كان مرغوبا فيه .

وقيل : من أنفسكم أي أكثركم طاعة .

قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم أي يعز عليه مشتقكم .

والعنت : المشقة ؛ من قولهم : أكمة عنوت إذا كانت شاقة مهلكة .

وقال ابن الأنباري : أصل التعنت التشديد ؛ فإذا قالت العرب : فلان يتعنت فلانا ويعنته فمرادهم

يشدد عليه ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه .

وقد تقدم في (البقرة) .

و " ما " في (ما عنتم) مصدرية ، وهي ابتداء و (عزيز) خبر مقدم .

ويجوز أن يكون (ما عنتم) فاعلا بعزيز ، و (عزيز) صفة للرسول ، وهو أصوب .

وكذا حريص عليكم وكذا رءوف رحيم رفع على الصفة .

قال الفراء : ولو قرئ عزيزا عليه ، ما عنتم حريصا رءوفا رحيفا ، نصبا على الحال ، جاز .

قال أبو جعفر النحاس : وأحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي

قال حدثنا عبد الله بن محمد الخزازي قال سمعت عمرو بن علي يقول : سمعت عبد الله بن داود

الخريري يقول في قوله عز وجل : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال : أن تدخلوا النار

، حريص عليكم قال : أن تدخلوا الجنة .

وقيل : حريص عليكم أن تؤمنوا .

وقال الفراء : شحيح بأن تدخلوا النار .

والحرص على الشيء : الشح عليه أن يضيع ويتلف .

بالمؤمنين رءوف رحيم الرءوف : المبالغ في الرأفة والشفقة .

وقد تقدم في (البقرة) معنى رءوف رحيم مستوفى .

وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد صلى الله عليه

وسلم ؛ فإنه قال : بالمؤمنين رءوف رحيم وقال : إن الله بالناس لرءوف رحيم .

وقال عبد العزيز بن يحيى : نظم الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص بالمؤمنين رءوف رحيم ، عزيز عليه ما عنتم لا يهمله إلا شأنكم ، وهو القائم بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سنته فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة .

سابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : 107]

تستوقفنا الآيات القرآنية التي يتوجه فيها الخطاب للنبي ﷺ، فتجعل كل من له عقل وقلب يغوص بفكره في أعماقها، متسلحًا بالتفسير وبكتب الفضائل، ولكن هيهات هيهات، لا يشفي غليل الوجدان إلا الإلهام. وقد استوقفنا آية الرحمة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] على عجالة وحيطة، فدونا ما لعله أن يكون مفتاحًا لتأويل هذه الآية الكريمة، ولقد نهجنا في ذلك على منوال المفسرين، لا على شاكلة العارفين، وأين نحن منهم!! .

بداية لقد صيغت هذه الآية بأبلغ نظم إذ اشتملت بوجازة ألفاظها على مدح النبي ﷺ ومدح مرسله الله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بمخلقه فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفًا بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيه الرسول ﷺ، ومدح مرسله، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل

إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير رحمة للتعظيم، إذ لا مقتضي لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم والإلحاق: إلا لرحم العالمين، أو إلا أنك الرحمة للعالمين، فهذه اثنا عشر معنى، فقد فاقت أجمع كلمة لبلغاء العرب.

ووقع الوصف مصدرًا يفيد المبالغة في هذا الاتحاد بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله، ويدل لهذا المعنى ما أشار إلى شرحه النبي ﷺ بقوله: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة».

وتفصيل ذلك يظهر في صورتين: الأولى: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، والثانية: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته.

فأما الصورة الأولى: فقد زين الله محمدًا ﷺ بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة وجميع شمائله رحمة وصفاته رحمة على الخلق ولهذا خص الله محمدًا ﷺ في هذه السورة بوصف الرحمة ولم يصف به غيره من الأنبياء، في القرآن كله، قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 120]، وقال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) [آل عمران: 159]، أي برحمة جبلت عليها وفطرك بها فكنت لهم لينا.

وفي حديث مسلم: أن رسول الله ﷺ لما شج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث لعمادًا وإنما بعثت رحمة».

وأما الصورة الثانية: من صور كونه رحمة للعالمين فهو مظهر تصاريف شريعته، أي ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم؛ لأن قوله تعالى متعلق بقوله رحمة.

والتعريف في (العالمين) لاستغراق كل ما يصدق عليه اسم العالم، والعالم: الصنف من أصناف ذوي العلم، أي الإنسان، أو النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة كما تقدم احتمال المعنيين في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]. فإن أريد أصناف ذوي العلم فمعنى كون الشريعة المحمدية في الرحمة أوسع الشرائع رحمة بالناس فإن الشرائع السالفة وإن كانت مملوءة برحمة إلا أن الرحمة فيها غير عامة.

ولكن البعض يقصر رحمة النبي ﷺ بأتباعه بخاصة، ويقولون: هو رحمة بأهل الإيمان فقط، والواقع يشهد بهذا، فإن من كفر به قاتلهم وقتلوه، وماتوا على الكفر.

يرى آخرون أن الرسول ﷺ رحمة في نفسه، وهدى، فمن أخذ به من أفراد العالمين أخذ، فأفاد من هذه الرحمة، ومن أعرض عنه أعرض، ولم ينتفع بهذه الرحمة.

كأن نقول مثلاً هذا الطبيب الماهر، رحمة بأهل هذه البلدة، فمن تنبه له ووثق به، ذهب إليه، وأفاد منه، وانتفع بعلمه، فكان الطبيب له رحمة، ومن أعرض عنه وتجاهله، لم تشمله هذه الرحمة.

إن أغلب من فسروا هذه الآية، ذهبوا إلى عمومها، وشمولها لكل ما يدخل تحت لفظ العالمين من المخلوقات، وإن كان بعضهم قصرها على جنس الإنسان، بحجة أن العالم هو الصنف من أصناف ذوي العلم، هو الإنسان، لكن المشهور عنهم أن العالمين تشمل النوع من المخلوقات ذات الحياة، وهذا هو المعنى المعقول.

تدل الآية على أن ثمة اتحادًا وتلازمًا بين شخص الرسول ﷺ وبين خلق الرحمة، فلا انفكاك في كل الأحوال، وعلى أية حال، كان عليها النبي ﷺ، وهذا المعنى يؤيد توجيه الآية إلى رحمة المخلوقات جميعًا، لأن الرسول ﷺ في سيرته اليومية لا يتعامل فقط مع المؤمنين، ولا من الناس فقط.

لن نجد صعوبة، في بيان رحمة الرسول ﷺ بالمؤمنين، فمظاهرها متنوعة، وأسبابها متعددة، وصورها أكثر من أن تحصى، سواء ما كان منها في مجال التشريعات، وما صاحبها من تخفيف، وتلطف، وتقدير للظروف، أو ما كان منها في مجال العلاقات الاجتماعية، والشخصية، وهي لكثرتها، تكاد تجد لدى كل من صاحب الرسول ﷺ وإن كان عددهم بالآلاف، موقفًا خاصًا، أو ذكرى عطرة، أو محاورة لطيفة معه، وكتب الأحاديث تكاد تسعفنا في هذا المقام.

رحمته صلى الله عليه وسلم بأهل الكتاب :

لقد كان ﷺ رحمة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويمكن أن نعرض هذه الرحمة ضمن الصور

التالية:

الصورة الأولى: أن الرسول ﷺ خصهم بما لم يخص به العرب -أهله وعشيرته-، حين قبل منهم البقاء على دينهم، ولم يقبل هذا من العرب، حين خيرهم بين الإسلام أو القتال في حين خير اليهود والنصارى بين الإسلام، أو الجزية، وهي مبلغ يدفعونه، مقابل حماية المسلمين لهم.

وإذا انتقلنا من عصر النبي محمد ﷺ إلى القرن السابع الهجري، حين دخل هولاءكو بغداد، وأسر عددًا من المسلمين، والنصارى، واليهود، فذهب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يطالب بطلاق الأسرى،

قال له هولاءكو نطلق سراح المسلمين، ونبقي اليهود والنصارى، فلا شأن لك بهم، فرفض ابن تيمية هذا العرض، وقال يطلق هؤلاء قبل المسلمين، لأنهم في حماية المسلمين، وتحت رعايتهم، فأعجب به هولاءكو، وأطلق سراحهم جميعًا .

الصورة الثانية: أن الرسول ﷺ أقام العدل بين من كان يعيش منهم بكفنه، وقد أوصاه الله بهذا، فقال له: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْءٌ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42].

الصورة الثالثة: حرص الرسول ﷺ على أن يعامل أهل الكتاب، معاملة حسنة، وسعى إلى إغلاق الأبواب التي تؤدي إلى إلحاق الأذى بهم، ولقد وقفت على رواية، مفادها أنه كان في المدينة زمن الرسول ﷺ جالية نصرانية صغيرة، تسكن في حي يسمى سوق النبط .

ولا نجد ذكرًا حتى هذه اللحظة أنه قُتل نصراني واحد عند النبي محمد ﷺ؛ ولكن للأسف الشديد قتل الكاثوليك زمن (كارلوس الخامس) عام 1521م أكثر من نصف مليون من النصارى البروتستانت، كما بلغ عدد من أحرقوا بالنار 230 ألف من البروتستانت أيضًا .

وتدلنا مقابلة الرسول ﷺ لوفد نصارى نجران، على حسن معاملته للنصارى في عصره، وهي منطقة قريبة من مكة، كان أهلها نصارى، جاؤوا إلى المدينة، فاستقبلهم النبي ﷺ، وتلطف معهم، وأوضح لهم معالم الحق، ثم تركهم بعد ذلك على ما يرغبون، فاخترأوا البقاء على دينهم، فتركهم وشأنهم، ثم طلبوا منه أن يرسل معهم أحد أصحابه يستعينون به في إدارة أمورهم، وحل مشاكلهم، فقال: سوف أرسل معهم رجلًا أمينًا، فأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح، وقال هذا أمين هذه الأمة .

لقد عفا عن المرأة اليهودية، التي قدمت له طعامًا مسمومًا، وعفا عن لبيد اليهودي، الذي حاول إيذاء الرسول ﷺ وقد ذكر لزوجته عائشة أنه عفا عنه؛ لأنه لا يريد أن يثير الناس، رحمة بالجميع.

الصورة الرابعة: كان من أهداف القرآن التي عمل الرسول ﷺ على إنفاذها، دمج أهل الكتاب في المجتمع، عن طريق الإذن بالزواج من نساءهم، والسماح بمخالطتهم، اجتماعيًا، حين أباح الأكل من طعامهم.

كان الرسول ﷺ يلي دعوتهم إلى الطعام، ويزور مرضاهم، ويواسيهم في مصابهم، ولقد تعاطف القرآن الكريم مع نصارى نجران الذين أحرقتهم ملكها بسبب إيمانهم وتوعده الله بالعذاب.

الصورة الخامسة: أن الرسول ﷺ بين لأهل الكتاب ما أصاب دينهم من تحريف وتبديل، وهذه المصارحة، وإن كانت صعبة عليهم، ولكنها من الحق المر، ومن مظاهر الرحمة. والمثل يقول: صديقك من صدقك، لا من صدقك، وتركهم بعد ذلك لاتخاذ القرار، بكل حرية واختيار.

الصورة السادسة: لقد آمن الرسول ﷺ اليهود والنصارى على أموالهم وأنفسهم، وأماكن عبادتهم، وحتى على طعامهم وشرابهم، فأبقى لهم الحرية كاملة، فيما يأكلون ويشربون، بما لا ييجرح شعور المسلمين، في ضوء القاعدة المشهورة بين المسلمين: لا ضرر ولا ضرار.

لم نورد هذه المظاهر على سبيل الحصر، فإنها أكثر مما ذكرنا بكثير، لكنها مجرد إشارات تدل بوضوح على مدى رحمة الرسول ﷺ بأتباع الديانات الأخرى.

ومن محاسن الصدق، أن الخلاف في طبيعة السيد المسيح، قد ظهر جليًا، زمن الإمبراطور (هرقل) البيزنطي، الذي عاصر النبي محمدًا ﷺ (575-642)، فقد كان أهل بيزنطة يقولون: إن للمسيح طبيعتين:

واحدة إلهية، والأخرى بشرية، في حين كانت رعيته في مصر وبلاد الشام يقولون: إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا فصار الإله هو المسيح، وهم اليعقوبية.

وما كان يدري هؤلاء أنه في الوقت الذي يختلفون فيه هذا الاختلاف الكبير كان هناك النبي محمد ﷺ لديه الحقيقة كاملة.

الحق نقول: إن مظاهر الرحمة التي صدرت من النبي ﷺ بحق هؤلاء الخصوم، صارت منهجًا اتبعه كل من جاء بعده، من حكام المسلمين، وعلمائهم، لأنني سبق أن أشرت إلى أن المسلمين ملزمون باتباع الرسول ﷺ فيما يصدر عنه من قول أو فعل.

من يقلب صفحات التاريخ، يجد أن معاملة المسلمين للنصارى، لم تتغير عمّا رسمه الرسول ﷺ لهم، ويمكننا القول بكل أسف: إن تاريخ الرسول ﷺ مع كفار قريش أعاد نفسه، فتاريخ المسلمين مع النصارى مشابه له.

لقد عامل المسلمون النصارى بالعفو والرحمة والتسامح، في حين عامل النصارى المسلمين بكل قسوة، في مواطن كثيرة جدًا في الأندلس، ومحاكم التفتيش، والحروب الصليبية.

لقد كانت البشرية قبل النبي محمد ﷺ تعيش الشقاء في كل نواحي الحياة، وهي أحوال اعترف بسوءها كل من كتب عنها، فكان ظهور الرسول ﷺ محمد رحمة للبشرية.

فإنه ما من أحد درس الأوضاع المشار إليها، إلا أقر بوجود مظاهر قسوة وظلم فيها، وما من أحد منصف درس سيرة النبي محمد ﷺ إلا أقر بوجود مظاهر رحمة في كل جوانبها.

وهذا التصور يعين كثيراً على فهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

رحمته صلى الله عليه وسلم بالمنافقين:

كان ﷺ رحمة بالمنافقين وهم فئة من الناس، كانوا يسكنون المدينة مع الرسول ﷺ آمنوا به في الظاهر، واستمروا على كفرهم به في الباطن، وقد سلكوا هذا المسلك، لما رأوا أنه من رحمته بالناس أنه يعاملهم على ما يبدو منهم في الظاهر، ويكل السرائر إلى الله، فسلكوا هذا الطريق المظلم.

لا يتسع المقام في هذا المقال لسرد الأخطار التي واجهها الرسول ﷺ بسبب المنافقين، ولا الأضرار التي لحقت بالمسلمين من جهة المنافقين.

لقد حاول عبد الله بن سلول، زعيم هؤلاء المنافقين، النيل من شرف بيت النبوة، حتى أنهم زوج النبي عائشة -رضي الله عنها-، وكانت أحب نسائه إليه، حين اتهمها بالزنا، فأنزل الله تعالى قرآناً يكذب هذه الفرية، ويرى عائشة -رضي الله عنها-،

ومن الأضرار التي لحقت بالمسلمين ولم يغفلها التاريخ، انسحاب عبد الله ابن سلول بثلاث الجيش في غزوة أحد، فترك هذا التصرف أثراً سيئاً في نفوس المسلمين، ومنها أيضاً تعاون المنافقين مع أعداء الرسول ﷺ في كل موطن.

لقد بدت من الرسول ﷺ مظاهر رحمة هؤلاء، رغم شدة عداوتهم وخطورتهم، وعلى رأسهم خصم الرسول ﷺ العنيد عبد الله بن سلول، منها:

الصورة الأولى: أن الرسول ﷺ لم يفضح أمرهم بين الناس، فقد كان يعرف أسماءهم، حين أخبره الله بهم، ولكنه ستر عليهم، وهذه رحمة بارزة بهم، وهي رحمة بأقاربهم المسلمين الصادقين، دفعًا للحرص عنهم. الصورة الثانية: لم يقتل أحدًا منهم، مع أنهم يستحقون القتل؛ لأنهم أشد خطرًا عليه، من الكفار البعيدين، فقد تركهم وشأنهم، وكان يعاملهم كما يعامل المسلمين.

الصورة الثالثة: أن الرسول ﷺ كان يوبخ المنافقين، دون توجيه الكلام إلى أحد منهم صراحة، ولكنه كان يحذر من النفاق، ويقرأ عليهم آيات الوعيد، وينذرهم بالعذاب الشديد الذي ينتظرهم، ولقد أثمر هذا الأسلوب، وترك عدد منهم النفاق، وحسن إسلامهم، فكان الستر عليهم، وعدم قتلهم رحمة بمن راجع نفسه، وتاب إلى الله وحسن إسلامه.

العجيب أن بعض العلماء اعترف بهذه المواقف؛ ولكنه اعترض على اعتبارها من مظاهر الرحمة؛ لأن المنافقين لا يستحقون الرحمة، وهي على أية حال، تبقى وجهات نظر.

رحمته صلى الله عليه وسلم بالكافرين:

تمثل رحمته ﷺ بالكافرين في عدة صور من أهمها ما يلي:

الصورة الأولى: أن وجود الرسول ﷺ بينهم، حال دون نزول عذاب الاستئصال بهم، كما حصل مع بعض الأمم السابقة لهم، مثل قوم عاد، وثمود، ولوط. وهذا المظهر نص عليه القرآن صراحة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]، وتلك رحمة ما بعدها رحمة، نعم بها الكافرون جميعًا.

الصورة الثانية: أن الرسول ﷺ كان يرفض بشدة، أن يدعو عليهم، ولو دعا عليهم، لاستجاب الله له، كما

استجاب لدعوة غيره من الأنبياء، كمثل دعوة النبي نوح عليه السلام:

(﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكُفْرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:26]، فأغرق الله جميع سكانها، ولم ينج إلا قلة

كانت مع نوح في السفينة.

لقد طلب الصحابة من الرسول ﷺ أن يدعو على كفار مكة في معركة أحد، فقالوا له: يا رسول الله، ادع

على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة».

كان هذا في معركة أحد، التي أصيب فيها الرسول ﷺ بجراحات كثيرة، وقتل بعض أعز أصحابه، ومع

هذا كله، رفض الدعاء عليهم، وتكرر المشهد في معركة حنين، حين تعرض المسلمون لأذى ثقيف، قالوا:

يا رسول الله، ادع على ثقيف، ففاجأهم بقوله: «اللهم اهد ثقيفاً فدعا لهم ولم يدع عليهم».

الصورة الثالثة: أن الرسول ﷺ لم يعاملهم بالمثل، فقد عذبوه، وعذبوا أصحابه، ولم يعذبهم، ومارسوا عليه

وعلى أصحابه سياسة التجويع، ولم يمارسها، وأخرجوه، ولم يخرجهم، قتلوا أسراه، وعفا عن أسراهم.

الصورة الرابعة: تجنب الرسول ﷺ كل وسائل الصدام معهم، فقد منع مقاتلتهم مدة ثلاثة عشر عاماً،

وحين قاتلهم، كان حريصاً على إنهاء الصراع سريعاً، ويشهد لهذه قلة عدد المعارك بينهم، وقلة عدد

القتلى كذلك.

تبين أثر مظهر الرحمة هذا بإسلام الآلاف من الكفار تبعاً، حتى أسلم أهل مكة كلهم يوم الفتح.

الصورة الخامسة: شعور عامة الكفار برحمة الرسول ﷺ بهم، وشفقته عليهم، وقد دلت على هذا الشعور معاملته لهم، ومعاملتهم له، وحين كانوا يأتون إليه، طالبين منه العون، في شؤون حياتهم، فيستجيب لهم، وهم على كفرهم به، وعلى عداوتهم له.

رحمته صلى الله عليه وسلم مع غير البشر:

إن ممارسة الرحمة مع غير البشر، مظهر من مظاهر التدرج في التربية على هذا الخلق، إذ ليس من اليسير أن يتحرر المرء بكل بساطة من بعض الصفات التي تحول دون ممارسته الرحمة، مع أخيه الإنسان، مثل حب الذات، وحب الانتقام، وكراهية من يسيء إليه، فكأن الرحمة بالحيوانات والطيور وسيلة وغاية في آن واحد.

حين قال الرسول ﷺ على مسمع من أصحابه: «من لا يرحم لا يُرحم» وعندما سمعوه يقول: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء» فهم الصحابة منها وهم العرب، أصحاب البيان، أن الرحمة العامة الشاملة، هي المطلوبة، لنيل رحمة الله، وليست رحمة مخصوصة بفتة معينة، أو بجنس معين من المخلوقات.

ذلك أن أهل الأرض المشار إليهم في قول النبي هم القريب والبعيد، الصديق والعدو، الصغير والكبير، الذكر والأنثى، الحيوانات والطيور، لن ينال أحد رحمة الله ما لم يمارس الرحمة، عن محبة وقناعة مع هؤلاء جميعًا.

لقد نهى النبي بكل وضوح، عن كثير من صور الرياضة التي يكون فيها الحيوان طرفاً، ويلحق به الأذى، فمصارعة الثيران حرام، ومبارزة الديوك بعضها مع بعض حرام، وجعل الحيوانات والطيور أهدافاً يصبّ عليها حرام أيضاً .

لقد استقرت هذه الثقافة في أذهان أصحاب الرسول ﷺ فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمر على قوم، وقد وضعوا طيراً وجعلوه هدفاً، يصبون عليه بالسهم، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً .

إن رحمة الرسول ﷺ كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية، لبعد ما كان بينها وبين واقع الحياة الروحية، والواقعية من مسافة، ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ، فزول غرابتها في حسها، وتبناها وتنفذها ولو تحت عناوين أخرى .

يمكن أن نقول بتعبير معاصر: إن الرسول ﷺ كان يسعى لإصدار تشريع ينص على وجوب خلو الأرض من كل تصرف يتناقض مع الرحمة، بكل صورها ومظاهرها، وفي كل ميادين الحياة .

إن البشرية كلها، قد تأثرت بمنهج الرحمة، الذي جاء به الرسول ﷺ طائعة أو كارهة، شاعرة أو غير شاعرة، وما تزال ظلال الرحمة وارفة لمن يريد أن يستظل بها .

ثامن عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . (الكوثر/1 - 2) .

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الخطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم - تكريمًا لمقامه الرفيع وتشريفًا أي:

الله عز وجل تفضل عليك وأعطاك الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير نهر الكوثر.

﴿ الْكَوْثَرُ ﴾ هو الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة، جعله الله كرامة لرسول الله - صلى الله عليه

وسلم - ولأمته.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ شكرًا لله على هذه النعمة العظيمة، وهذا العطاء الجزيل أن تصلي وتتحرك لله، لا

تصرف شيئًا منها لغيره سبحانه وتعالى.

﴿ وَأَنْحَرْ ﴾ تقرب إليه بالنحر للإبل وغيرها، وخص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات

وأجل القربات

﴿ إِنَّ شَاتِبَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ مبغضك، والشتان هو البغض.

﴿ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ الأبتَر: اسم تفضيل من بتر بمعنى قطع، يعني هو الأقطع، المنقطع من كل خير، والأبتَر من

الرجال الذي لا ولد له.

قال المفسرون: لما مات "القاسم" ابن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال العاصي بن وائل: دعوه فإنه

رجل أبتَر لا عقب له، أي لا نسل له، فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر تعالى أن

هذا الكافر هو الأبتَر وإن كان له الأولاد، لأنه مبتور من رحمة الله، أي مقطوع عنها، ولأنه لا يذكر إلا

ذكر باللعنة، بخلاف النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المآذن

والمنابر، مقرون بذكر الله تعالى، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كالوالد لهم، صلوات الله وسلامه عليه.

قال ابن كثير رحمه الله :

" وقوله: إن شائتك هو الأبتراي: إن مبغضك -يا محمد- ، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ، والبرهان الساطع والنور المبين = هو الأبتراي؛ الأقل ، الأذل ، المنقطع ذكره.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل.

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبترا لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة.

وقال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحساني، حدثنا بن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقالت له قريش: أنت سيدهم ، ألا ترى إلى هذا المصنبر المنبتر من قومه ، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟

فقال: أتم خير منه . قال: فنزلت: إن شائتك هو الأبترا

هكذا رواه البزار ، وهو إسناد صحيح .

وقال عكرمة: الأبترا: الفرد .

وقال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر. فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: بتر محمد. فأنزل الله: إن شاتك هو الأبر .

وهذا يرجع إلى ما قلناه ، من أن الأبر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فتوهما لجهلهم ، أنه إذا مات بنوه ، ينقطع ذكره !!

وحاشا وكلا ؛ بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأَشْهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد . " انتهى ، من " تفسير ابن كثير " (504/8-505) .

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

" وَقَوْلُهُ: إِنَّ شَاتِكَ هُوَ الْأَبْرُ [الكوثر: 3] يُعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ شَاتِكَ [الكوثر: 3] إِنَّ مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدٌ وَعَدُوُّكَ هُوَ الْأَبْرُ [الكوثر: 3] يُعْنِي بِالْأَبْرِ: الْأَقْلَ وَالْأَذْلَ الْمُتَقَطِّعَ دَابِرُهُ، الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ .
وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِذَلِكَ . . . "

وحكى الخلاف في المعنى بقول الله تعالى : (هو الأبر) ، وذكر أقوال السلف فيه ، ثم قال :

" وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ [ص: 701] مُبْغِضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَقْلُ الْأَذْلُ، الْمُتَقَطِّعُ عَقِبِهِ، فَذَلِكَ صِفَةُ كُلِّ مَنْ أَبْغَضَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتْ آيَةٌ نَزَلَتْ فِي شَخْصٍ بَعَيْنِهِ " انتهى من "تفسير الطبري" (697/24-700) .

والحاصل في هذا المقام :

أن آيات السورة العظيمة ، إنما نوهت بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرف مقامه السامي ، وردت على أعدائه الجهال الفجار ؛ وأخزتهم ، وكبتهم ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكره باق مرفوع مشهور ؛ لا ينقطع أبدا ، وإنما ينقطع ، ويضمحل ، ويذول ويمحق : من يُشْتَوُه ، صلى الله عليه وسلم ، ويبغضه ، ويعاديه .

وهذا المقام المذكور : مقام محق الشانئ المعادي : إنما هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلا ريب ، ولا خلاف بين أهل العلم في ذلك ؛ بغض النظر عن شخص هذا الشانئ المعادي .
قال الإمام أبو القاسم السهيلي رحمه الله ، بعد ذكر الخلاف فيمن نزلت هذه الآيات في شأنه ، ووصفه بأنه "أبتر" ، على نحو ما سبق :

" إِنْ شَانَيْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ، وَلَمْ يُقَلْ : إِنْ شَانَيْكَ أَبْتَرٌ = يَتَضَمَّنُ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ ، لِأَنَّ (هُوَ) فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، تُعْطَى الْاِخْتِصَاصَ ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : إِنْ زَيْدًا فَاسِقٌ ، فَلَا يَكُونُ مَخْصُوصًا بِهَذَا الْوَصْفِ دُونَ غَيْرِهِ ، فَإِذَا قُلْتَ : إِنْ زَيْدًا هُوَ الْفَاسِقُ ، فَمَعْنَاهُ : هُوَ الْفَاسِقُ الَّذِي زَعَمْتَ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ بِالْحَضْرَةِ مَنْ يَزْعُمُ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَهَكَذَا قَالَ الْجُرْجَانِيُّ وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : أَنَّ (هُوَ) تُعْطَى الْاِخْتِصَاصَ . . .

وَالْأَبْتَرُ : الَّذِي لَا عَقَبَ لَهُ يَبْعُهُ ، فَعَدَمُهُ كَالْبَتْرِ ، الَّذِي هُوَ عَدَمُ الذَّنْبِ " انتهى من "الروض الألف")

. (403-3/402)

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله :

" فقوله تعالى: هو الأبر اقتضت صيغة القصر إثبات صفة الأبر لشأنى النبي صلى الله عليه وسلم
ونفيها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الأبر بمعنى الذي لا خير فيه . ولكن لما كان وصف الأبر
في الآية جيء به لمحاكاة قول القائل: محمد أبر إبطالا لقوله ذلك . . (576/30-577) .

تسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . (الاحزاب/33) .

أختلف المفسرون القدماء والحديثون حول المقصود بأهل بيت الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام
ففي تفسير ابن كثير يدخل أزواج الرسول في أهل بيته فيقول :

وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول
داخل فيه قولاً واحداً . [ابن كثير: ٤٦٥/٣]

القرطبي :

فيه ثلاثة مسائل: الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ ذُكِّرْنَ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) هَذِهِ الْفَاطِمَةُ
تُغْطِي أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ نِسَاؤُهُ . وَقَدْ اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ، مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ عَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ
وَأَبْنُ عَبَّاسٍ: هُمْ زَوْجَاتُهُ خَاصَّةً، لَا رَجُلَ مَعَهُنَّ . وَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْبَيْتَ أُرِيدَ بِهِ مَسَاكِنُ النَّبِيِّ ﷺ، لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: "وَإِذْ ذُكِّرْنَ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ" . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمُ الْكَلْبِيُّ: هُمْ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ

خَاصَّةً، وَفِي هَذَا أَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ بِالْمِيْمِ وَلَوْ كَانَ لِلنِّسَاءِ خَاصَّةً لَكَانَ "عَنْكُنَّ وَيُطَهِّرُكُنَّ"، إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَرَجَ عَلَى لَفْظِ الْأَهْلِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: كَيْفَ أَهْلُكَ، أَيْ امْرَأَتِكَ وَنِسَاؤُكَ، فَيَقُولُ: هُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ" [هود: (١) ٧٣]. وَالَّذِي يُطَهِّرُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَغَيْرِهِمْ. وَإِنَّمَا قِيلَ: "وَيُطَهِّرُكُمْ" لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيًّا وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا كَانَ فِيهِمْ، وَإِذَا اجْتَمَعَ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ غَلَبَ الْمَذْكَرُ، فَاقْتَضَتْ الْآيَةُ أَنَّ الزَّوْجَاتِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، لِأَنَّ الْآيَةَ فِيهِنَّ، وَالْمُخَاطَبَةُ لِهِنَّ يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أَمَّا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَيْتِي، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحَسَنًا، فَدَخَلَ مَعَهُمْ تَحْتَ كِسَاءٍ خَيْبَرِيٍّ وَقَالَ: (هُؤَلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي) - وَقَرَأَ الْآيَةَ - وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْتِ عَلِيٌّ مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلِيٌّ خَيْرٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَذْخَلْتُ رَأْسِي فِي الْكِسَاءِ وَقُلْتُ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (نَعَمْ). وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: هُمْ بَنُو هَاشِمٍ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَيْتَ يُرَادُ بِهِ بَيْتُ النَّسَبِ، فَيَكُونُ الْعَبَّاسُ وَأَعْمَامُهُ وَبَنُو أَعْمَامِهِ مِنْهُمْ. وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَعَلَى قَوْلِ الْكَلْبِيِّ يَكُونُ قَوْلُهُ: "وَإِذْ كُنَّا" ابْتِدَاءً مُخَاطَبَةً لِلَّهِ تَعَالَى، أَيْ مُخَاطَبَةً أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَلَى جِهَةِ الْمَوْعِظَةِ وَتَعْدِيدِ النَّعْمَةِ بِذِكْرِ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِهِنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحِكْمَةِ. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ: "آيَاتِ اللَّهِ" الْقُرْآنُ. وَ"الْحِكْمَةُ" السُّنَّةُ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَوْلَهُ: "وَإِذْ كُنَّا" مُنْسَوِّقٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ. وَقَالَ "عَنْكُمْ" لِقَوْلِهِ "أَهْلُ" فَالْأَهْلُ مُذْكَرٌ، فَسَمَّاهُنَّ وَإِنْ كُنَّ إِنَاثًا بِاسْمِ التَّذْكِيرِ فَلِذَلِكَ صَارَ "عَنْكُمْ". وَلَا اِعْتِبَارَ بِقَوْلِ الْكَلْبِيِّ وَأَشْبَاهِهِ، فَإِنَّهُ تَوَجَّدَ لَهُ أَشْيَاءٌ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ

مَا لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ لَمَنْعُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَحَجَرُوا عَلَيْهِ . فَالآيَاتُ كُلُّهَا مِنْ قَوْلِهِ: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ" - إِلَى قَوْلِهِ- "إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا" منسوق بعضها على بعض، فكيف صار في الوَسَطِ كَلَامًا مُنْفَصِلًا لِغَيْرِهِنَّ! وإنما هذا شيء جرى في الأَخْبَارِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ دَعَا عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَعَمَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كِسَاءٍ فَلَفَّهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا) . فَهَذِهِ دَعْوَةٌ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ بَعْدَ نُزُولِ الْآيَةِ، أَحَبُّ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي خُوِّطَ بِهَا الْأَزْوَاجُ، فَذَهَبَ الْكَلْبِيُّ وَمَنْ وَافَقَهُ فَصَيَّرَهَا لَهُمْ خَاصَّةً، وَهِيَ دَعْوَةٌ لَهُمْ خَارِجَةٌ مِنَ النَّزِيلِ . الثَّانِيَةُ- لَفْظُ الذِّكْرِ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ: أَحَدُهَا: أَيِ اذْكُرْنَ مَوْضِعَ النِّعْمَةِ، إِذْ صَيَّرَكُنَّ اللَّهُ فِي بُيُوتٍ تُتْلَى فِيهَا آيَاتُ اللَّهِ وَالْحِكْمَةُ . الثَّانِي: اذْكُرْنَ آيَاتِ اللَّهِ وَاقْدُرْنَ قَدْرَهَا، وَفَكِّرْنَ فِيهَا حَتَّى تَكُونَ مِنْكُمْ عَلَى بَالٍ لَتَعْظُنَ بِمَوَاعِظِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ يَنْبَغِي أَنْ تَحْسِنَ أَعْمَالَهُ . الثَّلَاثُ: "اذْكُرْنَ" بِمَعْنَى احْفَظْنَ وَاقْرَأْنَ وَالزَّمْنَةَ الْأَلْسِنَةَ، فَكَانَهُ يَقُولُ: احْفَظْنَ أَوْامِرَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوَاهِيَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ . فَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُحْبِرْنَ بِمَا يُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي بُيُوتِهِنَّ، وَمَا يَرَيْنَ مِنْ أَعْمَالِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

التعليق

I- آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله

والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿ فالذي يراعي سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ، بل من يدقق في الآيات سيجد بنفسه أن قوله تعالى ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهركم تطهيراً ﴾ آية واحدة والخطاب فيها كما هو واضح موجه لنساء النبي .

ولعل هذا يدعونا إلى التساؤل: إذا كان الأمر كذلك فلم لم يعبر عنهن بنون النسوة بدلاً من (ميم) الجماعة؟ غير أن ما يمكن أن يقوله المرء هنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو رأس أهل بيته وهو داخل بلا شك في الآية مع نساءه كما قال تعالى في إبراهيم عليه السلام ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ مع أن الخطاب لإمراة إبراهيم عليه السلام ولكنه لما دخل إبراهيم عليه السلام وزوجته في مسمى أهل البيت عبر عنهم جميعاً بـ (ميم) الجماعة في قوله تعالى ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم ﴾ تغليباً ، بل إن إطلاق تسمية (أهل) على الزوجة وارد في قوله تعالى عن موسى عليه السلام ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ﴾ مع أنه لم يكن مع موسى عليه سوى زوجته ، فما العجب في أن تعني الآية نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتستخدم في حقهن (ميم) الجماعة؟!!

2- مما يؤكد أن الآية لم تنزل في أصحاب الكساء رضوان الله تعالى عليهم بل في نساء النبي خاصة حديث الكساء نفسه ، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم الرجس بقوله (اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس) فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم؟! وإنما أراد رسول الله من دعائه هذا أن يضم الله عز وجل أصحاب الكساء وهم من أهل بيته بلا ريب إلى نساءه اللاتي نزلت فيهن الآية في المعنى الذي تضمنته الآية وهو إرادة التطهير ورفع الرجس .

إنَّ أهل السنة يقولون بأنَّ الله عز وجل أذهب الرجس عن أصحاب الكساء لحديث الكساء لا لورود آية التطهير التي إن جاز الاستدلال بها على أحد فعلى أمهات المؤمنين اللاتي هن نساء النبي صلوات الله عليه وأهل بيته .

3- معنى أهل البيت يتعدى نساء النبي صلوات الله عليه ويتعدى الإمام علي والسيدة فاطمة والإمامين الحسن والحسين إلى غيرهم كما في حديث زيد بن الأرقم الذي سئل فيه (نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته الذين حُرِّموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) فمفهوم أهل البيت يتضمن أيضاً آل عباس وابن عبد المطلب وآل عقيل بن أبي طالب وآل جعفر بن أبي طالب بدليل حديث زيد بن الأرقم، ويدخل في مسمى أهل البيت أيضاً آل الحارث بن عبد المطلب لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب (إنَّ الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس)

4- الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهي يعرفه كل أحد وهو أنَّ حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كأحد الأطراف الذين نزلت فيهم الآية ، والإمامية يقولون بأنَّ الله عز وجل أضفى على الأئمة صفة العصمة لاحتياج المهمة المناطة بهم لذلك وهي إمامة الناس وتحكيم شرع الله ، والسؤال : إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبيهة أو من

الأئمة لكي تُضفى عليها صفة العصمة؟! وما الغاية التي لأجلها أُضفيت عليه العصمة؟ هل كل من يحبه الله أو كل من له مقام عنده الله يُعطى العصمة؟!!

إنَّ الله عز وجل لما أضفى صفة العصمة على الأنبياء أضفاها عليهم لأنهم مبلغوا الوحي وأمن الرسالة السماوية، ولو أننا قبلنا عصمة الأئمة دون أن نناقشها، فإنَّ ما لا يمكن تقبله لا عقلاً ولا شرعاً أن يتصف بالعصمة من ليس بنبي ولا حتى إمام!!

5- لما كانت الآية نازلة في نساء النبي (أمهات المؤمنين) وفي إرادة تطهيرهن، جمع النبي عليه الصلاة أصحاب الكساء وهم من خواص أهل البيت ، ليدعو لهم بأن يناههم التطهير الذي نال أمهات المؤمنين قائلاً (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) طالباً من الله عز وجل أن يناههم هذا الفضل وهو بلا شك أهل له ، فحرصت أم سلمة بعد أن رأت رسول الله قد جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين أن تكون معهم وتنال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان ذلك قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة وأن يقرأ الآية موضعاً سبب طلبه لهم ، فقالت أم سلمة (وأنا معهم يا رسول الله) ، قال : (إنك على خير) وفي رواية أخرى قال (إنك الى خير أنت من أزواج النبي) إذ لا حاجة لأم سلمة في أن يدعو لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُذهب الله عنها الرجس طالما أن الآية نزلت فيها وفي باقي نساء النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا من أبرز الدلائل على كون الآية نازلة فيها لا في أصحاب الكساء الذي حرص النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء لهم ولو كانت الآية نازلة فيهم لما جمعهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال ما قال . نذكر أن الآية لم تنزل في بيت ام سلمة بل نزلت في بيت عائشة (انظر الى الرواية المروية عن عائشة في مسلم وهي التي يستدل بها الشيعة)، ثم بعد

نزولها وفي فترة لاحقة جاء الرسول الى بيت ام سلمة ثم دعا علي و فاطمة و الحسن و الحسين و غطاهم بالكساء و دعا لهم .

6- قوله تعالى ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ليس فيه إخبار بذهاب الرجس بل فيه أمر لمن نزلت فيهم الآية بالتزام طاعته لكي يحصل لهن التطهير ، لأن الله عز وجل يريد تطهيرهن ، وسياق الكلام الموجه لنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يتضمن توجيهاً إلهياً إليهن بفعل أمور واجتنب أخرى وبين الله عز وجل أنه يريد منهن التزام هذه التوجيهات ليذهب عنهم الرجس بمقتضى أمره لهم ، وبامتثالهم لأمر الله وحفظه لوصاياهم يحصل التطهير ، وهذا النمط من الخطاب استخدم الله عز وجل في آخرين كما في قوله تعالى للمؤمنين ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾ وقوله تعالى ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا لأنها حصلت فعلاً ، ولو كان الأمر كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته ، وأبسط مثال يوضح ذلك هو أن الله عز وجل يريد على سبيل المثال للبشر كلهم أن يدخلوا الجنة وهذه الإرادة هي إرادة محبة ، وهناك إرادة له سبحانه كونية قدرية في هذا الشأن وهي أنه سيكون من البشر مؤمن وكافر وأن ما كل البشر سيدخل الجنة ، لأن الله سبحانه وتعالى العادل أعطى البشر الحرية في عمل الخير والشر لكي يحصل العدل بمجازاته ، ولو كان الإنسان مجبوراً على الخير فقط لما كان من العدل مجازاته أصلاً لأنه لو أراد الشر ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فإرادة الله إدخال البشر كلهم إرادة محبة ولكنه ما من الواجب تحققها لأن الله نفسه لم يوجب حدوثها .

7- إنَّ مضمون حديث الكساء أنَّ النبي صلى الله عليه وآله دعا لهم بأن يُذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً ، وغاية ذلك أنَّ يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم ، واجتناب الرجس واجب على المؤمنين ، فإنَّ الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط ، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير .

يقول الله تعالى ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾ ويقول ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ﴾ وقال تعالى ﴿ إنَّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين كذلك ، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للمؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم .

8- التطهير الوارد في الآية لا يعني العصمة بل التنزه عن الفواحش وهو استخدام شائع في القرآن الكريم كما قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ﴾ وما من أحد يقول بأنها قصدت بالتطهير هنا العصمة بل التنزه من الفواحش ، وكذلك في قوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾ وغيرها من الآيات ، وبالجملة لفظ (الرجس) أصله (القذر) ، يُطلق ويُراد به الشرك كما في قوله تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ ، ويُطلق ويُراد به الحباثت المحرمة كالملطعومات والمشروبات كقوله تعالى ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسق ﴾ وقوله ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان

﴿ ولم يثبت أن استخدم القرآن لفظ (الرجس) بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته .

9- مما يؤكد أن الآية لا تنص على وقوع التطهير بل على إرادة التطهير وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرص على أن يلحق أصحاب الكساء ما لحق زوجاته أمهات المؤمنين اللاتي نزلت فيهن الآية وفي إرادة تطهيرهن ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنه كان إذا خرج إلى الصلاة يمر باب علي وفاطمة ويقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿ إنما يريد الله أن يُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ مذكراً إياهم بالآية وحاضاً علياً على الخروج لصلاة الجماعة ، إذ بالمحافظة على الفرائض وبطاعة الله يحصل التطهير .

IO- على فرض أن الآية نزلت في أصحاب الكساء لا في نساء النبي عليه الصلاة والسلام ، فإنّ التطهير الذي جاءت به الآية واقع لغيرهم أيضاً بنص القرآن كما قال تعالى عن المؤمنين ﴿ ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾ وغيرها من الآيات ، ولو كان في معنى إرادة التطهير معنى العصمة لوجب القول بعصمة جميع المؤمنين لنص الآية على إرادة الله تطهيرهم ، وهذا ما لا يقوله لا السنة والشيعنة ، فكيف تطبق نظرية التطهير على أناس دون آخرين؟! ! أليس في المسألة نوع من المزاجية وليس المنهجية العلمية .

II- إذهاب الرجس لا يدل على معنى الإمامة ، ونحن بصدد البحث عن دليل على الإمامة ، فإن قيل بأن من مستلزمات الإمامة العصمة وأن من كان معصوماً وجبت إمامته ، قيل : وماذا تقول في السيدة فاطمة الزهراء التي هي أحد أصحاب الكساء ؟ أ تستطيع تطبيق نفس المبدأ عليها وبالتالي القول بأنها

أحد الأئمة؟! فإن قال: لا، قيل: قال الله تعالى ﴿ أَقْتُمُونَ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ﴿ فإما أن تطبق ما تدّعية مائة بالمائة أو تقر بطلانه ، لكن الشبث بالدليل بما يوافق الهوى و طرح ما يخالفه ما هو في الحقيقة إلا تلاعب بالقرآن الكريم ، و ما أرى من يسلك هذا الطريق يطلب الحق و هو يدّعي ما يدّعيه و يجره التعصب إلى الإصرار على الخطأ في فهم كتاب الله .

العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . (النحل/127)

أمر الله نبيه بالصبر عزمًا فقال: [وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ] أي: بتوفيقه ومعوته [ولا تحزن عليهم] على المشركين بإعراضهم عنك [وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ] لا يضيق صدرك من مكروهم .

وتفسيرها عند البغوي "معالم التنزيل": قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ] ، أي: بِمَعُونَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] ، فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْكَ [، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ] ، أي: فِيمَا فَعَلُوا مِنَ الْأَفَاعِيلِ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ هَاهُنَا وَفِي النَّمْلِ «ضَيْقٍ» بِكَسْرِ الضَّادِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الضَّادِ، قَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: هُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ رِطْلٍ وَرَطْلٍ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الضَّيْقُ بِالْفَتْحِ الْغَمُّ، وَبِالْكَسْرِ الشَّدَّةُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الضَّيْقُ بِالْكَسْرِ فِي قَلَّةِ الْمَعَاشِ وَفِي الْمَسَاكِينِ، فَأَمَّا مَا كَانَ فِي الْقَلْبِ وَالصَّدْرِ فَإِنَّهُ بِالْفَتْحِ. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الضَّيْقُ تَخْفِيفُ ضَيْقٍ مِثْلُ هَيْنٍ وَهَيْنٍ، وَلَيْنٍ وَلَيْنٍ، فَعَلَى هَذَا هُوَ صِفَةٌ كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا تَكُ فِي أَمْرِ ضَيْقٍ مِنْ مَكْرِهِمْ.

الآيات التي تتحدث عن محمد

كنبي وحامل رسالة الله

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا . (الاحزاب/46

ما زال الحديث مستمرا عن مظاهر تكريم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وقلنا أنها كثيرة في القرآن

الكريم وفي السنة النبوية ففي الصحيح: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أنزل عليه:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء:214)، خرج حتى صعد الصفا؛ فنادى: يا صباحاه (كلمة

ينادي بها من يطلب النجدة)؛ فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا

الجبيل أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

وشمل اسم النذير جوامع مع ما في الشريعة من النواهي والعقوبات، وهو قسم الاجتناب من قسمي

التقوى؛ فإن المنهيات متضمنة المفسد؛ فهي مقتضية تخويف المقدمين على فعلها من سوء الحال في

العاجل والآجل، وقد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ والداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى ترك عبادة غير الله، ويدعوهم إلى

اتباع ما يأمرهم به الله . وزيادة (بإذنه) ليفيد أن الله أرسله داعيا إليه ويسر له الدعاء إليه مع ثقل أمر

هذا الدعاء وعظم خطره . وقوله وسراجا منيرا، تشبيهه بليغ بطريق الحالية، وهو طريق جميل، أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها، التي لا تترك للباطل شبهة إلا فضحتها، وأوقفت الناس على دخائلها، كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان .

وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من البيان وإيضاح الاستدلال وانتشاع ما كان قبله في الأديان من مسالك للتبديل والتحريف؛ فشمل ما في الشريعة من أصول الاستنباط والتفقه في الدين والعلم؛ فإن العلم يُشَبَّه بالنور فناسبه السراج المنير، وهذا وصف شامل للأوصاف جميعها، التي وصف بها أنفا ووصف السراج بالمنير، مع أن الإنارة من لوازم السراج هو كوصف الشيء بالوصف المشتق من لفظه في قوله: شِعْرُ شاعر، وَلَيْلٌ أَيْلٌ لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به الخاص؛ فإن هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - هو أوضح الهدى، وإرشاده أبلغ إرشاد .

روى البخاري في كتاب (التفسير) من صحيحه في الكلام على سورة الفتح، عن عطاء بن يسار أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَأْيُهَا النَّبِي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح (أو يغفر)، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح (أو يفتح) به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفاء» ..

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان سراجًا منيرًا . . . وليس من شأن السراج أنه إذا أراد الإنارة أنار، وإن لم يرد لم يُنير . فالسراج منيرٌ أراد أم لم يُرد . أينما كان وجوده، يجعل ذلك المحيط منورًا ونورانيًا .

لقد شبّه الله سبحانه الرسول بالسراج، ليس السراج المطفأ، بل المضيء: السراج المنير. أينما يكون، يجعل جو حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك المحيط منوراً أساساً. كان ينير الجوّ بأخلاقه، بمسلكه، بطريقة عمله، بتعامله، بعلمه، بحكمته، سواءً أعطى الدروس لأحد أم لا. لم يكن نور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يضيء فقط حين كان يذهب إلى المسجد ويعظ الناس، بل كان ينير أيضاً عندما كان يجلس في بيته، وحين يكون ساكناً، وعندما كان يمشي، وحين يكون في ميدان القتال، في كل تلك الأوضاع والأحوال، كان وجود الرسول ينير، كان منوراً ومنيراً في الوقت نفسه، وذلك لأن تمام حركات الرسول وسكاته وأقواله وأعماله، كانت كلها في خدمة الله وفي سبيل الله.

(2)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأعراف/157) .

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ وكانت هذه الخلة مؤكدة لمعجزته في القرآن ﴿الذي يجدونه﴾ بنعته وصفته ﴿مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف﴾ بالتوحيد وشرائع الإسلام ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ عبادة الأوثان وما لا يعرف في شريعة ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ يعني: ما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل وشحوم الضأن ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ الميتة والدم وما ذكر في سورة المائدة ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ ويسقط عنهم

ثقل العهد الذي أخذ عليهم ﴿ والأغلال التي كانت عليهم ﴾ الشدائد التي كانت عليهم كقطع أثر البول
 وقتل النفس في التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ من اليهود ﴿ وعزروه ﴾ ووقروه
 ﴿ ونصروه ﴾ على عدوه ﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ يعني: القرآن الآتين .

تفسير البغوي "معالم التنزيل": جعلها الله لهذه الأمة فقال: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ الآية .
 [I59] [الأعراف: I59]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو نبيكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا
 يحسب . قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ» . وهو منسوب إلى الأم
 أي هو على ما ولدته أمه . وقيل: هو منسوب إلى أمته، أضله أمي، فسقطت التاء في النسبة كما
 سقطت في المكي والمدني . وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة . ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ ﴾، أي:
 يجدون صفته ونعته ونبوته، ﴿ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
 المليحي أنا أحمد بن عبد الله التميمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد
 بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت:
 أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة
 ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين أنت عبدي
 ورسولي سميتك الموكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن
 يعفو ويغفر ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيننا
 عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلغلاً . تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال، وقال سعيد: عن هلال عن
 عطاء عن ابن سلام . أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن

هَارُونَ الطَّيْسَفُونِيُّ أَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ التُّرَابِيُّ أَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ سَطَّامٍ
أَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارِ الْقُرَشِيِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي حَمْرَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي
صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْرَةَ عَنْ كَعْبٍ قَالَ: إِنِّي أُجِدُّ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لَا فَظٌّ وَلَا
غَلِيظٌ وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيُصْفَحُ، أُمَّهُ الْحَمَادُونَ يَحْمَدُونَ
اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يَأْتُرُونَ عَلَى أَنْصَابِهِمْ وَيُوصُونَ أَطْرَافَهُمْ، صَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ
وَصَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ سَوَاءً، مُنَادِيهِمْ يَنَادِي فِي جَوْ السَّمَاءِ، لَهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ التَّحْلِ، مَوْلِدُهُ
بِمَكَّةَ وَمُهَاجِرُهُ بَطَابَةَ وَمُلْكُهُ بِالنَّشَامِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾، أَيُّ: بِالْإِيمَانِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ، يَعْنِي: عَنِ الشَّرِكِ، قِيلَ: الْمَعْرُوفُ الشَّرِيعَةُ وَالسُّنَّةُ، وَالْمُنْكَرُ مَا لَا يُعْرَفُ فِي شَرِيعَةٍ وَلَا سُنَّةٍ.
وَقَالَ عَطَاءٌ: يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ بِخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عَنْ
عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾، يَعْنِي: مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْبَحِيرَةِ
وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِ، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، يَعْنِي: الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَالزَّنَا وَغَيْرَهَا
مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ «أَصَارَهُمْ» بِالْجَمْعِ، وَالْإِصْرُ: كُلُّ مَا يَثْقُلُ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَالصَّحَّاحُ وَالسُّدِّيُّ وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْعَهْدَ الثَّقِيلَ كَانَ
أَخَذَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ. قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي التَّشْدِيدَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ.
﴿وَالْأَغْلَالِ﴾، يَعْنِي: الْأَثْقَالَ ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، وَذَلِكَ مِثْلُ قَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْرَةِ وَقَطْعِ الْأَعْضَاءِ
الْخَاطِئَةِ وَقَرَضِ النَّجَاسَةِ عَنِ الثَّوْبِ بِالْمِقْرَاضِ، وَتَعْيِينِ الْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ وَتَحْرِيمِ أَخْذِ الدِّيَةِ، وَتَرْكِ
الْعَمَلِ فِي السَّبْتِ، وَأَنَّ صَلَاتَهُمْ لَا تَجُوزُ إِلَّا فِي الْكِنَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّشْدِيدِ، سَبَّهَتْ بِالْأَغْلَالِ الَّتِي

تَجْمَعُ الْيَدَ إِلَى الْعُنُقِ . ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾ ، أَي: بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿ وَعَزَّزُوهُ ﴾ ، وَقَرَّوهُ ،
﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ ، عَلَى الْأَعْدَاءِ ، ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ ﴾ ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ ، ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

(3)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . (الجمعة/2) .

وقوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الأميون هم : العرب كما قال تعالى : (وقل للذين
أتوا الكتاب والاميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) [
آل عمران : 314] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكد ، كما في
قوله : (وإنه لذكر لك ولقومك) [الزخرف : 44] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به . وكذا قوله :
(وأنذر عشيرتاك الأقربين) [الشعراء : 214] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني
رسول الله إليكم جميعا) [الأعراف : 158] وقوله : (لأنذركم به ومن بلغ) [الأنعام : 19] وقوله
إخبارا عن القرآن : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) [هود : 17] ، إلى غير ذلك من
آيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا
تفسير ذلك في سورة الأنعام ، بالآيات والأحاديث الصحيحة ، ولله الحمد والمنة .

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة ، على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : نذرا يسيرا - ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ ولهذا قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه ، وقلوبه وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرح عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ، ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله . حاكم ، فاصل لجميع الشبهات والشكوك ، والرب في الأصول والفروع . وجمع له تعالى ، وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله ، وأعطاه ما لم يعط أحدا من الأولين ، ولا يعطيه أحدا من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

ومعنى الآية الكريمة في تفسير الطبري

يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم، فقوله هو كناية من اسم الله، والأميون: هم العرب. وقد بئنا فيما مضى المعنى الذي من أجله قيل للأمّي أمّي.

وبنحو الذي قلنا في الأميين في هذا الموضع قال أهل التأويل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال: العرب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثوري يحدث لا أعلمه إلا عن مجاهد أنه قال: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) : العرب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال كان هذا الحجي من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرءونه، فبعث الله نبيه محمداً رحمة وهدى يهديهم به.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال: كانت هذه الأمة أمية لا يقرءون كتاباً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، في قوله: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال: إنما سميت أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأميين، لأنه لم ينزل عليهم كتاباً؛ وقال جل ثناؤه (رَسُولًا مِنْهُمْ) يعني من الأميين وإنما قال منهم، لأن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أمياً، وظهر من العرب.

وقوله: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يقول جل ثناؤه: يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه (وَيُزَكِّيهِمْ) يقول: ويطهرهم من دنس الكفر.

وقوله: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) يقول: ويعلمهم كتاب الله، وما فيه من أمر الله ونهيه، وشرائع دينه (وَالْحِكْمَةَ)
(يعني بالحكمة: السنن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) أي السنة .

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، قال: (وَيُرَكِّبُهُمُ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)

أيضاً كما علم هؤلاء يركبهم بالكتاب والأعمال الصالحة، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأولين،

وقرأ قول الله عز وجل: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مِّن بَقِي

أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة، قال: وقد جعل الله فيهم سابقين، وقرأ قول الله عز وجل: وَالسَّابِقُونَ

السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وقال: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ فَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ سَابِقُونَ، وقليل

السابقون من الآخرين، وقرأ: وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ حَتَّىٰ بَلَغَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ

الآخِرِينَ أيضًا، قال: والسابقون من الأولين أكثر، وهم من الآخرين قليل، وقرأ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ

يُقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ الْآيَةَ، قال: هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم

الساعة .

وقوله: (وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول تعالى ذكره: وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث

الله فيهم رسولا منهم في جُورٍ عن قصد السبيل، وأخذ على غير هدى مُبِينٍ ، يقول: يبين لمن تأمله أنه

ضلال وجور عن الحق وطريق الرشده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) النساء/ ١١٣

يقول عبدالرحمن السعدي في تفسيره :

ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخريين .

والحكمة: إما السُّنَّة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السُّنَّة تنزل عليه كما ينزل القرآن .

وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها وترتيب كل شيء بحسبه .

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى . فإنه صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: ﴿ مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ .
ثم لم يزل يوحى الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخريين، [٢٠٢] فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ فضله على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من فضله على كل مخلوق (٧) .

وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به لا يمكن استقصاؤها (٨) ولا يتيسر إحصاؤها (٩) .

(5)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبِطُلُونَ (العنكبوت/48)

التفسير الميسر :

من معجزاتك البينة -أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حروفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بيمينك؛ لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك الجاهلة من الناس في نبوتك، وتذرعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 48

«وما كنت تتلوا من قبله» أي القرآن «من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا» أي لو كنت قارئاً كتاباً «لارتاب» شك «المبطلون» اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب .

تفسير السعدي : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا

ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه
وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوباً، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر
البيّنات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد، ولهذا قال: ﴿ وَمَا كُنْتُ
تَلُوْا - أَي: تقرأ ﴾ ﴿ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا ﴾ ﴿ لو كنت بهذه الحال ﴾ ﴿ لَأَرْتَابَ
الْمُبْطِلُونَ ﴾ فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتاباً
جليلاً، تحدّثت به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية
العجز، بل ولا حدثهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ
أن يكون مجارياً له أو على منواله، ولهذا قال:

تفسير البغوي: مضمون الآية 48 من سورة العنكبوت

(وما كنت تتلو) يا محمد ، (من قبله من كتاب) من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك)
ولا تكتبه ، أي : لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي (إذا لارتاب المبتلون) يعني لو كنت تكتب أو تقرأ
الكتب قبل الوحي لشك المبتلون المشركون من أهل مكة ، وقالوا : إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه
منها ، قاله قتادة .

وقال مقاتل : " المبتلون " هم اليهود ، ومعناه : إذا لشكوا فيك واتهموك ، وقالوا إن الذي نجد نعته في
التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم ساق- سبحانه - أبلغ الأدلة وأوضحها على أن هذا القرآن من عنده-تبارك وتعالى-، فقال: وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ، إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ .

أى: أنت- أيها الرسول الكريم- ما كنت في يوم من الأيام قبل أن نزل عليك هذا القرآن- تاليا لكتاب من الكتب، ولا عارفا للكتابة، ولو كنت ممن يعرف القراءة والكتابة، لارتاب المبطلون في شأنك، وقالوا إنك نقلت هذا القرآن بخطك من كتب السابقين .

ومن في قوله مِنْ كِتَابٍ لتأكيد نفي كونه صلى الله عليه وسلم قارئاً لأى كتاب من الكتب قبل نزول القرآن عليه .

وقوله: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ لتأكيد نفي كونه صلى الله عليه وسلم يعرف الكتابة أو الخط .

قال الإمام ابن كثير: وهكذا صفة صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة، كما قال-تبارك وتعالى-:الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ . . . وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه- إلى يوم القيامة، لا يجسن الكتابة، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم . . .

والمراد بالمبطلين، كل من شك في كون هذا القرآن من عند الله-تبارك وتعالى-، سواء أكان من مشركي مكة أم من غيرهم .

وسماهم - سبحانه - مبطلين، لأن ارتيابهم ظاهر بطلانه ومجانته للحق، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد لبث فيهم قبل النبوة أربعين سنة، يعرفون حسبه ونسبه، ويعلمون حق العلم أنه أمي لا يعرف الكتابة والقراءة.

تفسير ابن كثير

ثم قال تعالى: ﴿ وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ ، أي: قد لبثت في قومك - يا محمد - ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تقرا كتابا ولا تحسن الكتابة ، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرا ولا تكتب . وهكذا صفة في الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ الآية [الأعراف : 157] . وهكذا كان ، صلوات الله وسلامه عليه [دائما أبدا] إلى يوم القيامة ، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده ، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم . ومن زعم من متأخري الفقهاء ، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام ، كتب يوم الحديبية : " هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله " وإنما حملة على ذلك رواية في صحيح البخاري : " ثم أخذ فكتب " : وهذه محمولة على الرواية الأخرى : " ثم أمر فكتب " . ولهذا اشتد النكير بين فقهاء المغرب والمشرق على من قال بقول الباجي ، وتبرءوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في محافلهم : وإنما أراد الرجل - أعني الباجي ، فيما يظهر عنه - أنه كتب ذلك على وجه المعجزة ، لا أنه كان يحسن الكتابة ، كما قال ، عليه الصلاة والسلام إخبارا عن الدجال : " مكتوب بين عينيه كافر " وفي رواية : " ك ف ر ، يقرأها كل مؤمن " ، وما أورده بعضهم

من الحديث أنه لم يمت ، عليه السلام حتى تعلم الكتابة ، فضعيف لا أصل له ؛ قال الله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو ﴾ أي: تقرأ ﴿ من قبله من كتاب ﴾ لتأكيد النفي ، ﴿ ولا تخطه بيمينك ﴾ تأكيد أيضا ، وخرج مخرج الغالب ، كقوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : 38] .

وقوله : ﴿ إذا لارتاب المبطون ﴾ أي: لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول : إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء ، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة :

﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ [الفرقان : 5] ، قال الله تعالى : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيفا ﴾ [الفرقان : 6] ، وقال هاهنا : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ أي: [هذا] القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق ، أمرا ونهيا وخبرا ، يحفظه العلماء ، يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ [القمر : 17] ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا " .

وفي حديث عياض بن حمار ، في صحيح مسلم : " يقول الله تعالى : إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان " . أي: لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل ، كما جاء في الحديث الآخر : " لو كان القرآن في إهاب ، ما أحرقته النار " ، لأنه محفوظ في الصدور ، ميسر على الألسنة ، مهيمن على القلوب ، معجز لفظا ومعنى ؛ ولهذا جاء في الكتب المتقدمة ، في صفة هذه الأمة : " أناجيلهم في صدورهم " .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (العلق / I - 5) .

هذه السورة أول السور القرآنية نزولاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فامتنع، وقال: ﴿ ما أنا بقارئ ﴾ فلم يزل به حتى قرأ .

فأنزل الله عليه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ عموم الخلق، ثم خص الإنسان .

تفسير البغوي : مضمون الآية I من سورة العلق

مكية (اقرأ باسم ربك الذي خلق) أكثر المفسرين : على أن هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن ، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله : " ما لم يعلم " .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم

يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ فقال :
ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ فقلت : ما أنا
بقارئ ، [قال : فأخذني] فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما
أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة [حتى بلغ مني الجهد] ، ثم أرسلني ، فقال : (اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرجف
فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال
لخديجة : ما لي ؟ وأخبرها الخبر ، وقال : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما
يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على
نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة -
وكان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن
يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ما يقول ،
فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى ،
فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ
يخرجك قومك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أومخرجي [هم] ؟ قال : نعم لم يأت
[أحد بمثل ما] جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يمكث ورقة أن
توفي ، وفتى الوحي .

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه ، عن يحيى بن بكير بهذا الإسناد ، وقال

: حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر قال الزهري ، فأخبرني عروة عن

عائشة وذكر الحديث ، قال : " اقرأ باسم ربك الذي خلق " حتى بلغ " ما لم يعلم " وزاد في آخره

فقال : وفترة الوحي فترة حتى حزن النبي ، - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا

حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل

فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه

فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل ، فقال له مثل ذلك " .

أخبرنا أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ،

أخبرنا عبد الله بن حامد الوراق أخبرنا مكّي بن عبدان ، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر ، حدثنا سفيان

عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول سورة نزلت قوله - عز وجل - :

" اقرأ باسم ربك " .

قال أبو عبيدة : مجازه : اقرأ اسم ربك ، يعني أن الباء زائدة ، والمعنى : اذكر اسمه ، أمر أن يتبدى

القراءة باسم الله [تأديبا] .

(الذي خلق) قال الكلبي : يعني الخلاق

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

تفسير سورة العلق مقدمة وتمهيد I- هذه السورة الكريمة تسمى سورة «العلق» ، وتسمى سورة «اقرأ» وعدد آياتها تسع عشرة آية في المصحف الكوفي، وفي الشامي ثمان عشرة آية، وفي الحجازي عشرون آية.

وصدر هذه السورة الكريمة يعتبر أول ما نزل من قرآن على النبي صلى الله عليه وسلم.

2- ومن أغراضها: التنويه بشأن القراءة والكتابة، والعلم والتعلم، والتهديد لكل من يقف في وجه دعوة الإسلام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه- عز وجل - وإعلام النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله-تبارك وتعالى- مطلع على ما يبته له أعداؤه من مكر وحق، وأنه- سبحانه - قام معهم وناصره عليهم، وأمره صلى الله عليه وسلم بأن يمضى في طريقه، دون أن يلتفت إلى مكرهم أو سفاهاتهم.

وقد أجمع المحققون من العلماء ، على ن هذه الآيات الكريمة ، أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من قرآن على الإطلاق ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصالحة فى النوم .

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث - أى : فيتعبد - فيه الليالى ذوات العدد ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لذلك ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء .

فجاءه الملك فقال له : ﴿ اقرأ ﴾ قال : ما أنا بقارئ ، قال صلى الله عليه وسلم فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ ﴾ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ ﴾ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق .

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . . ﴾ .

وما ورد من أحاديث تفيد أن أول سورة نزلت هي " سورة الفاتحة " فمحمول على أن أول سورة نزلت كاملة هي سورة الفاتحة .

كذلك ما ورد من أحاديث في أن أول ما نزل سورة المدثر ، محمول على أن أول ما نزل بعد فترة الوحي أما صدر سورة العلق فكان نزوله قبل ذلك .

قال الألوسي - بعد أن ساق الأحاديث التي وردت في ذلك - : " وبالجملة فالصحيح - كما قال بعض وهو الذي أختاره - أن صدر هذه السورة الكريمة ، هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق .

وفي شرح مسلم : الصواب أن أول ما نزل " اقرأ " أي : مطلقاً ، وأول ما نزل بعد فترة الوحي ، " يا أيها المدثر " ، وأما قول من قال من المفسرين ، أول ما نزل الفاتحة ، فبطلانه أظهر من أن يذكر " .

والذي نرجحه ونميل إليه أن أول من قرآن على الإطلاق ، هو صدر هذه السورة لكريمة إلى قوله ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك .

أما بقيتها فكان نزوله متأخراً .

قال الأستاذ الإمام " أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً ، وما فيه من ذكر أحوال المكذبين ، يدل على أنه إنما نزل بعد شيوخ خبر البعثة ، وظهر أمر النبوة ، وتحرش قريش لإيذائه صلى الله عليه وسلم وقد افتتحت السورة الكريمة بطلب القراءة من النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه كان أمياً لتهيئة ذهنه لما سيلقى عليه صلى الله عليه وسلم من وحى . . فقال - سبحانه - : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .

أى : اقرأ - أيها الرسول الكريم - ما سنوحيه إليك من قرآن الكريم - ما سنوحيه إليك من قرآن كريم - ولكن قراءتك ملتبسة باسم ربك ، وبقدرته وإرادته ، لا باسم غيره ، فهو - سبحانه - الذى خلق الأشياء جميعها ، والذى لا يعجزه أن يجعلك قارئاً ، بعد كونك لم تكن كذلك .

وقال - سبحانه - ذاته بقوله : ﴿ الذى خلق ﴾ للتذكير بهذه النعمة ، لأن الخلق هو أعظم النعم ، وعليه ترتب جميعها .

اقرأ باسم ربك الذى خلق: تفسير ابن كثير

تفسير سورة اقرأ وهي أول شيء نزل من القرآن .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حيب إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو : التعبد - الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار

حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فقلت : ما أنا بقارئ " . قال : " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ حتى بلغ : ﴿ ما لم يعلم ﴾ . قال : فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : " زملوني زملوني " . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال : يا خديجة ، ما لي : فأخبرها الخبر وقال : " قد خشيت علي " . فقالت له : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي - وهو ابن عم خديجة أخو أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي - فقالت خديجة : أي ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابن أخي ، ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أومخرجي هم ؟ " . فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا . [ثم] لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا . فيسكن بذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومثته ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى ، فمن أرادته فهو هناك محرر ، والله الحمد والمنة .
فأول شيء [نزل] من القرآن هذه الآيات الكريمت المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد ،
وأول نعمة أنعم الله بها عليهم .

تفسير القرطبي : معنى الآية I من سورة العلق

سورة العلقوهي مكية بإجماع ، وهي أول ما نزل من القرآنفي قول أبي موسى وعائشة رضي الله عنهما
وهي تسع عشرة آيةبسم الله الرحمن الرحيماقراً باسم ربك الذي خلقهذه السورة أول ما نزل من القرآن في
قول معظم المفسرين .

نزل بها جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قائم على حراء ، فعلمه خمس آيات من هذه
السورة .

وقيل : إن أول ما نزل يا أيها المدثر ، قاله جابر بن عبد الله ؓ وقد تقدم .

وقيل : فاتحة الكتاب أول ما نزل ؓ قاله أبو ميسرة الهمداني .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : أول ما نزل من القرآن قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم
والصحيح الأول .

قالت عائشة : أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ؛ فجاءه الملك فقال

: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم .

خرجه البخاري .

وفي الصحيحين عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا

الصادقة في النوم ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار

حراء ، يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ؛ ثم يرجع إلى خديجة

فيتزود لمثلها ؛ حتى فجئه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : " اقرأ " : فقال : " ما أنا

بقارئ - قال - فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني " فقال : " اقرأ " فقلت : " ما أنا

بقارئ .

فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق

الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم .

الذي علم بالقلم .

علم الإنسان ما لم يعلم " الحديث بكامله .

وقال أبو رجاء العطاردي : وكان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد " مسجد البصرة "

فيقعدنا حلقا ، فيقرئنا القرآن ؛ فكانني أنظر إليه بين ثوبين له أبيضين ، وعنه أخذت هذه السورة : اقرأ

باسم ربك الذي خلق .

وكانت أول سورة أنزلها الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وروت عائشة - رضي الله عنها - أنها أول سورة أنزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،

ثم بعدها ن والقلم ، ثم بعدها يا أيها المدثر ثم بعدها والضحي ذكره الماوردي .

وعن الزهري : أول ما نزل سورة : (اقرأ باسم ربك - إلى قوله - ما لم يعلم) ، فحزن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - ، وجعل يعلو شواهد الجبال ، فأتاه جبريل فقال له : (إنك نبي الله) فرجع إلى

خديجة وقال : " دثروني وصبوا علي ماء باردا " فنزل يا أيها المدثر .

ومعنى اقرأ باسم ربك أي اقرأ ما أنزل إليك من القرآن مفتتحا باسم ربك ، وهو أن تذكر التسمية في

ابتداء كل سورة .

فمحل الباء من باسم ربك النصب على الحال .

وقيل : الباء بمعنى على ، أي اقرأ على اسم ربك .

يقال : فعل كذا باسم الله ، وعلى اسم الله .

وعلى هذا فالمقروء محذوف ، أي اقرأ القرآن ، وافتتحه باسم الله .

(7)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ .

(الحاقّة/44 - 47)

تَقَوْلُ أَيِ افْتَرَى وَفِيهِ ضَمِيرٌ مُسْتَرِيْعُودٌ إِلَى مُحَمَّدٍ (ص) ، وَالْأَقَاوِيلُ جَمْعُ أَقْوَالٍ ، وَغَلَبَ عَلَى الْأَقْوَالِ الْكَاذِبَةُ ، وَالْمُرَادُ بِالْأَخْذِ بِالْيَمِينِ هُنَا التَّمَكُّنُ وَالْقُدْرَةُ ، وَالْوَتِينَ نِيَاطُ الْقَلْبِ وَحَبْلُ الْوَرِيدِ إِذَا قَطَعَ مَا تَصَاحَبَهُ ، وَحَاجِزِينَ أَيِ مَانِعِينَ وَحَائِلِينَ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ مُحَمَّدًا مَنَزَهُ عَمَّا يَنْسِبُهُ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ ، وَلَوْ تَعَمَّدَ ذَلِكَ لِانْتِقَمَ اللَّهُ مِنْهُ ، وَنَكَلَ بِهِ أَفْطَعَ تَنْكِيلًا ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا غَيْرِهِمْ يَنْجِيهِ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ ، وَمَا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ فَهُوَ - إِذْنٌ - الصَّادِقُ الْأَمِينُ ، وَالْمُفْتَرُونَ هُمُ الَّذِينَ نَسَبُوا مُحَمَّدًا إِلَى الْإِفْتِرَاءِ .

وَتَسْأَلُ : لِمَاذَا لَمْ يَعْجَلْ سَبْحَانَهُ الْعَقُوبَةُ لِمَنْ كَذَّبَ مُحَمَّدًا كَمَا يَعْجَلُهَا لِمَنْ كَذَّبَ مُحَمَّدًا ؟

الْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا التَّهْدِيدَ مِنْهُ تَعَالَى أَمَّا هُوَ لَمْ يَدْعِ النَّبُوَّةَ كَذِبًا وَزُورًا ، لِأَنَّ كَذِبَ نَبِوَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْفَرْقَ بَعِيدٌ وَظَاهِرٌ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ

التفسير الميسر : ولو تقول علينا بعض الأقاويل

ولو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله، لانتمنا وأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا . إن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويحجبون نواهيه .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

ولو تَقَوْلُ عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي لَمْ تَقْلَهَا .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 44

«ولو تَقَوْلُ» أي النبي «علينا بعض الأقاويل» بأن قال عنا ما لم نقله .

تفسير السعدي : ولو تقول علينا بعض الأقاويل

فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته فإنه لو تقول عليه وافترى ﴿ بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ الكاذبة .

تفسير البغوي : مضمون الآية 44 من سورة الحاقة

"ولو تقول"، تخرص واختلق، "علينا"، محمد، "بعض الأقاويل"، وأتى بشيء من عند نفسه .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم بين - سبحانه - ما يحدث للرسول صلى الله عليه وسلم لو أنه - على سبيل الفرض - غيّر أو بدل

شيئاً من القرآن فقال: وَلَوْ تَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ .

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ .

والتقول: افتراء القول، ونسبته إلى من لم يقله، فهو تفعل من القول يدل على التكلف والتصنع والاختلاق .

والأقاويل: جمع أقوال، الذي هو جمع قول، فهو جمع الجمع .

أى: ولو أن محمداً صلى الله عليه وسلم افتري علينا بعض الأقوال، أو نسب إلينا قولاً لم نقله، أو لم نأذن

له في قوله . . لو أنه فعل شيئاً من ذلك على سبيل الفرض .

(8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ . (يس/69) .

التفسير الميسر : وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو

وما عَلَّمْنَا رَسُولَنَا مُحَمَّدًا الشَّعْرَ، وما ينبغي له أن يكون شاعرًا، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الأبواب، وقرآن بين الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه؛ لينذر من كان حيَّ القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

وما عَلَّمْنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّعْرَ، وما ينبغي له ذلك؛ لأنه ليس من طبعه، ولا تقتضيه جِبَلَتُهُ، حتى يصح لكم ادعاء أنه شاعر، ليس الذي علمناه إلا ذكراً وقرآناً واضحاً لمن تأمله .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 69

«وما علمناه» أي النبي «الشعر» رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر «وما ينبغي» يسهل «له» الشعر «إن هو» ليس الذي أتى به «إلا ذكر» عظة «وقرآن مبين» مظهر للأحكام وغيرها .

تفسير السعدي : وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو

ينزه تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أن يكون شاعرا، - أي: هذا من جنس المحال أن يكون شاعرا، لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاؤون، يتبعهم الغاؤون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي تتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ - أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الأبواب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول، ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح. ﴿ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ - أي: مبين لما يطلب بيانه.

ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلة التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله.

تفسير البغوي: مضمون الآية 69 من سورة يس

قوله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمدا شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيبا لهم: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أي: ما يتسهل له ذلك، وما كان يترن له بيت من شعر، حتى إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الثقيفي، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر: كفى الشيب والإسلام للمرء

ناهيا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ، فقال أبو بكر
وعمر : أشهد أنك رسول الله ، يقول الله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أخبرنا عبد الواحد
المليحي ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ، أخبرنا أبو القاسم البغوي ، أخبرنا علي بن الجعد
، حدثنا شريك ، عن المقدم بن شريح ، عن أبيه قال : قلت لعائشة : أكان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة .

قالت : وربما قال : ويأتيك بالأخبار من لم تزود وقال معمر عن قتادة : بلغني أن عائشة سألت : هل كان
النبي - صلى الله عليه وسلم - يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان الشعر أبغض الحديث إليه ،
قالت : ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا بيت أخي بني قيس طرفة : سبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود فجعل يقول : " ويأتيك من لم تزود بالأخبار " فقال أبو بكر - رضي الله عنه
- : ليس هكذا يا رسول الله ، فقال : " إني لست بشاعر ولا ينبغي لي " .

((إن هو) يعني : القرآن) (إلا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) فيه الفرائض والحدود والأحكام .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

أى : وما علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر وإنما الذي علمناه إياه هو القرآن الكريم ، المشتمل
على ما يسعد الناس في دنياهم وفي آخرتهم .

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة ، نفي أن يكون القرآن شعرا بأبلغ وجه لأن الذي علمه الله - تبارك
وتعالى - لنبيه هو القرآن وليس الشعر ، وما دام الأمر كذلك فالقرآن ليس شعرا .

وقوله-تبارك وتعالى-: وَمَا يُبْغِي لَهُ .

أى: ما علمناه الشعر، وإنما علمناه القرآن، فقد اقتضت حكمتنا أن لا نجعل الشعر في طبعه صلى الله عليه وسلم ولا في سليقته، فحتى لو حاوله- على سبيل الفرض- فإنه لا يتأتى له، ولا يسهل عليه ولا يستقيم مع فطرته صلى الله عليه وسلم .

والضمير في قوله-تبارك وتعالى-: إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ يعود إلى القرآن الكريم: أى: ما هذا القرآن الكريم إلا ذكر من الأذكار النافعة، والمواعظ الناجحة، والتوجيهات الحكيمة، وهو في الوقت نفسه قرآنٌ مُّبِينٌ أى: كتاب مقروء من الكتب السماوية الواضحة، التي لا تختلط ولا تلتبس بكلام البشر .

وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو: تفسير ابن كثير

وقوله : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ : يقول تعالى محذرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنه ما علمه الشعر ، ﴿ وما ينبغي له ﴾ أى: وما هو في طبعه ، فلا يحسنه ولا يحبه ، ولا تقتضيه جبلته ؛ ولهذا ورد أنه ، عليه الصلاة والسلام ، كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم ، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه .

وقال أبو زرعة الرازي : حدثت عن إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي أنه قال : ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى إلا يقول الشعر ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره ابن عساکر في ترجمة " عتبة بن أبي لهب " الذي أكله السبع بالزرقاء .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن - هو البصري - قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا

فقال أبو بكر : يا رسول الله :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال أبو بكر ، أو عمر : أشهد أنك رسول الله ، يقول الله : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ .

وهكذا روى البيهقي في الدلائل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : للعباس بن مرداس

السلمي : " أنت القائل :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة " . 50 فقال : إنما هو : " بين عيينة والأقرع " فقال : "

الكل سواء " .

يعني : في المعنى ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكر السهيلي في " الروض الأنف " لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه ، عليه السلام ، في

هذا البيت مناسبة أغرب فيها ، حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري ؛ لأنه

ارتد أيام الصديق ، بخلاف ذلك ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا مغيرة ، عن الشعبي ، عن عائشة ، رضي الله عنها ،

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراث الخبر ، تمثل فيه ببيت طرفة :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهكذا رواه النسائي في " اليوم والليلة " من طريق إبراهيم بن مهاجر ، عن الشعبي ، عنها . ورواه

الترمذي والنسائي أيضا من حديث المقدم بن شريح بن هانئ ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها

، كذلك . ثم قال الترمذي . هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أسامة ، عن زائدة ، عن سماك ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الأشعار :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ثم قال : رواه غير زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن عائشة .

وهذا في شعر طرفة بن العبد ، في معلقته المشهورة ، وهذا المذكور [هو عجز بيت] منها ، أوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الحافظ ، حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم -

وكيل المتقي ببغداد - حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضير ، حدثنا علي بن عمرو

الأنصاري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ،
قالت : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط ، إلا بيتا واحدا .

تفاعل بما تهوى يكن فلقما يقال لشيء كان إلا تحقفا

سألت شيخنا المحافظ أبا الحجاج المزي عن هذا الحديث ، فقال : هو منكر . ولم يعرف شيخ الحاكم ،
ولا الضير .

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة : قيل لعائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل
بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل
أوله آخره ، وآخره أوله . فقال أبو بكر ليس هكذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني
والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي " . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وهذا لفظه .

وقال معمر عن قتادة : بلغني أن عائشة سألت : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء
من الشعر ؟ فقالت : لا إلا بيت طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول : " من لم تزود بالأخبار " . فقال أبو بكر : ليس هذا هكذا . فقال : " إني لست
بشاعر ، ولا ينبغي لي "

وثبت في الصحيحين أنه ، عليه الصلاة والسلام ، تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة ،
ولكن تبعوا لقول أصحابه ، فإنهم يرتجزون وهم يحفرون ، فيقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع صوته بقوله : " أبينا " ويمدها . وقد روي هذا بزحاف في الصحيح أيضا . وكذلك ثبت أنه قال

يوم حنين وهو راكب البغلة ، يقدم بها في نخور العدو :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا : هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر ، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه .

وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

غار فنكبت أصبعه ، فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وسياتي عند قوله تعالى : ﴿ إلا اللهم ﴾ [النجم : 32] إنشاد :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما

وكل هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرا ولا ينبغي له ؛ فإن الله تعالى إنما علمه القرآن

العظيم الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت :

42] . وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ، ولا كهانة ، ولا مفتعل ، ولا سحر يؤثر

، كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال . وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا ، كما رواه أبو داود قال :

حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري ، عن عبد الرحمن بن رافع التنوخي قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول] : ما أبالي ما أوتيت إن أنا شربت ترياقا ، أو تعلقتم تيممة ، أو قلت الشعر من قبل نفسي " . تفرد به أبو داود .

وقال الإمام أحمد ، رحمه الله : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن الأسود بن شيبان ، عن أبي نوفل قال : سألت عائشة : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر ؟ فقالت : كان أبغض الحديث إليه . وقال عن عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ، ويدع ما بين ذلك .

وقال أبو داود : حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ، خير له من أن يمتلئ شعرا " . تفرد به من هذا الوجه ، وإسناده على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بريد ، حدثنا قرعة بن سويد الباهلي ، عن عاصم بن مخلد ، عن أبي الأشعث ، الصنعاني ﴿ ح ﴾ وحدثنا الأشيب فقال : عن ابن عاصم ، عن [أبي] الأشعث عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة ، لم تقبل له صلاة تلك الليلة " .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة . والمراد بذلك نظمه
لا إنشاده ، والله أعلم . على أن الشعر فيه ما هو مشروع ، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه
شعراء الإسلام ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وأمثالهم وأضرابهم ،
رضي الله عنهم أجمعين . ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب ، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ،
ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " آمن شعره وكفر قلبه " . وقد
أشد بعض الصحابة منه للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت ، يقول عقب كل بيت : " هيه " . يعني
يستظعمه ، فيزيده من ذلك .

وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب ، وبريدة بن الحصيب ، وعبد الله بن عباس ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما " .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ يعني : محمدا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله شعرا ،
﴿ وما ينبغي له ﴾ أي: وما يصلح له ، ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ أي: ما هذا الذي علمناه ،
﴿ إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره . ولهذا قال :

تفسير القرطبي : معنى الآية 69 من سورة يس

قوله تعالى : وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول
على الكافرينقوله تعالى : وما علمناه الشعر وما ينبغي له فيه أربع مسائل : الأولى : أخبر تعالى عن حال
نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، ورد قول من قال من الكفار إنه شاعر ، وإن القرآن شعر ، بقوله : وما

علمناه الشعر وما ينبغي له وكذلك كان رسول الله صلى عليه وسلم لا يقول الشعر ولا يزنه ، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم ممتثلا كسر وزنه ، وإنما كان يحرز المعاني فقط صلى الله عليه وسلم .

من ذلك أنه أنشد يوما قول طرفة :ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزوده بالأخبار وأنشد يوما وقد قيل له من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول : ألم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها وإن لم تطيب طيبا وأنشد يوما :أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينتوقد كان - عليه السلام - ربما أنشد البيت المستقيم في النادر .

روي أنه أنشد بيت [عبد الله بن رواحة] :بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع وقال الحسن بن أبي الحسن : أنشد النبي - عليه السلام - :كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : يا رسول الله إنما قال الشاعر :هريرة ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا فقال أبو بكر أو عمر : أشهد أنك رسول الله ، يقول الله - عز وجل - : وما علمناه الشعر وما ينبغي له .

وعن الخليل بن أحمد : كان الشعر أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كثير من الكلام ، ولكن لا يتأتى له .

الثانية : إصابته الوزن أحيانا لا يوجب أنه يعلم الشعر ، وكذلك ما يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزن ، كقوله يوم حنين وغيره :هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيتوقوله :أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلبفقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن ، وفي كل كلام ، وليس ذلك شعرا ولا في معناه ، كقوله

تعالى : لن تتألوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله : نصر من الله وفتح قريب وقوله : وجفان كالجواب
وقدور راسيات إلى غير ذلك من الآيات .

وقد ذكر ابن العربي منها آيات وتكلم عليها وأخرجها عن الوزن ، على أن أبا الحسن الأخفش قال في
قول : " أنا النبي لا كذب " ليس بشعر .

وقال الخليل في كتاب العين : إن ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرا .
وروي عنه أنه من منهوك الرجز .

وقد قيل : لا يكون من منهوك الرجز إلا بالوقف على الباء من قوله : " لا كذب " ، ومن قوله : " عبد
المطلب " .

ولم يعلم كيف قاله النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن العربي : والأظهر من حاله أنه قال : " لا كذب " الباء مرفوعة ، ويخفض الباء من عبد المطلب
على الإضافة .

وقال النحاس قال بعضهم : إنما الرواية بالإعراب ، وإذا كانت بالإعراب لم يكن شعرا ، لأنه إذا فتح الباء
من البيت الأول أو ضمها أو نونها ، وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر .

وقال بعضهم : ليس هذا الوزن من الشعر .

وهذا مكابرة العيان ، لأن أشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره .

وأما قوله : " هل أنت إلا إصبع دميت " فقول إنه من بحر السريع ، وذلك لا يكون إلا إذا كسرت التاء من (دميت) ، فإن سكن لا يكون شعرا مجال ، لأن هاتين الكلمتين على هذه الصفة تكون (فعول) ، ولا مدخل لفعول في بحر السريع .

ولعل النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها ساكنة التاء أو متحركة التاء من غير إشباع .

والمعول عليه في الانفصال على تسليم أن هذا شعر ، ويسقط الاعتراض ، ولا يلزم منه أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - عالما بالشعر ولا شاعرا - أن التمثل بالبيت النزر وإصابة القافيتين من الرجز وغيره ، لا يوجب أن يكون قائلها عالما بالشعر ، ولا يسمى شاعرا باتفاق العلماء ، كما أن من خاط خيطا لا يكون خياطا .

قال أبو إسحاق الزجاج : معنى : وما علمناه الشعر وما علمناه أن يشعر ، أي : ما جعلناه شاعرا ، وهذا لا يمنع أن ينشد شيئا من الشعر .

قال النحاس : وهذا من أحسن ما قيل في هذا .

وقد قيل : إنما خبر الله - عز وجل - أنه ما علمه الله الشعر ولم يخبر أنه لا ينشد شعرا ، وهذا ظاهر الكلام .

وقيل : فيه قول بين ، زعم صاحبه أنه إجماع من أهل اللغة ، وذلك أنهم قالوا : كل من قال قولا موزونا لا يقصد به إلى شعر فليس بشعر ، وإنما وافق الشعر .

وهذا قول بين .

قالوا : وإنما الذي نفاه الله عن نبيه - عليه السلام - فهو العلم بالشعر وأصنافه ، وأعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ، ولم يكن موصوفاً بذلك بالاتفاق .

ألا ترى أن قريشا تراوحت فيما يقولون للعرب فيه إذا قدموا عليهم الموسم ، فقال بعضهم : نقول إنه شاعر .

فقال أهل الفطنة منهم : والله لتكذبكم العرب ، فإنهم يعرفون أصناف الشعر ، فوالله ما يشبه شيئاً منها ، وما قوله بشعر .

وقال أنيس أخو أبي ذر : لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم أنه شعر .

أخرجه مسلم ، وكان أنيس من أشعر العرب ، وكذلك عتبة بن أبي ربيعة لما كلمه : والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، على ما يأتي بيانه من خبره في سورة [فصلت] إن شاء الله تعالى .

وكذلك قال غيرهما من فصحاء العرب العرباء ، واللسن البلغاء .

ثم إن ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعراً ، وإنما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع

القصد إليه ، فقد يقول القائل : حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسائي ، ولا يعد هذا شعراً .

وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلاء : اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد أكتوى

الثالثة : روى ابن القاسم عن مالك أنه سئل عن إنشاد الشعر فقال : لا تكثرن منه ، فمن عيبه أن الله

يقول : وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال : ولقد بلغني أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - -

كتب إلى أبي موسى الأشعري : أن اجمع الشعراء قبلك ، وسلهم عن الشعر ، وهل بقي معهم معرفة ، وأحضر لييدا ذلك ، قال : فجمعهم فسألهم فقالوا : إنا لنعرفه ونقوله .

وسأل لييدا فقال : ما قلت شعرا منذ سمعت الله - عز وجل - يقول : ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه . قال ابن العربي : هذه الآية ليست من عيب الشعر ، كما لم يكن قوله : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك من عيب الكتابة ، فلما لم تكن الأمية من عيب الخط ، كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من عيب الشعر .

روي أن المأمون قال لأبي علي المنقري : بلغني أنك أُمي ، وأنت لا تقيم الشعر ، وأنت تلحن .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فرمما سبق لساني منه بشيء ، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يكتب ولا يقيم الشعر .

فقال له : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل ، يا جاهل ! إن ذلك كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - فضيلة ، وهو فيك وفي أمثالك تقيصة ، وإنما منع النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك لنفي الظنة عنه ، لا لعب في الشعر والكتابة .

الرابعة : قوله تعالى : وما ينبغي له أي : وما ينبغي له أن يقوله .

وجعل الله - جل وعز - ذلك علما من أعلام نبيه - عليه السلام - لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليه ، فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر .

ولا اعتراض للمحد على هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن وكلام الرسول ، لأن ما وافق وزنه وزن الشعر ، ولم يقصد به إلى الشعر ليس بشعر ، ولو كان شعرا لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرا ، على ما تقدم بيانه .

وقال الزجاج : معنى وما ينبغي له أي : ما يسهل له قول الشعر لا الإنشاء .

(9)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَقُولُونَ أَنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ (الصافات/36 - 37) .

يقولون: أنقول: لا إله إلا الله، وترك عبادة آلهتنا؛ اتباعاً لقول شاعر مجنون ؟!

لكن الله سبحانه وتعالى يرد عليهم بأن ليس الأمر كما يزعمون من أن محمداً صلى الله عليه وسلم شاعر مجنون، وإنما هو نبي جاء بالقرآن من عند الله، وفيه الأمر بتوحيد الله؛ وأنه صدق المرسلين الذين كانوا قبله، وأخبروا بمجيئه، فكانت بعثته تصديقاً لهم، وشهد هو ببئوتهم، وأخبر بمثل ما أخبروا به من التوحيد وغيره من الحق .

النبى محمد صلى الله عليه لم يكن شاعرا

اتفق العلماء أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن شاعراً، ولم يكن صاحب ملكة شعرية، وكان ممنوعاً من إنشاء الشعر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ

مبينٌ.﴾ [يس: 69] ، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41] وكان إذا تمثّل

بيت شعرٍ لبعض الشعراءِ كسرَ وزنه، وقصدَ معناه دونَ وزنه. ثمَّ أخبرَ تعالى عن نبيه (صلى الله عليه وآله) فقال: (وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له) ومعناه ما علّمناه الشعرَ لأنّنا لو علّمناه ذلك لدخلت به الشبهة على قومٍ في ما أتى به من القرآن، وأنّه قدرَ على ذلك لما في طبعه من الفطنة للشعر. وقيل: لما لم يُعطي الله نبيه العلمَ بالشعرِ وإنشائه لم يكن قد علّمه الشعرَ، لأنّه الذي يُعطي فطنة ذلك من يشاء من عباده. ثمَّ قال: (إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين) يعني ليس الذي أنزلناه عليه شعراً بل ليس إلا ذكراً من الله (وما علّمناه الشعرَ) يعني قولَ الشعراءِ، وصناعة الشعرِ أي ما أعطينا العلمَ بالشعرِ وإنشائه (وما ينبغي له) أن يقولَ الشعرَ من عند نفسه. وقد خصَّ الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) بأشياءٍ ميّزه بها من خلقه: ومانسب إليه أنّه لما تمثّل بيت شعرٍ لأحد الشعراءِ، كان يتصرّف فيه، تقدماً وتأخيراً، فيخرج عن وزنه الشعري، قال ابنُ أبي حاتم: عن قتادة قال: بلغني أنّه قيل لعائشة هل كان رسولُ الله يتمثّل بشيءٍ من الشعرِ؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه غير أنّه كان يتمثّل ببيت أخي بني قيس يجعلُ آخره أوله وأوله آخره، ويقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار. فقال له أبو بكر: ليس هكذا، فقال رسولُ الله (ص): إني والله ما أنا بشاعرٍ، ولا ينبغي لي. حدّثنا أبي حدّثنا أبو سلمة حدّثنا حمادُ بنُ سلمة، عن عليّ بن زید، عن الحسنِ هو البصري قال: إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثّل بهذا البيت. كفى بالإسلام والشيب للمرءِ ناهياً فقال أبو بكر: يا رسولَ الله. كفى الشيبُ والإسلام للمرءِ ناهياً قال أبو بكر، أو عمر: أشهد أنّك رسولُ الله يقولُ الله: (وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له). (نفسيرُ ابنِ أبي حاتم: 3201 / IO). وعن ما نسب إليه (صلى الله عليه وآله) من مشطوري الرجز، قوله لما أصاب إصبعه فدميت: هل أنت إلا إصبعٌ دميت وفي سبيلِ الله ما لقيت (صحيحُ البخاري: 204 / 3، صحيحُ مسلم: 182 / 5، مسندُ أحمد: 312 / 4، سننُ الترمذي: 5 / 5)

II2 .) المشهور عند أبناء العامة رواية نسبة هذا البيت إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن مع ذلك نُسب إلى أبي بكر بن أبي قحافة. أما الأقوال في المسألة: القول الأول: أنها أخبار آحاد، لا تنفيذ علماء، قال ابن شهر آشوب: وأما ما روي . . . فإن كلها رجز، والرجز لا يعد شعراً، ولأن كل ما يوردونه من هذا الجنس لا يكون بيتاً إلا بزيادة ونقصان أو تغيير فخرج حينئذ من صيغة الشعر، مع أن كلها أخبار آحاد.

(10)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَنْقُرُتُكَ فَلَا تَنْسَى (الاعلى/6)

قال الواحدي: «سَنْقُرُتُكَ»: أي: سنجعلك قارئاً، أي: تؤهلك للقراءة فلا تنسى ما تقرأه، أي: نجعلك قارئاً للقرآن فتحفظه، فهو نفي، أخبر الله - تعالى - أن نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى.

لتفسير الوسيط: ويستفاد من هذه الآية

ثم بين - سبحانه - جانباً من مظاهر فضله على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: سَنْقُرُتُكَ فَلَا تَنْسَى .

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ .

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى .

والنسيان: زوال ما كان موجوداً في حافظة الإنسان .

والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل .

ومفعول المشيئة محذوف .

جريا على غالب استعماله في كلام العرب . أى: سنقرئك- أيها الرسول الكريم- القرآن على لسان أمين
وحيثما جبريل- عليه السلام- .

وسنجعلك حافظا وواعيا لما سيقروه جبريل عليك، بحيث لا تنساه في وقت من الأوقات، أو في حال
من الأحوال، إلا في الوقت أو في الحال الذي يشاء الله-تبارك وتعالى- أن ينسيك شيئا من ذلك .

فإنك ستنساه بأمره-تبارك وتعالى- لأنه وحده- عز وجل - هو العليم بما كان ظاهرا من الأشياء، وبما
كان خافيا منها .

فالمقصود من هاتين الآيتين: وعد الله-تبارك وتعالى- لنبيه صلى الله عليه وسلم ببيان أنه- سبحانه -،
كما أنه قادر على أن يقرئ الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة لا ينساها، فهو أيضا قادر على أن ينزل
من صدره ما يشاء إزالته، عن طريق النسيان لما حفظه .

فالمراد بهذا الاستثناء: بيان أنه-تبارك وتعالى- لو أراد أن يصير الرسول صلى الله عليه وسلم ناسيا
للقرآن لقدر على ذلك، كما قال- سبحانه - **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .** إذ هو-تبارك
وتعالى- على كل شيء قدير، ولكنه لم يشأ ذلك فضلا منه وكرما .

قال الإمام الشوكاني ما ملخصه: قوله: **سَنُقْرُكَ فَلَا تَنْسَى** أى: سنجعلك قارئا بأن نلهمك القراءة .

فلا تنسى ما تقرؤه، والجملتان مستأنفتان لبيان هدايته صلى الله عليه وسلم الخاصة، بعد بيان الهداية
العامة، وهي هدايته صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن .

سنقرئك فلا تنسى: تفسير ابن كثير

وقوله: ﴿ سنقرئك ﴾ أي: يا محمد ﴿ فلا تنسى ﴾ وهذا إخبار من الله ، - عز وجل - ووعد

منه له ، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله .

وقيل: المراد بقوله: ﴿ فلا تنسى ﴾ طلب ،

تفسير القرطبي: معنى الآية 6 من سورة الأعلى

قوله تعالى: سنقرئك أي القرآن يا محمد فنعلمك ، فلا تنسى أي فتحفظ رواه ابن وهب عن مالك .

وهذه بشرى من الله تعالى بشره بأن أعطاه آية بينة ، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي ،

وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ ، فيحفظه ولا ينساه .

وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال: كان يتذكر مخافة أن ينسى ، فقيل: كفيته .

قال مجاهد والكلي: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، لم يفرغ جبريل

من آخر الآية ، حتى يتكلم النبي - صلى الله عليه وسلم - بأولها ، مخافة أن ينساها فنزلت: سنقرئك

فلا تنسى بعد ذلك شيئاً ، فقد كفيته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَناكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . (الاسراء/73-74) .

تفسير الشيخ الشعراوي :

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ (73)

وهذه خبيثة جديدة من خبائثهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا يحاولون جادين أن يصرفوا رسول الله عما بعثه الله به، فمرة يقولون له: دَعِ آهتْنا تتمتع بها سنة ونأخذ الغنائم من ورائها وتحرم لنا بلدنا أي: ثقيف كما حرمت مكة . ومرة يقولون له: لا تستلم الحجر ويمنعونه من استلامه حتى يستلم آهتهم أولاً .

ومعنى ﴿ كَادُوا ﴾ أي قاربوا، والمقاربة غير الفعل، فالمقاربة مشروع فعل وتخطيط له، لكنه لم يحدث، إنهم قاربوا أن يفتنوك عن الذي أنزل إليك لكن لم يحدث؛ لأن محاولاتهم كانت من بعيد، فهي تحوي حول فتنتك عن الدين، كما قالوا مثلاً: نعبد إلهك سنة، وتعبد آهتنا سنة .

ومعنى: ﴿ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ لِيَحْوِلُونَكَ وَيُضْرِبُونَكَ عما أنزل الله إليك، لماذا؟ ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ . . ﴾ [الإسراء: 73] كما حكى القرآن عنهم في آية أخرى: ﴿ آتت بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ . . ﴾ [يونس:

[15]

فيكون الجواب من الحق سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ
إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16].

ونلاحظ في مثل هذا الموقف أن الحق سبحانه يتحمل العنت عن رسوله، وينقل المسألة من ساحة
الرسول إلى ساحته تعالى، لكي لا تكون عداوة بين محمد وقومه، فالأمر ليس من عند محمد بل من عند
الله، يقول تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
يُجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].

فلا تحزن يا محمد، فأنت مُصَدِّقٌ عندهم، لكن المسألة عندي أنا، وهكذا يتحمل الحق سبحانه الموقف
عن رسوله حتى لا يحمل القوم ضغينة لرسول الله.

ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: 73].

الخليل: هو المخال الذي بينك وبينه حُبٌّ ومودة، بحيث يتخلل كل منكما الآخر ويتغلغل فيه، ومنه قوله
تعالى في إبراهيم: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

فإذا ما تقابل الخليلان ذاب كل منهما في صاحبه أو تحلله ودخل فيه.

فالمعنى: لو أنك تنازلت عن المنهج الذي جاءك من الله لَصِرْتَ خَلِيلًا لهم، كما كنت خَلِيلًا لهم من قبل،
وكانوا يحبونك ويقولون عنك (الصادق الأمين). إذن: الذي جعلهم في حالة عداة لك هو منهج الله جئت

به، فلو تنازلت عنه أو تهاونت فيه فسوف يتخذونك خليلاً، فلا تكن خليلاً لهم بل خليلاً لربك الذي أرسلك .

ويخاطب الحق سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم، فيقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ .

﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (74)

﴿وَلَوْلَا﴾ أداة شرط إن دخلت على الجملة الاسمية، وتفيد امتناع وجود الجواب لوجود الشرط، ويسمونها حرف امتناع لوجود، كما لو قلت: لولا زيدٌ عندك لزرْتُكَ، فقد امتنعت الزيارة لوجود زيد .

فإن دخلت (لولا) على الجملة الفعلية أفادت الحثَّ والحضَّ، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ...﴾ [النور: 13] .

و(لولا) في الآية دخلت على جملة اسمية؛ لأن (أن) بعدها مصدرية، فالمعنى: لولا تثبتنا لك لقاربت أن تركزن إليهم شيئاً قليلاً .

والمأمل في هذه الآية يجدها تحتاط لرسول الله عدة احتياطات، فلم تقل: لولا تثبتنا لك لركمت إليهم، لا، بل لقاربت أن تركزن فمنعت مجرد المقاربة، أما الركون فهو أمر بعيد وممنوع نهائياً وغير متصور من رسول الله، ومع ذلك أكد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74] أي: ركوناً قليلاً .

مما يدلُّ على أن طبيعته صلى الله عليه وسلم حتى دون الوحي من الله طبيعة سليمة بفطرتها، فلو
تصوّرنا عدم التثبيت له من الله ماذا كان يحدث منه؟ يحدث مجرد (كاد) أو (قرب) أن يركن إليهم شيئاً
قليلاً، وقلنا: إن المقارنة تعني مشروع فعل، لكنه لم يحدث، ممّا يدلُّ على أن لرسول الله ذاتية مستقلة.
ومعنى ﴿تَبْتَئَاكَ...﴾ [الإسراء: 74] التثبيت هو منع المثبت أن يتأرجح، لذلك نقول للمتحرك:

اثبت.

ومعنى: ﴿تَرَكُنْ﴾ من ركون الإنسان إلى شيء يعتصم به ويحتمي، والناس يبنون الحوائط ليحموا بها
ممتلكاتهم، وإذا احتتم الإنسان بجدار فأسند ظهره إليه مثلاً فقد حمى ظهره فقط، وأمن أن يأتيه أحد
من ورائه، فإن أراد أن يحمي جميع جهاته الأربع، فعليه أن يلجأ إلى ركن وأن يسند ظهره إلى الركن فيأمن
من أمامه، ويحتمي بجدار عن يمينه وجدار عن شماله. إذن: الركون أن تذهب إلى حُرْز يمنعك من جميع
جهاتك.

ومن الركون قوله تعالى عن لوط عليه السلام مع قومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾
[هود: 80] أي: أحتمي به وألجأ إليه.

والحق سبحانه في هذه الآيات يريد أن يستلَّ السخيمة على محمد صلى الله عليه وسلم من قلوب
أعدائه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على هدايتهم وتأليف قلوبهم، وقد كان يشقُّ على نفسه
ويحملها ما لا يطيق في سبيل هذه الغاية، ومن ذلك ما حدث من تركه عبد الله بن أم مكتوم الذي جاءه
سائلاً، وانصرافه عنه إلى صنديد قريش؛ لذلك عتب عليه ربه تبارك وتعالى لأنه شقَّ على نفسه.

وكان الحق تبارك وتعالى في هذه الآية يقول: يا قوم إن لم يوافقكم محمد على ما كنتم تريدون منه الانصراف عما أنزل إليه من ربه، فاعذروه؛ لأن الأمر عندي والتثبيت مني، ولا ذنب لمحمد فيما خالفكم فيه، كما لو كان عندك خادم مثلاً ارتكب خطأ ما، فأردت أن تتحمل عنه المسؤولية، فقلت: أنا الذي كلفته بهذا وأمرته به، فالأمر عندي وليس للخادم ذنب فيما فعل.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ...﴾ .

﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)﴾

﴿إِذَا﴾ أي: لو كدت تركز إليهم شيئاً قليلاً لأذقناك ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ، وبهذا التهديد يرفع الحق سبحانه سخيمة الكره من صدور القوم لمحمد، وينقلها له سبحانه وتعالى.

ومعنى ﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ...﴾ [الإسراء: 75] الضعف: مضاعفة الشيء مرة أخرى.

أي: قدر الشيء مرتين، ولا يُذاق في الحياة إلا العذاب، فالمراد: لأذقناك ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ، لكن لماذا يُضاعف العذاب في حق محمد صلى الله عليه وسلم؟

قالوا: لأنه أسوأ كبيرة وقُدوة يقتدي الناس بها، ويستحيل في حقه هذا الفعل، ولا يتصور منه صلى الله عليه وسلم، لكن على اعتبار أن ذلك حدث منه فسوف يُضاعف له العذاب، كما قال تعالى في نساء النبي: ﴿يَأْتِي النَّبِيَّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 30].

ذلك لأنهن بيت النبوة وأمّهات المؤمنين، وهن أسوة لغيرهن من نساء المسلمين، وكلما ارتفع مقام الإنسان في مركز الدعوة إلى الله وجب عليه أن يتبرأ عن الشبهة؛ لأنه سيكون أسوة فعل، فإن ضل فلن يضل في ذاته فقط، بل سيضل معه غيره، ومن هنا شدد الله العقوبة وضاعفها للنبي ولزوجاته.

وقد اختار الحق سبحانه لفظ ﴿لَذُقْنَاكَ﴾؛ لأن الإذابة من الذوق، وهو أعم الملكات شيوعاً في النفس، فأنت ترى بعينك وتسمع بأذنك وتشم بأنفك، لكن المذاق تشترك فيه كل الملكات.

ثم يقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [الإسراء: 75].

أي: لا تجد مدافعاً يدافع عنك؛ أو ناصراً ينصرك؛ لأن مددك مني وحدي، فكيف يكون لك ناصر من دوني؟

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ .

(11)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ . (آل عمران/ 8 I) .

تفسير الوسيط: قال - سبحانه - تلك آيات الله تتلوها فأظهر لفظ الجلالة ولم يقل تلك آياتنا تتلوها،

ليكون التصريح باسمه - سبحانه - مربياً في النفوس المهابة والإجلال له، إذ هو المستحق وحده لوصف

الألوهية فلا إله سواه ولا معبود بحق غيره، وهو ذو الجلال والإكرام، وهو المنشئ الموجد لهذا الكون وما فيه ومن فيه .

فالتصريح باسمه-تبارك وتعالى- يزيد البيان جلالاً ويبعث في النفوس الخشية والمراقبة والبعد عما يوجب العقاب والإقبال على ما يوصل إلى الثواب .

وقوله بِالْحَقِّ في موضع الحال المؤكدة من الفاعلي أو المفعول .

أى تتلوها عليك متلبسة بالحق أو متلبسين بالصدق أو العدل في كل ما دلت عليه هذه الآيات ونظمت به، مما لا تختلف فيه العقول السليمة، والمدارك القوية .

وقوله- تعالى وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ نفى للظلم بأبلغ وجه فإنه- سبحانه - لم ينف فقط الظلم عن ذاته بل نفى عن ذاته إرادة الظلم إذ هو أمر لا يليق به- سبحانه - ولا يتصور وقوعه منه .

وكيف يريد الظلم من منح هذا العالم كله الوجود، وخلق هذا الكون برحمة وقدرته وعدله؟ والظلم- كما يقول الراغب- وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بزيادة أو بنقصان وإما بعدول عن وقته ومكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته، وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعا للحفر .

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة أنواع: الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله-تبارك وتعالى- وأعظمه الكفر والشرك والنفاق وإياه قصد- سبحانه - بقوله: إِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ .

والثاني: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ .

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ والظلم الذي نفى إرادته- سبحانه - عن ذاته عام لا يخص نوعا دون نوع، إذ من المعروف عند علماء اللغة أن النكرة في سياق النفي تعم، وهنا جاء لفظ الظلم منكرا في سياق النفي وهو ما .

قال الجمل واللام في قوله لِلْعَالَمِينَ زائدة لا تعلق لها بشيء زيدت في مفعول المصدر وهو «ظلم» والفاعلي محذوف .

وهو في التقدير ضمير البارئ- سبحانه - والمعنى ما الله يريد أن يظلم العالمين، فزيدت اللام تقوية للعامل كقوله قَعَالَ لِمَا يُرِيدُ .

تفسير القرطبي: مضمون الآية

قوله تعالى : تلك آيات الله تلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين والله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور قوله تعالى : تلك آيات الله ابتداء وخبر ، يعني القرآن .

تلوها عليك يعني نزل عليك جبريل فيقرأها عليك .

بالحق أي بالصدق .

وقال الزجاج : تلك آيات الله المذكورة حجج الله ودلائله .

وقيل : تلك بمعنى هذه ولكنها لما انتضت صارت كأنها بعدت فقيل تلك ويجوز أن تكون آيات الله بدلا من تلك ولا تكون نعنا ؛ لأن المبهم لا ينعت بالمضاف .

وما الله يريد ظلماً للعالمين يعني أنه لا يعذبهم بغير ذنب .

ولله ما في السماوات وما في الأرض قال المهدوي : وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين وأنه لا يريد ظلماً للعالمين ، وصله بذكر اتساع قدرته وغناه عن الظلم لكون ما في السماوات وما في الأرض في قبضته ، وقيل : هو ابتداء كلام ، بين لعباده أن جميع ما في السماوات وما في الأرض له حتى يسألوه ويعبدوه ولا يعبدوا غيره .

(12)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)

تفسير القرطبي

قوله تعالى : واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا

قوله تعالى : واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته قيل : هو من تمام قصة أصحاب

الكهف ؛ أي اتبع القرآن فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف .

وقال الطبري : لا مغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه والمخالفين لكتابه .

ولن تجد أنت .

من دونه إن لم تتبع القرآن وخالفته .

ملتجداً أي ملجأً وقيل موئلاً وأصله الميل ومن لجأت إليه فقد ملت إليه . قال القشيري أبو نصر عبد الرحيم : وهذا آخر قصة أصحاب الكهف . ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس فاتهم إلى الكهف الذي فيه أصحاب الكهف ؛ فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر إليهم ؛ فقال ابن عباس : قد منع الله من هو خير منك عن ذلك ، فقال : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال : لا أنتهي حتى أعلم علمهم ، وبعث قوماً لذلك ، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم ؛ ذكره الثعلبي أيضاً . وذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأل الله أن يريه إياهم ، فقال إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان ؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لجبريل - عليه السلام - : كيف أبعثهم ؟ فقال : ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الآخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن أبي طالب ، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان فإن الله - تعالى - يأمرها أن تطيعك ؛ ففعل فحملتهم الريح إلى باب الكهف ، فقلعوا منه حجراً ، فحمل الكلب عليهم فلما رأهم حرك رأسه وبصص بذنبه وأوماً إليهم برأسه أن ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فرد الله على الفتية أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ؛ فقالوا لهم : معشر الفتية ، إن النبي محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ عليكم السلام ؛ فقالوا : وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض ، وعليكم بما أبلغتم ، وقبلوا دينه وأسلموا ، ثم قالوا : أقرئوا محمداً رسول الله منا السلام ، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى

آخر الزمان عند خروج المهدي . فيقال : إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة ، فأخبر جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما كان منهم ، ثم ردتهم الريح فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : كيف وجدتموهم ؟ . فأخبروه الخبر ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأصحابي وأغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وخاصتي وأصحابي . وقيل : إن أصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح ؛ فأخبر الله - تعالى - المسيح بنجرهم ثم بعثوا في الفترة بين عيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم - . وقيل : كانوا قبل موسى - عليه السلام - وأن موسى ذكرهم في التوراة ؛ ولهذا سألت اليهود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وقيل : دخلوا الكهف بعد المسيح ؛ فالله أعلم أي ذلك كان .

(13)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . (الشعراء/214) .

تفسير الطبري

وقوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر عشيرتك من

قومك الأقربين إليك قرابة، وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم.

وذكر أن هذه الآية لما نزلت، بدأ بني جده عبد المطلب وولدهم فحذرهم وأنذرهم.

ذكر الرواية بذلك:

حدثني أحمد بن المقدم، قال: ثنا محمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا صَفِيَّةُ بُنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يا فَاطِمَةُ بُنْتُ مُحَمَّدٍ يا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أُمَلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ".

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي ويونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا فَاطِمَةُ بُنْتُ مُحَمَّدٍ، ويا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " ثم ذكر نحو حديث ابن المقدم.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا سلامة، قال: قال عقيل: ثنا الزهري، قال: قال سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ): " يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْرَبُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يا بِنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يا فَاطِمَةُ بُنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلِينِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا".

حدثني محمد بن عبد الملك، قال: ثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل

عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ " ثم ذكر نحو حديث
يونس، عن سلامة، غير أنه زاد فيه " يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " ولم يذكر في
حديثه فاطمة.

حدثني يونس، قال: ثنا سلامة بن روح، قال: قال عقيل: ثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع قريشاً، ثم أتاهم، فقال لهم: " هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ "
فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا لا نراه إلا منا، قال: " إِنَّهُ مِنْكُمْ "، فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ثم قال لهم في آخر كلامه: " لَا أَعْرِفَنَّ مَا وَرَدَ عَلَيَّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسُوقُونَ الْآخِرَةَ وَجِئْتُمْ إِلَيَّ تَسُوقُونَ
الدُّنْيَا " .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب
وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه
(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ): " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا
بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،
يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي
عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت الحجاج يحدث، عن عبد الملك بن عمير، عن
موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أنزل الله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الأقربين) قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: " يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اتَّقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ اتَّقِدِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ أَلَا إِنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَلَهَا بِبِلَاهَا ".

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فعم وخص، فقال: " يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ يا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " يقول لكلهم: " اتَّقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ اتَّقِدِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَلَهَا بِبِلَاهَا ".

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا أبو عثمان، عن زهير بن عمرو وقيصة بن مخارق: أنهما قالَا أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) فحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه علا صخرة من جبل، فعلا أعلاها حجرا، ثم قال: " يا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ يا صَبَاحَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ إِنِّي مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أَتَى الْجَيْشَ فَخَشِيَهُمْ عَلَى أَهْلِهِ فَذَهَبَ يَرْبُؤُهُمْ (2) فَخَشِيَّ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِهِمْ: يا صَبَاحَاهُ! أو كما قال .

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر، عن عوف، عن قسامة بن زهير، قال: بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جاء فوضع أصبعه في أذنه، ورفع من صوته، وقال: " يا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَاصْبَاحَاهُ! "

قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عوف، عن قسامة بن زهير، قال: أظنه عن الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا أبو زيد الأنصاري سعد بن أوس، عن عوف، قال: قال قسامة بن زهير، حدثني الأشعري، قال: لما نزلت، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: وضع أصبعيه في أذنيه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، ثم نادى: "يا صباحاه"، فاجتمع الناس إليه، فبين رجل ينجي، وبين آخر يبعث رسوله، فقال: "يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني يا بني، إرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟" قالوا: نعم، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال أبو لهب: تبا لكم سائر اليوم، ما دعوتموني إلا لهذا؟ فنزلت: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالوا ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا، فقال: "يا صباحاه!" فاجتمعت إليه قريش، فقالوا له: مالك؟ فقال: "أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسيكم ألا كنتم تصدقونني؟" قالوا: بلى، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". قال أبو لهب: تبا لك، أهدنا دعوتنا أو جمعنا!، فأنزل الله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ . . . إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صباحاه!" فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: "يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف"، فاجتمعوا إليه، فقال: "أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟" قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبأ لك ما جمعنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية بن هشام، عن سفيان، عن حبيب، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الصفا، فقال: "يا صباحاه!"

قال ثنا خالد بن عمرو، قال: ثنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، فقال: "يا صباحاه!" فجعل يعددهم: "يا بني فلان، ويا بني فلان، ويا بني عبد مناف".

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عمرو بن مرة الجملي، قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: أتى جبلا فجعل يهتف: "يا صباحاه"، فأتاه من خوف من الناس، وأرسل إليه المتأقلون من الناس رسلا فجعلوا يخيئون يتبعون الصوت، فلما انتهوا إليه قال: "إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ جَاءَ لِيُنْظَرَ، وَمِنْكُمْ مَنْ أُرْسِلَ لِيَنْظَرَ مِنَ الْهَاتِفِ"، فلما اجتمعوا وكثروا قال: "أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً مصبحتكم من هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، فقرأ عليهم هذه الآيات

التي أنزلن، وأنذرهم كما أمر، فجعل ينادي: " يا قُرَيْشُ، يا بني هاشمٍ " حتى قال: " يا بني عبدِ
المطلب، إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ " .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عمرو: أنه كان يقرأ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك
المخلصين .

قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد
الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب: لما
نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فقال لي: " يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ "، قال: " فضقت
بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى ما أنادهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره، فصمتُ حتى جاء جبرائيل، فقال:
يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك . فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة،
واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلهم، وأبلغهم ما أمرت به "، ففعلت ما
أمرني به، ثم دعوتهم لهم، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب،
وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به . فلما
وضعه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم (3) فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي
الصحفة، قال: " خذوا باسم الله "، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم،
وايم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: " اسقِ النَّاسَ "،
فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله،

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم، بده أبو لهب إلى الكلام، فقال: هَدَّ (4) ما
سحركم به صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " الغد يا علي،
إن هذا الرجل قد سبني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلهم فأعد لنا من الطعام
مثل الذي صنعت، ثم اجتمعهم لي "، قال: ففعلت ثم جمعهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما
فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، قال: " اسقهم "، فجئتهم بذلك العس فشربوها حتى
رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " يا بني عبد المطلب، إني والله ما
أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئكم به، إني قد جئكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني
الله أن أدعوكم إليه، فأتاكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي " وكذا وكذا؟ قال: فأحجم
القوم عنها جميعاً، وقلت واني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطناً، وأخمشهم ساقاً. أنا يا
نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال: " إن هذا أخي " وكذا وكذا، " فاسمعوا له وأطيعوا "، قال:
فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع! .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن،
قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالأبطح، ثم قال: " يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني قصي "، قال:
ثم فخذ قريشا قبيلة قبيلة، حتى مر على آخرهم، " إني أدعوكم إلى الله، وأنذركم عذابه " .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: أمر محمد أن يندرج قومه، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته، قال: وكذب به قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ولما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا فاطمة بنت محمد، يا صفيّة بنت عبد المطلب، اتقوا النار ولو بشق تمرّة " .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) بدأ بأهل بيته وفصيلته .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم، فقال: " يا بني هاشم، ألا الفيتنكم تأتونني تحمّلون الدنيا، ويأتي الناس يحمّلون الآخرة، ألا إن أوليائي منكم المتّقون، فاتقوا النار ولو بشق تمرّة " .

(14)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . (الحج/ 49)

﴿ التفسير الميسر ﴾

قل -أيها الرسول-: يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلغ عن الله رسالته . فالذين آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة . والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن بالكذب مشاقين مغالبيين، أولئك هم أهل النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبداً .

﴿ تفسير الجلالين ﴾

«قل يا أيها الناس» أهل مكة «إنما أنا لكم نذير مبين» الإنذار وأنا بشير للمؤمنين .

﴿ تفسير السعدي ﴾

يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس جميعا، بأنه رسول الله حقا، مبشرا للمؤمنين بثواب الله، منذرا للكافرين والظالمين من عقابه، وقوله: مُبِينٌ أي: بين الإنذار، وهو التخويف مع الإعلام بالمخوف، وذلك لأنه أقام البراهين الساطعة على صدق ما أنذرهم به

﴿ تفسير البغوي ﴾

" قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين " .

﴿ تفسير الوسيط ﴾

وبعد هذا العرض لمصارع الغابرين وبيان سنة الله-تبارك وتعالى- في المكذبين، يأمر- سبحانه - نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرشد الناس إلى مصيرهم فيقول: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ .

أي: قل- أيها الرسول الكريم- للناس، إن وظيفتي أن أُنذركم وأخوفكم من عذاب الله، بدون التباس أو غموض .

(تفسير ابن كثير)

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب ، واستعجلوه به : (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أي : إنما أرسلني الله إليكم نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد ، وليس إلي من حسابكم من شيء ، أمركم إلى الله ، إن شاء عجل لكم العذاب ، وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كذب عليه الشقاوة ، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار ، [و] (لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) [الرعد : 41] و (إنما أنا لكم نذير مبين)

(تفسير القرطبي)

قوله تعالى : قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبينقوله تعالى : قل يا أيها الناس يعني أهل مكة .

إنما أنا لكم نذير أي منذر مخوف .

وقد تقدم في البقرة الإنذار في أولها .

(مبين) أي أبين لكم ما تحتاجون إليه من أمر دينكم .

(تفسير الطبري)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعا منهم لكل شيطان مرید: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا، وعذابه في الآخرة أن تصلوه مبين: يقول: أبين لكم إنذاري ذلك وأظهره، لتنبهوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك، لا أملك لكم غير ذلك، فأما تعجيل العقاب وتأخير الذي تستعجلوني به، فألى الله ليس ذلك إليّ، ولا أقدر عليه؛ ثم وصف نذارته وبشارته، ولم يجز للبشارة ذكر، ولما ذكرت النذارة على عمل علم أن البشارة على خلافه.

(15)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . (الفرقان / I) .

التفسير الميسر : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين

عُظُمَتْ بركات الله، وكثرت خيراته، وكملت أوصافه سبحانه وتعالى الذي نزل القرآن الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون رسولا للإنس والجن، مُحَوِّفًا لهم من عذاب الله.

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

تعاظم وكثر خيرُ الذي نزل القرآنَ فارقاً بين الحق والباطل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون رسولاً إلى الثقلين الإنس والجن، محوّفاً لهم من عذاب الله.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية I

«تبارك» تعالى «الذي نزل الفرقان» القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل «على عبده» محمد «ليكون للعالمين» الإنس والجن دون الملائكة «نذيراً» محوّفاً من عذاب الله.

تفسير السعدي : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين

هذا بيان لعظمته الكاملة وتفرد [بالوحدانية] من كل وجه وكثرة خيراته وإحسانه فقال: ﴿ تَبَارَكَ

﴿ - أي: تعاظم وكملت أوصافه وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن

الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة، ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ محمد

صلى الله عليه وسلم الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين، ﴿ لِيَكُونَ ﴾ ذلك الإنزال للفرقان

على عبده ﴿ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن

من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك

السرمدى، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه

وبركاته.

تفسير البغوي : مضمون الآية I من سورة الفرقان

عن ابن عباس : معناه : جاء بكل بركة ، دليله قول الحسن : مجيء البركة من قبله .

وقال الضحاك : تعظم ، (الذي نزل الفرقان) أي : القرآن ، (على عبده) محمد - صلى الله عليه وسلم -

(ليكون للعالمين نذيرا) أي : للجن والإنس قيل : النذير هو القرآن وقيل : محمد - صلى الله عليه وسلم التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

سورة الفرقان من السور المكية، وعدد آياتها سبع وسبعون آية، وكان نزولها بعد سورة «يس» .

أما ترتيبها في المصحف فهي السورة الخامسة والعشرون .

ومن المفسرين الذين لم يذكروا خلافا في كونها مكية، الإمام ابن كثير والإمام الرازي .

وقال القرطبي : هي مكية كلها في قول الجمهور .

وقال ابن عباس وقتادة : إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي : وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَى قَوْلِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

وقد افتتحت هذه السورة الكريمة بالثناء على الله - تبارك وتعالى - الذي نزل الفرقان على عبده محمد

صلى الله عليه وسلم والذي له ملك السموات والأرض . . .

والذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .

قال - تبارك وتعالى - : تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا .

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ . وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا .

(16)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . (الشعراء/ 193) .

عود إلى ما افتتحت به السورة من التنويه بالقرآن وكونه الآية العظمى بما اقتضاه قوله : تلك آيات الكتاب المبين كما تقدم لتختتم السورة بإطناب التنويه بالقرآن كما ابتدئت بإجمال التنويه به ، والتنبيه على أنه أعظم آية اختارها الله أن تكون معجزة أفضل المرسلين . فضمير (وإنه) عائد إلى معلوم من المقام بعد ذكر آيات الرسل الأولين . فبواو العطف اتصلت الجملة بالجملة التي قبلها ، وبضمير القرآن اتصل غرضها بغرض صدر السورة .

فجملة (وإنه لتنزيل رب العالمين) معطوفة على الجملة التي قبلها المحكية فيها أخبار الرسل المماثلة أحوال أقوامهم لحال قوم محمد صلى الله عليه وسلم وما أيدهم الله به من الآيات ليعلم أن القرآن هو آية الله لهذه الأمة ، فعطفها على الجملة التي مثلها عطف القصة على القصة لتلك المناسبة . ولكن هذه الجملة متصلة في المعنى بجملة (تلك آيات الكتاب المبين) بحيث لولا ما فصل بينها وبين الأخرى من طول الكلام لكانت معطوفة عليها . ووجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن في التنويه بالقرآن تسليية له على ما يلاقيه من إعراض الكافرين عن قبوله وطاعتهم فيه .

والتأكيد ب (إن) ولام الابتداء لرد إنكار المنكرين .

والتنزيل مصدر بمعنى المفعول للمبالغة في الوصف حتى كأن المنزل نفس التنزيل . وجملة (نزل به الروح

الأمين) بيان ل (تنزيل رب العالمين) ، أي : كان تنزيهه على هذه الكيفية .

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر بتخفيف زاي (نزل) ورفع (الروح) . وقرأ ابن

عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وخلف (نزل) بتشديد الزاي ونصب (الروح

الأمين) ، أي : نزله الله به .

و (الروح الأمين) : جبريل وهو لقبه في القرآن ، سمي روحا ؛ لأن الملائكة من عالم الروحانيات وهي

المجردات . وتقدم الكلام على الروح في سورة الإسراء ، وتقدم (روح القدس) في البقرة . ونزول جبريل

إذن الله تعالى ، فنزوله تنزيل من رب العالمين .

و (الأمين) صفة جبريل ؛ لأن الله آمنه على وحيه . والباء في قوله (نزل به) للمصاحبة .

والقلب : يطلق على ما به قبول المعلومات كما قال تعالى : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي :

إدراك وعقل .

وقوله (على قلبك) يتعلق بفعل (نزل) ، و (على) للاستعلاء المجازي ؛ لأن النزول وصول من مكان

عال فهو مقتض استقرار النازل على مكان .

ومعنى نزول جبريل على قلب النبي عليهما السلام : اتصاله بقوة إدراك النبي لإلقاء الوحي الإلهي في

قوته المتلقية للكلام الموحى بألفاظه ؛ ففعل (نزل) حقيقة .

وحرف (على) مستعار للدلالة على التمكن مما سمي بقلب النبيء مثل استعارته في قوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم .

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول .

وهذان الوصفان خاصان بوحى نزول القرآن . وثمة وحي من قبيل إبلاغ المعنى وسماء النبيء صلى الله عليه وسلم في حديث آخر نقثا . فقال : إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفي أجلها . فهذا اللفظ ليس من القرآن فهو وحي بالمعنى (والروح : العقل) . وقد يكون الوحي في رؤيا النوم فإن النبيء لا ينام [ص : 190] قلبه ، ويكون أيضا بسماع كلام الله من وراء حجاب ، وقد بينا في شرح الحديث النكتة في اختصاص إحدى الحالتين ببعض الأوقات .

وأشعر قوله (على قلبك) أن القرآن ألقى في قلبه بألفاظه ، قال تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ومعنى (لتكون من المنذرين) لتكون من الرسل . واختير من أفعاله النذارة ؛ لأنها أخص بغرض السورة فإنها افتتحت بذكر إعراضهم وبإندارهم .

وفي (من المنذرين) من المبالغة في تمكن وصف الرسالة منه ما تقدم غير مرة في مثل هذه الصيغة في هذه القصص وغيرها . و (بلسان) حال من الضمير الجرور في (نزل به الروح الأمين) .

والبَاء للملابسة . واللسان : اللغة ، أي : نزل بالقرآن ملابساً للغة عربية مبينة أي : كائناً القرآن بلغة عربية .

والمبين : الموضح للدلالة على المعاني التي يعينها المتكلم فإن لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار ، فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب ، والتقديم والتأخير ، وغير ذلك ، والحقيقة والمجاز والكناية ، وما في سعة اللغة من الترادف ، وأسماء المعاني المقيدة ، وما فيها من المحسنات ، ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنة ، فقد ر الله تعالى هذه اللغة أن تكون هي لغة كتابه الذي خاطب به كافة الناس فأنزل بادئ ذي بدء بين العرب أهل ذلك اللسان ومقاوليل البيان ثم جعل منهم حملته إلى الأمم لترجم معانيه فصاحتهم وبيانهم ، ويتلقى أساليبه الشادون منهم وولدانهم ، حين أصبحوا أمة واحدة يقوم باتحاد الدين واللغة كيانهم .

(17)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . (آل عمران/164) .

التفسير الميسر : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم لقد أنعم الله على المؤمنين من العرب؛ إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آيات القرآن، ويظهرهم من الشرك والأخلاق الفاسدة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل هذا الرسول لفي غيٍّ وجهل ظاهر .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

لقد أنعم الله على المؤمنين وأحسن إليهم حين بعث فيهم رسولا من جنسهم، يقرأ عليهم القرآن، ويظهرهم من الشرك والأخلاق الرذيلة، ويعلمهم القرآن والسنة، وقد كانوا من قبل بعثة هذا الرسول في ضلال واضح عن الهدى والرشاد.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية I64

«لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم» أي عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكا ولا عجميا «يتلو عليهم آياته» القرآن «ويُزَكِّيهِمْ» يظهرهم من الذنوب «ويعلمهم الكتاب» القرآن «والحكمة» السنة «وإن» مخففة أي إنهم «كانوا من قبل» أي قبل بعثه «لفى ضلال مبين» بين.

تفسير السعدي : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم

هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحا لهم، مشفقا عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يعلمهم أفاضها ومعانيها.

﴿ويزكِّيهِمْ﴾ من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق.

و ﴿يعلمهم الكتاب﴾ إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب -هنا- الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي

بها تدرك العلوم وتحفظ، ﴿ والحكمة ﴾ هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، ﴿ وإن كانوا من قبل ﴾ بعثة هذا الرسول ﴿ لفي ضلال مبين ﴾ لا يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين.

تفسير البغوي : مضمون الآية 164 من سورة آل عمران

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) قيل: أراد به العرب لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وله فيهم نسب إلا بني ثعلبة دليله قوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) وقال الآخرون : أراد به جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى : (من أنفسهم) أي : بالإيمان والشفقة لا بالنسب ودليله قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) (يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) وقد كانوا ، (من قبل) أي : من قبل بعثه (لفي ضلال مبين)

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

بعد أن بين ذلك أتبعه بيان فضله- سبحانه - على عباده في أن بعث فيهم رسولا منهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور فقال- تبارك وتعالى-: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ.

قال الرازي: قال الواحدي: «لمن في كلام العرب معان: أحدها: الذي يسقط من السماء، وهو قوله:

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوى.

وثانيها: أن تمن بما أعطيت كما في قوله لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى.

وثالثها: القطع كما في قوله وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ورابعها الإنعام والإحسان إلى من لا تطلب الجزاء

منه- وهو المراد هنا» .

والمعنى: لقد أنعم الله على المؤمنين، وأحسن إليهم إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم أى بعث فيهم رسولا

عظيم القدر، هو من العرب أنفسهم، وهم يعرفون حسبه ونسبه وشرفه وأمانته صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا المعنى يكون المراد بقوله من أنفسهم أى من نفس العرب، ويكون المراد بالمؤمنين مؤمنى العرب،

وقد بعث الله عربيا مثلهم، ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع بتوجيهاته.

ويصح أن يكون معنى قوله من أنفسهم أنه بشر مثل سائر البشر إلا أن الله-تبارك وتعالى- وهبه النبوة

والرسالة، ليخرج الناس- العربي منهم وغير العربي- من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وجعل رسالته

عامة فقال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.

وخص الله-تبارك وتعالى- منته وفضله بالمؤمنين، لأنهم هم الذين انتفعوا بنعمة الإسلام، الذي لن يقبل الله

دينا سواه والذي جاء به محمد- عليه الصلاة والسلام.

والجملة الكريمة جواب قسم محذوف والتقدير: والله لقد من الله على المؤمنين.

ثم بين- سبحانه - مظاهر هذه المنة والفضل ببعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّلَاوَةَ: هي القراءة المتتابعة المرتلة التي يكون بعضها تلو بعض .

والتزكية: هي التطهير والتنقية .

أى لقد أعطى الله-تبارك وتعالى- المؤمنين من النعم ما أعطى، لأنه قد بعث فيهم رسولا من جنسهم يقرأ عليهم آيات الله التي أنزلها هدايتهم وسعادتهم، وَيُزَكِّيهِمْ أى يطهرهم من الكفر والذنوب .

أو يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية والاعتقادات الفاسدة .

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ بأن يبين لهم المقاصد التي من أجلها نزل القرآن الكريم، ويشرح لهم أحكامه، ويفسر لهم ما خفى عليهم من ألفاظه ومعانيه التي قد تخفى على مداركهم .

فتعليم الكتاب غير تلاوته: لأن تلاوته قراءته مرتلا مفهوما أما تعليمه فمعناه بيان أحكامه وما اشتمل عليه من تشريعات وآداب .

ويعلمهم كذلك الْحِكْمَةَ أى الفقه في الدين ومعرفة أسرارهِ وحكمه ومقاصده التي يكمل بها العلم بالكتاب .

وهذه الآية الكريمة قد اشتملت على عدة صفات من الصفات الجليلة التي منحها الله تعالى- لنبية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم بين- سبحانه - حال الناس قبل بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال وَإِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ .

أى: إن حال الناس وخصوصا العرب أنهم كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم في ضلال بين واضح لا يخفى أمره على أحد من ذوى العقول السليمة والأذواق المستقيمة .

وحقا لقد كان الناس قبل أن يبرز نور الإسلام الذي جاء به صلى الله عليه وسلم من عند ربه في ضلال واضح، وظلام دامس، فهم من ناحية العبادة كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، ومن ناحية الأخلاق تفشت فيهم الرذائل حتى صارت شيئا مألوفا، ومن ناحية المعاملات كانوا لا يلتزمون الحق والعدل في كثير من شؤونهم .

والخلاصة أن الضلال والجهل وغير ذلك من الرذائل، كانت قد استشرت في العالم بصورة لا تخفى على عاقل .

فكان من رحمة الله بالناس ومنته عليهم أن أرسل فيهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لكي يخرجهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور الهداية والاستقامة والإيمان .

ثم واصلت السورة الكريمة حديثها عن غزوة أحد فحكى ما قاله ضعاف الإيمان في أعقابها، وردت عليهم بما يبطل مقاتلتهم، وبما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم فقال - تعالى:

تفسير ابن كثير

وقوله : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والاتفاف به ، كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ﴾ [الروم : 21] أي: من جنسكم . وقال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى

إلى ﴿ [الكهف : 110] وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ [الفرقان : 20] وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ﴾ [يوسف : 109] وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [الأنعام : 130] فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسل إليهم منهم ، بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعتة في فهم الكلام عنه ، ولهذا قال : ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ يعني : القرآن ﴿ ويزكيهم ﴾ أي : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ يعني : القرآن والسنة ﴿ وإن كانوا من قبل ﴾ أي : من قبل هذا الرسول ﴿ لفي ضلال مبين ﴾ أي : لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد .

تفسير القرطبي : معنى الآية 164 من سورة آل عمران

قوله تعالى : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبينين الله تعالى عظيم منته عليهم ببعثه محمدا - صلى الله عليه وسلم - .

والمعنى في المنة فيه أقوال : منها أن يكون معنى " من أنفسهم " أي بشر مثلهم .

فلما أظهر البراهين وهو بشر مثلهم علم أن ذلك من عند الله .

وقيل : من أنفسهم منهم .

فشرفوا به - صلى الله عليه وسلم - فكانت تلك المنة .

وقيل : من أنفسهم ليعرفوا حاله ولا تخفى عليهم طريقته .

وإذا كان محله فيهم هذا كانوا أحق بأن يقاتلوا عنه ولا ينهزموا دونه .

وقرئ في الشواذ " من أنفسهم " (بفتح الفاء) يعني من أشرفهم ؛ لأنه من بني هاشم ، وبنو هاشم أفضل من قريش ، وقريش أفضل من العرب ، والعرب أفضل من غيرهم .

ثم قيل : لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب ؛ لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وقد ولده -

صلى الله عليه وسلم - ولهم فيه نسب ؛ إلا بني تغلب فإنهم كانوا نصارى فظهره الله من دنس

النصرانية

وبيان هذا التأويل قوله تعالى : هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم .

وذكر أبو محمد عبد الغني قال : حدثنا أبو أحمد البصري حدثنا أحمد بن علي بن سعيد القاضي أبو

بكر المروزي حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن الزهري

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم قالت :

هذه للعرب خاصة .

وقال آخرون : أراد به المؤمنين كلهم .

ومعنى من أنفسهم أنه واحد منهم وبشر ومثلهم ، وإنما امتاز عنهم بالوحي ؛ وهو معنى قوله لقد جاءكم

رسول من أنفسكم وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به ، فالمنة عليهم أعظم .

يتلو عليهم " يتلو " في موضع نصب نعت لرسول ، ومعناه يقرأ .

والتلاوة القراءة ويعلمهم الكتاب والحكمة تقدم في البقرة . وإن كانوا من قبل نفي ضلال مبين أي ولقد كانوا

من قبل ، أي من قبل محمد ، وقيل : " إن " بمعنى " ما " ، واللام في الخبر بمعنى إلا .

(18)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (الفتح/28 . 29)

تفسير القرطبي :

قوله تعالى : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

قوله تعالى : هو الذي أرسل رسوله يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله أي يعليه على كل الأديان . فالدين اسم بمعنى المصدر ، ويستوي لفظ الواحد والجمع فيه

. وقيل : أي : ليظهر رسوله على الدين كله ، أي : على الدين الذي هو شرعه بالحجة ثم باليد

والسيف ، ونسخ ما عداه .

وكفى بالله شهيدا شهيدا نصب على التفسير ، والباء زائدة ، أي : كفى الله شهيدا لنبية - صلى الله

عليه وسلم - ، وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات . وقيل : شهيدا على ما أرسل به لأن الكفار

أبوا أن يكتبوا : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله .

وهكذا تحققت رؤيا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوقت الذي أراده- سبحانه - ثم بين- سبحانه - الحكمة من إرساله لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . أى: هو- عز وجل - وحده، الذي أرسل رسوله محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إرسالاً ملتبساً بالهدى، أى: بالدليل الواضح والبرهان الساطع الذي يهدى للطريق التي هي أقوم . وأرسله- أيضاً- بالدين الحق وهو دين الإسلام، الذي هو خاتم الأديان وأكملها، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ أى: من أجل أن يظهره ويعليه على جميع الأديان، لما فيه من هدايات، وعبادات، وآداب، وأحكام، وتشريعات، قد جمعت محاسن الأديان السابقة التي جاء بها الأنبياء، وأضافت إليها جديداً اقتضته حكمة الله-تبارك وتعالى- ورحمته بهذه الأمة التي أرسل رسوله محمداً إليها .

وقد بين- سبحانه - أن هذا الدين هو المقبول عنده دون سواه، فقال وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

ولقد ظهر هذا الدين فعم المشارق والمغارب، وسيبقى- بإذن الله- ظاهراً على الأديان كلها بقوة حجته، ونصاعة براهينه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

والباء في قوله: وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا مَزِيدًا لِتَأْكِيدِ هَذَا الْإِظْهَارِ .

أى: وكفى بشهادة الله-تبارك وتعالى- شهادة على حقيقة هذا الدين، وعلى هذا الإظهار الذي تكفل الله-تبارك وتعالى- به لدين الإسلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَيْءٍ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . (سبأ/ 46) .

لتفسير الميسر : قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بمخلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون، وما هو إلا مخوف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أشير إليكم وأنصحكم بمخلة واحدة؛ هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه، اثنين اثنين أو منفردين، ثم تفكروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته؛ لتبينوا أنه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون، ما هو إلا محذر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به .

تفسير الجلالين : معنى وتأويل الآية 46

«قل إنما أعظكم بواحدة» هي «أن تقوموا لله» أي لأجله «مثنى» أي اثنين اثنين «وفرادى» واحدا واحدا «ثم تفكروا» فتعلموا «ما بصاحبكم» محمد «من جنة» جنون «إن» ما «هو إلا نذير لكم بين يدي» أي قبل «عذاب شديد» في الآخرة إن عصيتموه.

تفسير السعدي: قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى

أي ﴿ قُلْ ﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصددين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: ﴿ إِنَّمَا أَعْظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ - أي: بمخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي

طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك، وهي:

﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنى وَفَرَادَى ﴾ - أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله،

مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومناظرين، وفرادى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك. فإذا قمتم لله، مثنى

وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلمتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من

كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟ فلو

قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس

بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات،

وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون [إلا] لأرزن

الرجال عقلا. ثم [إذا] تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمانا، وإيمانا، وترزقي

النفوس، وتظهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ

الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالا وتعظيما. فهل هذا يشبه هذيان المجانين،

وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟ "فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبية صدقاً، خصوصاً المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره.

تفسير البغوي : مضمون الآية 46 من سورة سبأ

(قل إنما أعظكم بواحدة) أمركم وأوصيكم بواحدة ، أي : بخصلة واحدة ، ثم بين تلك الخصلة فقال : (أن تقوموا لله) لأجل الله (مثنى) أي : اثنين اثنين (وفرادى) أي : واحداً واحداً (ثم تفكروا) جميعاً أي : مجتمعون فتنظرون وتحاورون وتفردون ، فتفكرون في حال محمد - صلى الله عليه وسلم - فتعلموا (ما بصاحبكم من جنة) جنون ، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس ، وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق ، كقوله : " وأن تقوموا لليتامى بالقسط " (النساء - 127) .

(إن هو) ما هو (إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال مقاتل : تم الكلام عند قوله : " ثم تفكروا " أي : في خلق السماوات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ، ثم ابتداءً فقال : " ما بصاحبكم من جنة " .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

وقوله-تبارك وتعالى- أعظُّكم من الوعظ، وهو تذكير الغير بالخير والبر بكلام مؤثر رقيق يقال: وعظه يعظه وعظاً وعظة، إذا أمره بالطاعة ووصاه بها .

وقوله بِوَاحِدَةٍ صفة لموصوف محذوف .

والتقدير: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء المشركين الذين قالوا الكذب في شأنك وفي شأن ما جئت به،
قل لهم: إنما أعظكم وأمركم وأوصيكم بكلمة واحدة، أو بمجسلة واحدة.

ثم فسر- سبحانه - هذه الكلمة بقوله: أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّتَرَاكِبِينَ .

والمراد بالقيام هنا: التشمير عن ساعد الجد، وتلقى ما جاءهم به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقلب
مفتوح.

وعقل واع، ونفس خالية من التعصب والحقد والعكوف على التقليد .

وَمِثْلِي وَمِثْلِي أَي: متفرقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، وهما منصوبان على الحال .

ثُمَّ تَفَكَّرُوا بعد ذلك في أمر هذا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي أمر رسالته، وفي أمر ما جاء به من
عند ربه، فعند ذلك ترون أنه على الحق، وأنه قد جاءكم بما يسعدكم .

فآلية الكريمة تأمرهم أن يفكر كل اثنين بموضوعية وإنصاف في أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم
يعرض كل واحد منهما حصيلة تفكيره على صاحبه، وأن يفكر كل واحد منهم على انفراد- أيضا في
شأن هذا الرسول، من غير تعصب وهوى .

وقدم الاثنين في القيام على المنفرد، لأن تفكير الاثنين في الأمور بإخلاص واجتهاد وتقدير، أجدى في
الوصول إلى الحق من تفكير الشخص الواحد ولم يأمرهم بأن يتفكروا في جماعة، لأن العقلية الجماعية
كثيرا ما تتبع الانفعال الطارئ، وقلما تترث في الحكم على الأمور .

ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: والمعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها، أصبتم الحق، وتخلصتم من الباطل-، وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصا، متفرقين اثنين اثنين، وواحدا واحدا، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ.

أما الاثنان: فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى، ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح، والنظر الصحيح على جادة الحق.

وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه، وما استقر عنده من عادات العقلاء، ومجاري أحوالهم.

والذي أوجب تفرقهم مثنى وفردى، أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول.

ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف: ويشور عجاج التعصب.

وقوله- سبحانه -: مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ كَلَامٍ مُسْتَأْفٍ جِيءَ بِهِ لَتَنزِيهِهِ سَاحَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا افْتَرَاهُ عَلَيْهِ الْمَفْتَرُونَ مِنْ كَوْنِهِ قَدْ أَصِيبَ بِالْجَنُونِ.

أى: اجتمعوا اثنين اثنين، أو واحدا واحدا، ثم تفكروا بإخلاص وروية فترون بكل تأكيد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس به شيء من الجنون، إنما هو أرجح الناس عقلا، وأصدقهم قولاً، وأفضلهم علماً، وأحسنهم عملاً، وأزكاهم نفساً، وأنقاهاهم قلباً، وأجمعهم لكل كمال يشرى.

وقوله-تبارك وتعالى- إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ بيان لوظيفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَي: ليس به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جنون، وإنما هو نذير لكم، يحذركم ويخوفكم من العذاب الشديد الذي سينزل بكم يوم القيامة، إذا ما بقيتم على شرككم وكفركم، وهذا العذاب ليس بعيدا عنكم.

قال الإمام ابن كثير: قال الامام أحمد: حدثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فنادى ثلاث مرات فقال: «أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم» ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال: «إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم خافوا عدوا يأتيهم.

فبعثوا رجلا يتراءى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه وقال: أيها الناس أوتيتم.

أيها الناس أوتيتم . . .

«وبهذا الاسناد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بعثت أنا والساعة جميعا، إن كادت لتسبقني» .

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى: تفسير ابن كثير

يقول تعالى : قل يا محمد هؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون : ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ أي: إنما

آمركم بواحدة ، وهي : ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خَمَلٍ ﴾ أي: أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴿ أَي:

تقوموا قياما خالصا لله ، من غير هوى ولا عصبية ، فيسأل بعضكم بعضا : هل بمحمد من جنون ؟

فينصح بعضكم بعضا ، ﴿ ثُمَّ تَفَكَّرُوا ﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ،

ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ، ويتفكر في ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ أن تقوموا لله مشى
وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾ .

هذا معنى ما ذكره مجاهد ، ومحمد بن كعب ، والسدي ، وقتادة ، وغيرهم ، وهذا هو المراد من
الآية .

فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ،
حدثنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول : " أعطيت ثلاثا لم يعطهن من قبلي ولا فخر : أحلت لي الغنائم ، ولم تحل لمن
قبلي ، كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها . وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وكان كل نبي يبعث إلى
قومه ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، أتيمم بالصعيد ، وأصلي حيث أدركتني الصلاة ، قال
الله : ﴿ أن تقوموا لله مشى وفرادى ﴾ وأعنت بالربع مسيرة شهر بين يدي " - فهو حديث ضعيف
الإسناد ، وتفسيرها بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد ، ولعله مقحم في الحديث من بعض
الرواة ، فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم .

وقوله : ﴿ إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ : قال البخاري عندها :

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن خازم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم ، فقال : " يا صباحاه
" . فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : ما لك ؟ فقال : " رأيتم لو أخبرتمكم أن العدو يصبحكم أو

يمسيكم ، أما كنتم تصدقوني ؟ " قالوا : بلى . قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " .

فقال أبو لهب : تبا لك ! ألهذا جمعنا ؟ فأنزل الله : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [المسد] .

وقد تقدم عند قوله : ﴿ وأنذر عشيرتک الأقربین ﴾ [الشعراء : 214] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا بشير بن المهاجر ، حدثني عبد الله بن بريدة ، عن أبيه

قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى ثلاث مرات فقال : " أيها الناس ، أتدرون

ما مثلي ومثلکم ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " إنما مثلي ومثلکم مثل قوم خافوا عدوا

يأتیهم ، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم ، فبينما هو كذلك أبصر العدو ، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه

العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه : أيها الناس ، أوتيتم . أيها الناس ، أوتيتم - ثلاث مرات " .

وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتسبقني "

. تفرد به الإمام أحمد في مسنده .

تفسير القرطبي : معنى الآية 46 من سورة سبأ

قوله تعالى : قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو

إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

قوله تعالى : قل إنما أعظكم تم الحجة على المشركين ؛ أي قل لهم يا محمد : إنما أعظكم أي أذكركم

وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه .

بواحدة أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام ، تقتضي نفي الشرك وإثبات الإله قال مجاهد : هي

لا إله إلا الله وهذا قول ابن عباس والسدي .

وعن مجاهد أيضا : بطاعة الله .

وقيل : بالقرآن ؛ لأنه يجمع كل المواظ .

وقيل : تقديره بمجئته واحدة ، أن تقوموا لله مثني وفردى فتكون (أن) في موضع خفض على البدل

من (واحدة) ، أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ ، أي هي أن تقوموا .

ومذهب الزجاج أنها في موضع نصب بمعنى لأن تقوموا .

وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد التعود ، وهو كما يقال : قام فلان بأمر

كذا ؛ أي لوجه الله والتقرب إليه .

وكما قال تعالى : وأن تقوموا لليتامى بالقسط مثني وفردى أي وحدانا ومجتمعين ؛ قاله السدي .

وقيل : منفردا برأيه ومشاورا لغيره ، وهذا قول مأثور .

وقال القتيبي : مناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه ، وكله متقارب .

ويحتمل رابعا أن المثني عمل النهار والفردى عمل الليل ، لأنه في النهار معان وفي الليل وحيد ، قاله

الماوردي .

وقيل : إنما قال : مثني وفرادى لأن الذهن حجة الله على العباد وهو العقل ، فأوفرهم عقلاً أوفرهم
حظاً من الله ، فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة ، وإذا كانوا مثني تقابل الذهنان فتراءى من العلم
لهما ما أضعف على الانفراد ؛ والله أعلم .

ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة الوقف عند أبي حاتم وابن الأنباري على ثم تفكروا .

وقيل : ليس هو بوقف لأن المعنى : ثم تفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا ، أو رأيتم فيه جنة ، أو
في أحواله من فساد ، أو اختلف إلى أحد ممن يدعي العلم بالسحر ، أو تعلم الأقايص وقرأ الكتب ،
أو عرفتموه بالطمع في أموالكم ، أو تقدرون على معارضته في سورة واحدة ؛ فإذا عرفتم بهذا الفكر
صدقه فما بال هذه المعاندة .

إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية
(وأندر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
الصفا فهتف : يا صباحاه ؟ فقالوا : من هذا الذي يهتف ! ؟ قالوا محمد ؛ فاجتمعوا إليه فقال : يا
بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال رأيتم لو أخبرتمكم أن خيلا
تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا .

قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

قال : فقال أبو لهب : تبا لك ! أما جمعنا إلا لهذا ؟ ثم قال فنزلت هذه السورة : تبت يدا أبي لهب
وتب كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ . (الذاريات/50) .

التفسير الميسر : ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين

ففروا-أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بين الإنذار . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

ففروا من عقاب الله إلى ثوابه، بطاعته وعدم معصيته، إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه بين النذارة .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 50

«ففروا إلى الله» أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه «إني لكم منه نذير مبين» بين الإنذار .

تفسير السعدي : ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين

فلما دعا العباد النظر إلى آياته الموجبة لحشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه- أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبه، ظاهراً وباطناً، فرار من الجهل إلى العلم،

ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، و من الغفلة إلى ذكر الله فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله وقد زال عنه المرهوب، وحصل له، نهاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فراراً، لأن في الرجوع لغيره، أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، [والسرور] والسعادة والفوز، فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى، فإنه مجسب الخوف منه، يكون الفرار إليه، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ - أي: منذر لكم من عذاب الله، ومخوف بين النذارة.

تفسير البغوي : مضمون الآية 50 من سورة الذاريات

(ففروا إلى الله) فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه ، بالإيمان والطاعة .

قال ابن عباس : فروا منه إليه واعملوا بطاعته .

وقال سهل بن عبد الله : فروا مما سوى الله إلى الله (إني لكم منه نذير مبين)

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

والفاء في قوله: فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ . . .

للتفريع على قوله-تبارك وتعالى- لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، أي: ما دام الأمر كما ذكرت لكم من وجود التذکر

والاعتبار، ففروا إلى الله من معصيته إلى طاعته، ومن كفره إلى شكره، ومن السيئات إلى الحسنات .

قال الإمام الرازي ما ملخصه: وفي هذا التعبير لطائف لأنه نبيء عن سرعة الإهلاك، كأنه يقول: الإهلاك

والعذاب أسرع وأقرب، من أن يحتمل الحال الإبطاء في الرجوع.

فافزعوا سريعا إلى الله-تبارك وتعالى- وفروا إلى طاعته، فإنه لا مهرب منه .

وقوله: **إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** تعليل للأمر بالفرار، أي: أسرعوا إلى طاعة الله-تبارك وتعالى- إني لكم من عقابه المعد لمن يصر على معصيته نذير بين الإنذار .

ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين: تفسير ابن كثير

﴿ ففروا إلى الله ﴾ أي: الجئوا إليه ، واعتمدوا في أموركم عليه ، ﴿ إني لكم منه نذير مبين ﴾ .

تفسير القرطبي : معنى الآية 50 من سورة الذاريات

قوله تعالى : **ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين** لما تقدم ما جرى من تكذيب أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم ؛ لذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **قل لهم يا محمد ؛ أي قل لقومك : ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين أي فروا من معاصيه إلى طاعته .**

وقال ابن عباس : **فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم .**

وعنه فروا منه إليه واعملوا بطاعته .

وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : **ففروا إلى الله اخرجوا إلى مكة .**

وقال الحسين بن الفضل : **احتزوا من كل شيء دون الله فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه .**

وقال أبو بكر الوراق : **فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن .**

وقال الجنيد : **الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه .**

وقال ذو النون المصري : ففروا من الجهل إلى العلم ، ومن الكفر إلى الشكر .

وقال عمرو بن عثمان : ففروا من أنفسكم إلى ربكم .

وقال أيضا : ففروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم .

وقال سهل بن عبد الله : ففروا مما سوى الله إلى الله .

إني لكم منه نذير مبين أي أنذركم عقابه على الكفر والمعصية .

(21)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (النساء/78) .

وهذه الآية تثبت بشكل قاطع من ان الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام هو رسول للناس ومفهوم

الناس بالكتاب الكريم كل الناس أي الإنسانية فرسالته إنسانية عالمية ولا غرابة في ذلك لأن اجتمعت فيها

خواتيم الدين والرسل والكتاب :

فالدين بهذه الرسالة قد أكتمل .

وهي آخر الرسائل الإلهية للبشر وهو خاتم النبيين والرسول

وكتاب الله هو يحتوى على ذات العقيدة التي نزلت في التوراة والأنجيل لذلك فهو مصدقا لهم .

(22)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . (يونس/65) .

التفسير الميسر : ولا يخزئك -أيها الرسول- قول المشركين في ربهم وافتراءهم عليه وإشراكهم معه الأوثان والأصنام؛ فإن الله تعالى هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم ونياتهم .

السعدى :

أي: ولا يخزئك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئا . ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يؤتيها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء .

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقوله: ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها .

وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلاً، فأكف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه.

الوسيط لطنطاوي :

وبعد أن بين - سبحانه - ما عليه أولياؤه من سعادة دنيوية وأخروية ، أتبع ذلك بتسليية الرسول - صلى الله عليه وسلم - عما لقيه من أعدائه من أذى فقال : (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

أى : ولا يحزنك يا محمد ما قاله أعداؤك فى شأنك ، من أنك ساحر أو مجنون ، لأن قولهم هذا إنما هو من باب حسدهم لك ، وجحودهم لدعوتك .

والنهي عن الحزن - وهو أمر نفسي لا اختيار للإنسان فيه - المراد به هنا النهي عن لوازمه ، كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب ، وتعظيم أمرها ، وبذلك تتجدد الآلام ، ويصعب نسيانها .

وفي هذه الجملة الكريمة تسليية له - صلى الله عليه وسلم - وتأنيس لقلبه ، وإرشاد له إلى ما سيقع له من أعدائه من شرور ، حتى لا يتأثر بها عند وقوعها .

وقوله : (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) تعليل للنهي على طريقة الاستئناف ، فكأنه - صلى الله عليه وسلم - قد قال : وما لي لا أحزن وهم قد كذبوا دعوتي ؟ فكان الجواب : إن الغلبة كلها ،

والقوة كلها لله وحده لا غيره ، فهو - سبحانه - القدير على أن يغلبهم ويقهرهم ويعصمك منهم ، وهو
(السميع) ، لأقوالهم الباطلة ، (العليم) بأفعالهم القبيحة ، وسيعاقبهم على ذلك يوم القيامة عقاباً
أليماً

ولا تعارض بين قوله - سبحانه - (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) وبين قوله في آية أخرى (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ) لأن كل عزة لا غيره - سبحانه - فهي مستمدة من عزته ، وكل قوة من تأييده وعونه ،
والرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون ، إنما صاروا أعزاء بفضل ركونهم إلى عزة الله - تعالى -
وإلى الاعتماد عليه ، وقد أظهرها - سبحانه - على أيديهم تكريماً لهم .

ولذا قال القرطبي - رحمه الله - قوله : (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) أى : القوة الكاملة ، والغلبة الشاملة ،
والقدرة التامة لله وحده ، فهو ناصرك ومعينك ومانعك . و (جميعاً) نصب على الحال ، ولا يعارض
هذا قوله :

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فإن كل عزة بالله فهي كلها لله ، قال - سبحانه - (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ
الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) .

البعوى : (ولا يحزنك قولهم) يعني : قول المشركين ، تم الكلام هاهنا ثم ابتداء ، فقال : (إن العزة لله)
يعني الغلبة والقدرة لله (جميعاً) هو ناصرك ، وناصر دينك ، والمنقم منهم .

قال سعيد بن المسيب : إن العزة لله جميعاً يعني : أن الله يعز من يشاء ، كما قال في آية أخرى : " والله
العزة ولسوله وللمؤمنين " (المنافقون - 8) ، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله .

ابن كثير: وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: (ولا يحزنك) قول هؤلاء المشركين ، واستعن بالله عليهم ، وتوكل عليه ؛ فإن العزة لله جميعا ، أي : جميعها له ورسوله وللمؤمنين ، (هو السميع العليم) أي : السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم .

القرطبي: وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

قوله تعالى ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم

قوله تعالى ولا يحزنك قولهم أي لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك ،

ثم ابتداء فقال : إن العزة لله أي القوة الكاملة والغلبة الشاملة والقدرة التامة لله وحده ؛ فهو ناصرك

ومعينك ومانعك .

(جميعا) نصب على الحال ، ولا يعارض هذا قوله : والله العزة ورسوله وللمؤمنين فإن كل عزة بالله فهي

كلها لله ؛ قال الله سبحانه : سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

هو السميع العليم السميع لأقوالهم وأصواتهم ، العليم بأعمالهم وأفعالهم وجميع حركاتهم .

الطبري: وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزنك ، يا محمد ، قول هؤلاء

المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام (50) ، فإن العزة لله جميعا ، يقول تعالى

ذكره: فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة ، لا شريك له فيها ، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرونهم عند انتقامه منهم أحدٌ، لأنه لا يُعَارِضُهُ شيءٌ (51) ، (هو السميع العليم) ، يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلمونه، مُخَصِّي ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد . (52)

(23)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . (هود/12) .

التفسير الميسر : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به

فلعلك -أيها الرسول لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب- تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، وضائق به صدرك؛ خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدقه في رسالته، فبلغهم ما أوحىته إليك؛ فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك . والله على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

فلعلك أيها الرسول - لِمَا واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات - تارك تبليغ بعض ما أمرك الله بتبليغه مما يشق عليهم العمل به، وضائق صدرك بتبليغه لئلا يقولوا: هَلَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ يَغْنِيهِ، أو جاء معه ملك يصدقه، فلا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل ذلك، فما أنت إلا نذير، تبليغ ما أمرك الله بتبليغه، وليس عليك الإتيان بما يقترحونه من الآيات، والله على كل شيء حفيظ.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية I2

«فلعلك» يا محمد «تارك بعض ما يوحى إليك» فلا تبليغهم إياه لتهاونهم به «وضائق به صدرك» بتلاوته عليهم لأجل «أن يقولوا لولا» هلا «أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك» يصدقه كما اقترحنا «إنما أنت نذير» فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوا «والله على كل شيء وكيل» حفيظ فيجازيهم.

تفسير السعدي : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به

يقول تعالى - مسليا لنبية محمد صلى الله عليه وسلم، عن تكذيب المكذبين -: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ - أي: لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدك عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ فإن هذا القول ناشئ من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا من سفيه ولا يضق لذلك صدرك. فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحا، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟ أم عليك حسابهم، ومطالب بهدايتهم جبرا؟ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء.

تفسير البغوي : مضمون الآية I2 من سورة هود

(فلعلك) يا محمد ، (تارك بعض ما يوحى إليك) فلا تبلغه إياهم .

وذلك أن كفار مكة لما قالوا : ائت بقرآن غير هذا (يونس - I5) ليس فيه سب آلهتنا ، هم النبي صلى الله عليه وسلم أن يدع آلهتهم ظاهرا ، فأنزل الله تعالى : (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) يعني : سب الآلهة ، (وضائق به صدرك) أي : فلعلك يضيق صدرك (أن يقولوا) أي : لأن يقولوا ، (لولا أنزل عليه كنز) ينفقه (أو جاء معه ملك) يصدقه ، قاله عبد الله بن أمية المخزومي .

قال الله تعالى : (إنما أنت نذير) ليس عليك إلا البلاغ ، (والله على كل شيء وكيل) حافظ .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

قال الفخر الرازي - رحمه الله - : روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد ،

اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا .

وقال آخرون : ائنا بالملائكة يشهدون بنبوتك .

فقال : لا أقدر على ذلك فنزلت هذه الآية .

ولفظ لعل كما يقول الألوسي - للترجى ، وهو يقتضى التوقع ، ولا يلزم من توقع الشيء وقوعه ولا ترجح

وقوعه ، لجواز أن يوجد ما يمنع منه ، فلا يشكل بأن توقع ترك التبليغ منه صلى الله عليه وسلم مما لا يليق

بمقام النبوة ، لأن المانع منه هنا ثبوت عصمته صلى الله عليه وسلم عن كتم شيء أمر بتبليغه . . .

والمقصود بهذا الأسلوب هنا تحريضه صلى الله عليه وسلم وتهيبج داعيته لأداء الرسالة، ويقال نحو ذلك

في كل توقع نظير هذا التوقع» .

وتاركُ اسم فاعل من الفعل ترك.

وضائقُ اسم فاعل من الفعل ضاق، وهو معطوف على تاركُ.

والمراد ببعض ما يوحى إليه صلى الله عليه وسلم في قوله- سبحانه - فَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ:

ما نزل عليه: من قرآن فيه استهزاء بأهتهم، وتسفيه لعقولهم التي استساغت أن تشرك مع الله-تبارك

وتعالى- في عبادتها آلهة أخرى» .

والضمير الجرور في قوله- سبحانه - وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ يَعُودُ إِلَى الْبَعْضِ الْمَوْحَىٰ بِهِ، وقيل يعود للتبليغ،

وقيل للتكذيب .

وجملة أَنْ يَقُولُوا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَىٰ أَنَّهَا مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ، أى: كراهة أو خشية أن يقولوا .

والكنز: يطلق على المال الكثير المجموع بعضه إلى بعض سواء أكان في بطن الأرض أم في ظهرها، ومرادهم

بإنزاله هنا: أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من السماء مال كثير يغنيه هو وأصحابه،

ويجعلهم في رغد من العيش، بدل ما يبدو على بعضهم من فقر وفاقة . والمعنى: ليس خافيا علينا- أيها

الرسول الكريم- ما يفعله المشركون معك، من تكذيب لدعوتك، ومن جحود لرسالتك، ومن مطالب

متعنة يطلبونها منك . . .

ليس خافيا علينا شيئاً من ذلك، ولعلك إزاء مسالكهم القبيحة هذه، تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك، وهو ما يثير غضبهم، وضائق صدرك بهذا التبليغ، كراهة تكذيبهم لوحى الله، واستهزائهم بدعوتك، وقولهم لك على سبيل التعنت: هلا أنزل إليك من السماء مال كثير تستغني به وتغنى أتباعك، وهلا كان معك ملك يصاحبك في دعوتك، ويشهد أمامنا بصدقك.

ويؤيدك في تحصيل مقصودك. لا- أيها الرسول الكريم- لا تترك شيئاً من تبليغ ما أمرك الله بتبليغه لهؤلاء المشركين، ولا يضيق صدرك بأفعالهم الذميمة، وبأقوالهم الباطلة، بل واصل دعوتك لهم إلى طريق الحق، فما عليك إلا الإنذار، أما نحن فإلينا إياهم، وعلينا حسابهم.

وعبر- سبحانه - عن تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم من مواقفهم المتعنتة باسم الفاعل ضائق لا بالصفة المشبهة «ضيق» لمراعاة المقابل وهو قوله تارك، وللإشارة إلى أن هذا الضيق مما يعرض له صلى الله عليه وسلم أحياناً، وليس صفة ملازمة له، لأن اسم الفاعل يقتضى الحدوث والانتفاع، بخلاف الصفة المشبهة فتقتضى الثبات والدوام.

وأبرز- سبحانه - هنا صفة الإنذار للرسول صلى الله عليه وسلم مع أن وظيفته الإنذار والتبشير، لأن المقام هنا يستوجب ذلك، إذ أن هؤلاء المشركين قد تجاوزوا كل حد في الإساءة إليه صلى الله عليه وسلم.

وقوله- سبحانه - وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ تذييل قصد به زيادة تثبيته وتحريضه على المضي في تبليغ دعوته.

أى: سر في طريقك- أيها الرسول الكريم- غير مبال بما يصدر عنهم من مضايقات لك، والله-تبارك وتعالى- حافظ لأحوالك وأحوالهم، وسيجازيهم بالجزاء الذي يتناسب مع جرائمهم وكفرهم.

والمأمل في هذه الآية الكريمة يراها تعبر أكمل تعبير عن الفترة الحرجة التي نزلت فيها هذه السورة الكريمة، فقد سبق أن قلنا عند التعريف بها، إنها نزلت في الفترة التي أعقبت وفاة النصيرين الكبيرين للرسول صلى الله عليه وسلم وهما أبو طالب وخديجة- رضى الله عنها- وكانت هذه الفترة من أشق الفترات على الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تكاثر فيها إيذاء المشركين له ولأصحابه. فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة تحت النبي صلى الله عليه وسلم على الثبات والصبر، وعلى تبليغ ما يوحى إليه، مع عدم المبالاة بما يضعه المشركون في طرقه من عقبات. هذا، وقد سبق أن بينا عند التعريف بهذه السورة- أيضا- أن من العلماء من يرى أن هذه الآية مدنية، ولعلك معي- أيها القارئ الكريم- في أنه لا يوجد أى دليل نقلي أو عقلي يؤيد ذلك، بل الذي تؤيده الأدلة ويؤيده سبب النزول أن الآية مكية كبقية السورة.

وهناك آيات أخرى مكية تشبه هذه الآية في أسلوبها وموضوعها، ومن هذه الآيات قوله-تبارك وتعالى:-

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا .

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك زعما آخر من

مزاعمهم الكثيرة، وهو دعواهم أن القرآن مفترى، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من أمثال هذا القرآن

المفترى في زعمهم، فقال-تبارك وتعالى:-

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به: تفسير ابن كثير

يقول تعالى مسليا لرسوله - صلى الله عليه وسلم - عما كان يتعنت به المشركون ، فيما كانوا يقولونه عن الرسول ، كما أخبر تعالى عنهم : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ [الفرقان : 7 ، 8] . فأمر الله تعالى رسوله ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وأرشده إلى ألا يضيق بذلك منهم صدره ، ولا يهيدنه ذلك ولا يشينه عن دعائهم إلى الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : 97 - 99] ، وقال هاهنا : ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا ﴾ أي: لقولهم ذلك ، فإنما أنت نذير ، ولك أسوة بإخوانك من الرسل قبلك ، فإنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل .

تفسير القرطبي : معنى الآية I2 من سورة هود

قوله : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيلقوله تعالى : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب توهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه .

وقيل : إنهم لما قالوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك هم أن يدع سب آهتهم فنزلت هذه الآية ؛ فالكلام معناه الاستفهام ؛ أي هل أنت تارك ما فيه سب آهتهم كما سألوك ؟ وتأكد عليه الأمر في الإبلاغ ؛ كقوله : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .

وقيل : معنى الكلام النفي مع استبعاد ؛ أي لا يكون منك ذلك ، بل تبلغهم كل ما أنزل إليك ؛ وذلك أن مشركي مكة قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آهتنا لاتبعتناك ، فهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يدع سب آهتهم ؛ فنزلت .

قوله تعالى وضائق به صدرك عطف على " تارك " و " صدرك " مرفوع به ، والهاء في " به " تعود على " ما " أو على " بعض " ، أو على التبليغ ، أو التكذيب .

وقال : " ضائق " ولم يقل ضيق ليشاكل " تارك " الذي قبله ؛ ولأن الضائق عارض ، والضيق ألزم منه " أن يقولوا " في موضع نصب ؛ أي كراهية أن يقولوا ، أو لئلا يقولوا كقوله : بين الله لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا أو لأن يقولوا .

" لولا " أي هلا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك يصدقه ، قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ؛ إنما أنت نذير فقال الله تعالى : يا محمد إنما عليك أن تنذرهم ، لا بأن تأتيهم بما يقترحونه من الآيات . والله على كل شيء وكيل أي حافظ وشهيد .

(24)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .
(هود / 12) .

التفسير الميسر : وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت

وتقصُّ عليك -أيها النبي- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوي قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسوله.

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

وكل خبر نقصه عليك - أيها الرسول - من أخبار الرسل من قبلك نقصه لثبَّت به قلبك على الحق وتقويه، وجاءك في هذه السورة الحق الذي لا شك فيه، وجاءتك فيها موعظة للكافرين، وذكرى للمؤمنين الذين ينتفعون بالذكرى.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 120

«وكلا» نصب بنقص وتنوينه عوض المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه «نقص عليك من أنباء الرسل ما» بدل من «كلا»، «ثبت» نظمَّن «به فؤادك» قلبك «وجاءك في هذه» الأنباء أو الآيات «الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

تفسير السعدي : وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما ثبت

لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء، ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ - أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به. ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ﴾ السورة ﴿ الْحَقُّ ﴾ اليقين، فلا شك فيه بوجه من

الوجه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس. ﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ -

أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها .

تفسير البغوي : مضمون الآية 120 من سورة هود

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) معناه : وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل ،

أي : من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك ، لنزيدك يقينا وتقوي قلبك ، وذلك أن

النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه .

(وجاءك في هذه الحق) قال الحسن ، وقيادة : في هذه الدنيا .

وقال غيرهما : في هذه السورة وهذا قول الأكثرين خص هذه السورة تشريفا ، وإن كان قد جاءه الحق

في جميع السور . (وموعظة) أي : وجاءتك موعظة (وذكرى للمؤمنين) .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم بين- سبحانه - أهم الفوائد التي تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء إخباره بأحوال

الأنبياء السابقين مع أقوامهم فقال: **وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ . . .** والتبيين في

قوله **وَكَلَّا** للعوض عن المضاف إليه .

والأنباء جمع نبأ وهو الخبر الهام: أي: وكل نبأ من أنباء الرسل الكرام السابقين نقصه عليك- أيها الرسول

الكريم- ونخبرك عنه .

فالمقصود به تثبيت قلبك، وتقوية يقينك، وتسلية نفسك ونفوس أصحابك عما لحقكم من أذى في سبيل تبليغ دعوة الحق إلى الناس .

وقوله- سبحانه - وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بيان لما اشتملت هذه السورة الكريمة من أخبار صادقة، وعظات بليغة .

أى وجاءك- أيها الرسول الكريم- في هذه السورة الكريمة وغيرها من سور القرآن الكريم: الحق الثابت المطابق للواقع، والعظات الحكيمة، والذكرى النافعة للمؤمنين بما جئت به .

وأما الذين في قلوبهم مرض فقد زادتهم هذه السورة وأمثالها رجسا إلى رجسهم، وماتوا وهم كافرون .

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : وكل أخبار تقصها عليك ، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم ، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات ، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى ، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين - كل هذا مما ثبت به فؤادك - يا محمد - أي: قلبك ، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة .

وقوله : ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾ أي: [في] هذه السورة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وجماعة من السلف . وعن الحسن - في رواية عنه - وقتادة : في هذه الدنيا .

والصحيح : في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء وكيف نجاهم الله والمؤمنين بهم ، وأهلك الكافرين ، جاءك فيها قصص حق ، ونبأ صدق ، وموعظة يرتدع بها الكافرون ، وذكرى يتوقر بها المؤمنون .

تفسير القرطبي : معنى الآية 120 من سورة هود

قوله تعالى : وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنينقوله تعالى : وكلا نقص عليك كلا نصب ب " نقص " معناه وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك وقال الأخفش : " كلا " حال مقدمة ، كهولك : كلا ضربت القوم . من أنباء الرسل أي من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم .

ما نثبت به فؤادك أي على أداء الرسالة ، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى .

وقيل : نزيدك به تثبيتاً وقيناً .

وقال ابن عباس : ما نشد به قلبك .

وقال ابن جريج : نصبر به قلبك حتى لا تجزع .

وقال أهل المعاني : نطيب ، والمعنى متقارب .

و " ما " بدل من كلا ، المعنى : نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك .

وجاءك في هذه الحق أي في هذه السورة / عن ابن عباس وأبي موسى وغيرهما / وخص هذه السورة لأن فيها أخبار الأنبياء والجنة والنار .

وقيل : خصها بالذكر تأكيدا وإن كان الحق في كل القرآن .

وقال قتادة والحسن : المعنى في هذه الدنيا ، يريد النبوة .

وموعظة وذكرى للمؤمنين الموعظة ما يعظ به من إهلاك الأمم الماضية ، والقرون الخالية المكذبة / وهذا تشريف لهذه السورة / لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص .

وذكرى للمؤمنين أي يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون / وخص المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء .

(25)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . (الرعد / 32) .

تفسير الوسيط: تفسير الآية

وقوله - سبحانه - : وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ . . .

تسليية للرسول صلى الله عليه وسلم عما أصابه من حزن بسبب تعنت المشركين معه .

ومطالبتهم له بالمطالب السخيفة التي لا صلة لها بدعوته، كطلبهم منه تسيير الجبال وتقطيع الأرض،
وتكليم الموتى .

والاستهزاء: المبالغة في السخرية والتهكم من المستهزأ به .

والإملاء: الإهمال وترك لمدة من الزمان .

والتنكير في قوله بِرُسُلٍ لِلْكَثِيرِ، فقد استهزأ قوم نوح به، وكانوا كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخروا
منه .

واستهزأ قوم شعيب به وقالوا له: فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

واستهزأ قوم هود به وقالوا له: إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ

واستهزأ فرعون بموسى فقال: أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ .

والمعنى: ولقد استهزأ الطغاة والجاحدون برسول كثيرين من قبلك- أيها الرسول الكريم- فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا أَى: فأمهلتهم وتركهم مدة من الزمان في أمن ودعة .

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابِي إِيَّاهُمْ، لقد كان عقابا رادعا
دمرهم تدميرا .

فلاستفهام للتعجب مما حل بهم، والتهويل من شدته وفضاعته وشبيهه بهذه الآية قوله-تبارك وتعالى-

وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْبَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ .

قال ابن كثير: وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وإن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ .

« تفسير القرطبي: مضمون الآية

قوله تعالى: ولقد استهزئ برسلك من قبلك فأملت للذين كفروا ثم أخذتهم تقدم معنى الاستهزاء في " البقرة " ومعنى الإملاء في " آل عمران " أي سخر بهم ، وأزري عليهم ؛ فأملت الكافرين مدة ليؤمن من كان في علمي أنه يؤمن منهم ؛ فلما حق القضاء أخذتهم بالعقوبة .
فكيف كان عقاب أي فكيف رأيت ما صنعت بهم ، فكذلك أصنع بمشركي قومك .

(26)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ . (الحجر/ 88) .

تفسير البغوي :

قوله تعالى: (لا تمدن عينيك) يا محمد (إلى ما متعنا به أزواجا) أصنافا (منهم) أي : من الكفار متمنيا لها . نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها [عليها] .
(ولا تحزن عليهم) أي : لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن العنزي ، حدثنا عيسى بن نصر ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا جهنم بن أوس ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مریم - ومر به عبد الله بن رستم في موكبه ، فقال لابن أبي مریم : إني لأشتهي مجالستك وحديتك ، فلما مضى قال ابن أبي مریم - سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقبطن فاجرا بنعمته ، فإنك لا تدري ما هو لاق بعد موته ، إن له عند الله قاتلا لا يموت " فبلغ ذلك وهب بن منبه فأرسل إليه وهب أبا داود الأعمور ، قال : يا أبا فلان ما قاتلا لا يموت ؟ قال ابن أبي مریم : النار " .

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه ، حدثنا أبو الحسن بن إسحاق ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي ، أخبرنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " .

وقيل : هذه الآية متصلة بما قبلها لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا .

روي أن سفيان بن عيينة - رحمه الله - تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " أي : لم يستغن بالقرآن . فتأول هذه الآية .

قوله تعالى : (واخفض جناحك) لين جناحك (للمؤمنين) وارفق بهم ، والجناحان لابن آدم جانباه

تفسير القرطبي :

قوله تعالى : لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين فيه
مسألان : الأولى : قوله - تعالى - : لا تمدن عينيك المعنى : قد أغنيك بالقرآن عما في أيدي الناس ؛
فإنه ليس منا من لم يتغن بالقرآن ؛ أي ليس منا من رأى أنه ليس يغنى بما عنده من القرآن حتى يطمح
بصره إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى . يقال : إنه وافى سبع قوافل من البصرى وأذرعاً لليهود
قريظة والنضير في يوم واحد ، فيها البر والطيب والجوهر وأمتعة البحر ، فقال المسلمون : لو كانت هذه
الأموال لنا لتقويتنا بها وأنفقناها في سبيل الله ، فأنزل الله - تعالى - : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني أي
فهي خير لكم من القوافل السبع ، فلا تمدن أعينكم إليها . وإلى هذا صار ابن عيينة ، وأورد قوله -
عليه السلام - : ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي من لم يستغن به . وقد تقدم هذا المعنى في أول
الكتاب . أزواجاً منهم أي أمثالا في النعم ، أي الأغنياء بعضهم أمثال بعض في الغنى ، فهم أزواج .

الثانية : هذه الآية تقتضي الزجر عن التشوف إلى متاع الدنيا على الدوام ، وإقبال العبد على عبادة مولاه
، ومثله ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه الآية . وليس كذلك

؛ فإنه روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : حبيب إلي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرّة عيني في الصلاة . وكان - عليه الصلاة والسلام - يتشاغل بالنساء ، جبلة الأدمية وتشوف
الخلقة الإنسانية ، ويحافظ على الطيب ، ولا تقر له عين إلا في الصلاة لدى مناجاة المولى . ويرى أن
مناجاته أخرى من ذلك وأولى . ولم يكن في دين محمد الرهبانية والإقبال على الأعمال الصالحة بالكلية
كما كان في دين عيسى ، وإنما شرع الله سبحانه حنيفية سمحة خالصة عن الحرج خفيفة على الأدمي ،

يأخذ من الآدمية شهواتها ويرجع إلى الله بقلب سليم . ورأى القراء والمخلصون من الفضلاء الانكفاف
عن اللذات والخلوص لرب الأرض والسموات اليوم أولى ؛ لما غلب على الدنيا من الحرام ، واضطر
العبد في المعاش إلى مخالطة من لا تجوز مخالطته ومصانعة من تحرم مصانعته ، فكانت القراءة أفضل ،
والفرار عن الدنيا أصوب للعبد وأعدل ؛ قال - صلى الله عليه وسلم - : يأتي على الناس زمان يكون
خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن .

قوله تعالى : ولا تحزن عليهم أي ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا . وقيل : المعنى لا تحزن على ما
متعوا به في الدنيا فلك في الآخرة أفضل منه . وقيل : لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل
العذاب .

واخفض جناحك للمؤمنين أي أُنْ جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم . وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه
إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ ، فجعل ذلك وصفا لتقريب الإنسان أتباعه . ويقال : فلان
خافض الجناح ، أي وقور ساكن . والجناحان من ابن آدم جانباه ؛ ومنه واضمم يدك إلى جناحك
وجناح الطائر يده .

تفسير السعدي :

لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون،
واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا
نفع يرتقب، فلك في المؤمنين عنهم أحسن البدل وأفضل العوض، ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ أي:
أُنْ لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكراما وتوددا .

تفسير الطبري :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك ، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابا غليظا (ولا تحزنن عليهم) يقول: ولا تحزن على ما متعوا به فعجل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم ، يقال منه: مد فلان عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده.

وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " : أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ فَامِرُهُ بِالاسْتِغْنَاءِ بِالْقُرْآنِ عَنِ الْمَالِ ، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن ، فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما .
وبنحو الذي قلنا في قوله (أزواجًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء ، وحدثني المشني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد، مثله .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) قال: نُهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه.

وقوله (وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: وَأَنْ لِمَنْ أَمَنَ بِكَ ، واتبعت واتبعت كلامك، وقربهم منك، ولا تجف بهم، ولا تغلظ عليهم ، يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين ، والجناحان من بني آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان، ومنه قول الله تعالى ذكره وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ قِيلَ: معناه: إلى ناحيتك وجنبك.

(27)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ . (الحجر/99) .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

ولقد نعلم أنك - أيها الرسول - يضيق صدرك بما يصدر منهم من تكذيبهم لك وسخريتهم منك .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 97

«ولقد» للتحقيق «نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون» من الاستهزاء والتكذيب .

تفسير السعدي : ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون

﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يمهلهم.

تفسير البغوي : مضمون الآية 97 من سورة الحجر

وقيل: [استهزأؤهم] واقتسامهم : هو أن الله عز وجل لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل ، وسورة النمل ، وسورة العنكبوت ، كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء : هذا في سورة البقرة ، ويقول هذا في سورة النحل ، ويقول هذا في سورة العنكبوت فأنزل الله تعالى : (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم ختم- سبحانه - السورة الكريمة بتسليية أخرى له صلى الله عليه وسلم، وإرشاده إلى ما ينزل هممه.

ويشرح صدره، فقال-تبارك وتعالى-: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ .

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ .

وضيق الصدر: كناية عن كدر النفس، وتعرضها للهموم والأحزان .

أى: ولقد نعلم- أيها الرسول الكريم- أن أقوال المشركين الباطلة فيك وفيما جئت به من عندنا، تحزن نفسك، وتكدر خاطرک.

وقال - سبحانه - وَلَقَدْ نَعَلْمُ . . بلام القسم وحرف التحقيق، لتأكيد الخبر، وإظهار مزيد الاهتمام

والعناية بالمخبر عنه صلى الله عليه وسلم في الحال والاستقبال .

ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون: تفسير ابن كثير

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ أي: وأنا

لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر ، فلا يهيدنك ذلك ، ولا يثينك عن

إبلاغك رسالة الله ، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم ، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه

وعبادته التي هي الصلاة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ كما جاء في الحديث الذي رواه

الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن نعيم

بن همار أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " قال الله : يا ابن آدم ، لا تعجز عن أربع

ركعات من أول النهار أكفك آخره . .

ورواه أبو داود من حديث مكحول ، عن كثير بن مرة ، بنحوه

ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا حزبه أمر صلى .

تفسير القرطبي : معنى الآية 97 من سورة الحجر

وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ أَي قَلْبِكَ ؛ لِأَنَّ الصَّدْرَ مَحَلَّ الْقَلْبِ .

بِمَا يَقُولُونَ أَي بِمَا تَسْمَعُهُ مِنْ تَكْذِيبِكَ وَرَدِّ قَوْلِكَ ، وَتَنَالَهُ .

ويناله أصحابك من أعدائك .

(28)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (الكهف/6) .

تفسير ابن كثير :

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

يقول تعالى مسلماً رسولاً صلى الله عليه وسلم في حزنه على المشركين ، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه ،

كما قال تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) [فاطر : 8] ، وقال (ولا تحزن عليهم)

[النحل : 127] ، وقال (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) [الشعراء : 3]

باخع : أي مهلك نفسك مجزئك عليهم ؛ ولهذا قال (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا

الحديث) يعني القرآن (أسفا) يقول : لا تهلك نفسك أسفا .

قال قتادة : قاتل نفسك غضبا وحرنا عليهم . وقال مجاهد : جزعا . والمعنى متقارب ، أي : لا
تأسف عليهم ، بل أبلغهم رسالة الله ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات .

تفسير السعدي

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الخلق، ساعيا في ذلك أعظم السعي، فكان
صلى الله عليه وسلم يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه
صلى الله عليه وسلم عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا
يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ وقال
﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وهنا قال ﴿ فَلَعلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ أي: مهلكها، غما
وأسفا عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم، ولكنه علم
أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فأشغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه
فائدة لك . وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل
سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن
اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة،
بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله له: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ وموسى عليه السلام يقول: ﴿ رب

إني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴿ الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ .

القرطبي :

قوله تعالى : فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا قوله تعالى : فلعلك باخع نفسك على آثارهم باخع أي مهلك وقاتل ؛ وقد تقدم . آثارهم جمع أثر ، ويقال إثر . والمعنى : على أثر توليهم وإعراضهم عنك .

إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أي القرآن .

أسفا أي حزنا وغضبا على كفرهم ؛ وانتصب على التفسير .

(29)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (الحج/42 - 44) .

التفسير الميسر : وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد

وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب "مدین" الذين كذبوا شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فلم أعاجل هذه الأمم

بالعقوبة، بل أمهلتها، ثم أخذتُ كلا منهم بالعذاب، فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وتبديل ما كان بهم من نعمة بالعذاب والهلاك؟

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

وإن يكذبك - أيها الرسول - قومك، فاصبر فلست أول من كذبه قومه من الرسل، فقد كذب قبل قومك قوم نوح نوحًا، وكذبت عادٌ هودًا، وثمود صالحًا.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 42

«وإن يكذبوك» إلى آخره فيه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم «فقد كذبت قبلهم قوم نوح» تأنيث قوم باعتبار المعنى «وعاد» قوم هود «وثمود» قوم صالح.

تفسير السعدي : وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد

تفسير الآيات من 42 و 44 : يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها ﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴾

﴿ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴿ - أي: قوم شعيب. ﴿ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ

لِلْكَافِرِينَ ﴾ المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم

وشرهم يزدادون، ﴿ ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ ﴾ بالعذاب أخذ عزيز مقتدر ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ - أي:

إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفضع المثلات، فمنهم من أغرقه،

ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل

عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير

تفسير البغوي : مضمون الآية 42 من سورة الحج

قوله عز وجل : (وإن يكذبوك) يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ، (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود)

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

والمعنى : لا تحزن- أيها الرسول الكريم- لأن هؤلاء المشركين قد كذبوك فيما جئتهم به من عند ربك، وأعرضوا عنه، فإن قوم نوح، وقوم هود .

وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم موسى، قد كذبوا هؤلاء الأنبياء الكرام، وما يقال لك من هؤلاء المشركين، قد قيل للرسول من قبلك .

قال-تبارك وتعالى-: كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ فَبَلَّغْ عَنْهُمْ مَا أَنْتَ بِمَلُومٍ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ .

واستغنى في عاد ووثود عن ذكر القوم، لاشتهارهم بهذا الاسم الذي يدل دلالة واضحة على هؤلاء الظالمين .

وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد: تفسير ابن كثير

يقول تعالى مسلماً لنبيه محمد في تكذيب من خالفه من قومه " وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح - إلى أن قال - وكذب موسى " أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

تفسير القرطبي : معنى الآية 42 من سورة الحج

قوله تعالى : وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود هذا تسليّة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وتعزية ؛ أي كان قبلك أنبياء كذبوا فصبروا إلى أن أهلك الله المكذبين ، فاقتد بهم واصبر .

(30)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (الفرقان/31) .

التفسير الميسر : وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى

وكما جعلنا لك -أيها الرسول- أعداء من مجرمي قومك، جعلنا لكل نبي من الأنبياء عدواً من مجرمي

قومه، فاصبر كما صبروا . وكفى بربك هادياً ومرشداً ومعيناً يعينك على أعدائك . وفي هذا تسليّة

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

ومثل ما لاقيت - أيها الرسول - من قومك من الإيذاء والصد عن سبيلك جعلنا لكل نبي من الأنبياء من قبلك عدواً من مجرمي قومه، وكفى بربك هادياً يهدي إلى الحق، وكفى به نصيراً ينصرك على عدوك.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 31

«وكذلك» كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك «جعلنا لكل نبي» قبلك «عدواً من المجرمين» المشركين فاصبر كما صبروا «وكفى بربك هادياً» لك «ونصيراً» ناصر لك على أعدائك.

تفسير السعدي : وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى

، قال الله مسلياً لرسوله ومخبراً أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم فقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ - أي: من الذين لا يصلحون للخير ولا يزكون عليه يعارضونهم ويردون عليهم ويجادلونهم بالباطل. من بعض فوائد ذلك أن يعلو الحق على الباطل وأن يتبين الحق ويتضح اتضاحاً عظيماً لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحاً وبيانا وكمال استدلال وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا ﴾ يهديك فيحصل لك المطلوب ومصالح دينك ودنياك.

﴿ وَنَصِيرًا ﴾ ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا فاكف به وتوكل عليه.

تفسير البغوي : مضمون الآية 31 من سورة الفرقان

(وكذلك جعلنا) يعني : كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا ، (لكل نبي عدوا من

المجرمين) يعني : المشركين .

قال مقاتل : يقول لا يكبرن عليك ، فإن الأنبياء قبلك قد لقيت هذا من قومهم ، فاصبر لأمري كما

صبروا ، فإنني ناصرك وهاديك ، (وكفى بربك هاديا ونصيرا)

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

وشبيه بهذه الآية قوله- تبارك وتعالى-: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي**

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .

ثم شفع- سبحانه - هذه التسلية بوعد كريم منه- عز وجل - لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال: وكفى

بربك هادياً ونصيراً .

أي: وكفى ربك- أيها الرسول الكريم- هاديا يهدي عباده إلى ما تقتضيه حكمته ومشيبته، وكفى به-

سبحانه - نصيرا لمن يريد أن ينصره على كل من عاداه .

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى: تفسير ابن كثير

وقوله : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ﴾ أي: كما حصل لك - يا محمد - في قومك من

الذين هجروا القرآن ، كذلك كان في الأمم الماضين؛ لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين ، يدعون

الناس إلى ضلالهم وكفرهم ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ

أُتدّ الذين لا يؤمنون بالآخرة وليفرضوه وليقتروا ما هم مقترفون ﴿ [الأنعام : II2 - II3] ؛ ولهذا
قال هاهنا : ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ أي: لمن اتبع رسوله ، وآمن بكتابه وصدقته واتبعه ، فإن
الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة . وإنما قال : ﴿ هاديا ونصيرا ﴾ لأن المشركين كانوا يصدون
الناس عن اتباع القرآن ، لئلا يهتدي أحد به ، وتغلب طريقتهم طريقة القرآن ؛ فلماذا قال : ﴿ وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ .

تفسير القرطبي : معنى الآية 3I من سورة الفرقان

فعزاه الله تبارك وتعالى وسلاه بقوله : وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي كما جعلنا لك يا
محمد عدوا من مشركي قومك - وهو أبو جهل في قول ابن عباس - فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
مشركي قومه ، فاصبر لأمري كما صبروا ، فإنني هاديك وناصرك على كل من ناوأك .

وقد قيل : إن قول الرسول يا رب إنما يقوله يوم القيامة ؛ أي هجروا القرآن وهجروني وكذبوني .

وقال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين إن عبدك هذا اتخذني مهجورا فاقض بيني وبينه) .

ذكره الثعلبي .

وكفى بربك هاديا ونصيرا نصب على الحال أو التمييز ، أي يهديك وينصرك فلا تبال بمن عاداك .

وقال ابن عباس : عدو النبي صلى الله عليه وسلم أبو جهل لعنه الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (الصافات/ 171 - 172).

تفسير الطبري

وقوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج.

تفسير السعدي

قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المرسلين وجنده المفلحين.

تفسير ابن كثير:

يقول تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) [المجادلة : 21] ، وقال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) [غافر : 51] ؛ ولهذا قال: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ . (الانعام/52) .

التفسير الميسر : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

ولا تبعد - أيها النبي - عن مجالستك ضعفاء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره، يريدون بأعمالهم الصالحة وجه الله، ما عليك من حساب هؤلاء الفقراء من شيء، إنما حسابهم على الله، وليس عليهم شيء من حسابك، فإن أبعدهم فإنك تكون من المتجاوزين حدود الله، الذين يضعون الشيء في غير موضعه .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

وَلَا تَبْعُدْ - أيها الرسول - عن مجلسك فقراء المسلمين الذين هم في عبادة دائمة لله في أول النهار وآخره مخلصين له العبادة، لا تبعدهم لتستميل أكابر المشركين، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، إنما حسابهم عند ربهم، وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن أبعدهم عن مجلسك فإنك تكون من المتجاوزين لحدود الله .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 52

«ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون» بعبادتهم «وجهه» تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا في إسلامهم «ما عليك من حسابهم من» زائدة «شيء» إن كان باطنهم غير مرضي «وما من حسابك عليهم من شيء فطردهم» جواب النفي «فتكون من الظالمين» إن فعلت ذلك.

تفسير السعدي : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ - أي: لا تطرد عنك، وعن

مجالستك، أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة، في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، ليس لهم من الأغراض سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل مستحقون لموالاتهم ومحبتهم، وإدنائهم، وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، والأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أذلاء.

﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ - أي: كلُّ له حسابه، وله

عمله الحسن، وعمله القبيح.

﴿ قَطَّرَدُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وقد امتثل صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، أشد امتثال، فكان

إذا جلس الفقراء من المؤمنين صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحسن خلقه،

وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضي الله عنهم.

وكان سبب نزول هذه الآيات، أن أناسا [من قريش، أو] من أجناس العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أردت أن نؤمن لك وتتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، فإننا نستحي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحملة حبه لإسلامهم، واتباعهم له، فحدثه نفسه بذلك .
فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها .

تفسير البغوي : مضمون الآية 52 من سورة الأنعام

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) قرأ ابن عامر " بالغداة " بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها ، هاهنا وفي سورة الكهف ، وقرأ الآخرون : بفتح العين والدال وألف بعدها .

قال سلمان وخباب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية ، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم ، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين ، فلما رأوهم حوله حقرتهم ، فأتوه فقالوا : يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها - لجالسناك وأخذنا عنك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم : " ما أنا بطارد المؤمنين " قالوا فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جنناك فأقمهم عنا ، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال : نعم ، قالوا : اكتب لنا عليك بذلك كتابا ، قال : فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب ، قالوا ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) إلى قوله : (بالشاكرين) فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ، ثم دعانا فأبته ، وهو يقول :)

سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (الكهف ، 28) ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبتة ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم ، وقال لنا : " الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي ، معكم الحيا ومعكم الممات " .

وقال الكلبي : قالوا له اجعل لنا يوما ولهم يوما ، فقال : لا أفعل ، قالوا : فاجعل المجلس واحدا فأقبل إلينا وول ظهره عليهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال مجاهد : قالت قریش : لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمدا ، فأنزل الله هذه الآية : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال ابن عباس : يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي ، يعني : صلاة الصبح وصلاة العصر ، ويروى عنه : أن المراد منه الصلوات الخمس ، وذلك أن أناسا من الفقراء كانوا مع النبي عليه السلام ، فقال ناس من الأشراف : إذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا ، فنزلت الآية .

وقال مجاهد : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب ، فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاص ، فقال سعيد : ما أسرع الناس إلى هذا المجلس ! قال مجاهد : فقلت يتأولون قوله تعالى (يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال : أفي هذا هو ، إنما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن ، وقال إبراهيم النخعي : يعني يذكرون ربهم ، وقيل المراد منه : حقيقة الدعاء ، (يريدون وجهه) أي : يريدون الله بطاعتهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : يطلبون ثواب الله فقال : (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) أي : لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك ، وقيل : ليس رزقهم عليك فتملهم ، (فتطردهم)

ولا رزقك عليهم ، قوله (فطردهم) جواب لقوله (ما عليك من حسابهم من شيء) وقوله : (فتكون من الظالمين) جواب لقوله (ولا تطرد) أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرب فقراء المسلمين من مجلسه لأنهم مع فقرهم أفضل عند الله من كثير من الأغنياء .

فقال تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ .

أى: لا تبعد أيها الرسول الكريم عن مجالسك هؤلاء المؤمنين الفقراء الذين يدعون ربهم صباح مساء، ويريدون بعملهم وعبادتهم وجه الله وحده بل اجعلهم جلساءك وأخصائك فهم أفضل عند الله من الأغنياء المتخترسين والأقوياء الجاهلين .

وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما جاء عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا: يا محمد أَرْضِيتَ بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا؟ نحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ لا . . اطردهم فلعلك إن طردتهم تبعك .

فنزلت هذه الآية: ففي الآية الكريمة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يطرد هؤلاء الضعفاء من مجلسه .

لأنه وإن كان صلى الله عليه وسلم يميل إلى تأليف قلوب الأقوياء للإسلام لينال بقوتهم قوة، إلا أن الله تعالى بين له أن القوة في الإيمان والعمل الصالح، وأن هؤلاء الضعفاء من المؤمنين قد وصفهم خالقهم بأنهم يتضرعون إليه في كل أوقاتهم ولا يقصدون بعبادتهم إلا وجه الله، فكيف يطردون من مجالس الخير؟ .
ثم قال تعالى: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ .

أى: إن الله تعالى هو الذي سيتولى حسابهم وجزاءهم ولن يعود عليك من حسابهم شيء، كما أنه لا يعود عليهم من حسابك شيء، فهم مجزيون بأعمالهم، كما أنك أنت يا محمد مجزى بعملك، فإن طردتهم استجابة لرضى غيرهم كنت من الظالمين .

إذ أنهم لم يصدر عنهم ما يستوجب ذلك، وحاشا للرسول صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما تلك هي صفاتهم .

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: أما كفى قوله ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى ضم إليه وما مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قلت: قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَلَا يَسْتَقِلُّ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا الْجَمْلَتَانِ جَمِيعًا كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَوَاخِذُ أَنْتَ وَلَا هُمْ بِحِسَابِ صَاحِبِهِ .

وقيل: الضمير للمشركين .

والمعنى: لا يؤخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهتك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين ﴿ .

وهنا تخرج آخر لقوله: ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ بِأَنَّ المعنى: ما عليك شيء من حساب رزقهم ان كانوا فقراء، وما من حسابك في الفقر والغنى عليهم من شيء، أى أنت مبشر ومنذر ومبلغ للناس جميعا سواء منهم الفقير والغنى، فكيف تطرد فقيرا لفقره، وتقرب غنيا لغناه؟ إنك فعلت ذلك كنت من الظالمين، ومعاذ الله أن يكون ذلك منك .

وقوله فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ جواب للنهي عن الطرد، وقوله فَتَطْرُدُهُمْ جواب لنفي الحساب .

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون: تفسير ابن كثير

وقوله: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ أي: لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك ، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك ، كما قال : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [الكهف : 28] .

وقوله ﴿ يدعون ربهم ﴾ أي: يعبدونه ويسألونه ﴿ بالغداة والعشي ﴾ قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة: المراد بذلك الصلوات المكتوبات .

وهذا كقوله [تعالى] ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : 60] أي: أقبل منكم .

وقوله : ﴿ يريدون وجهه ﴾ أي: يتغون بذلك العمل وجه الله الكريم ، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات .

وقوله : ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ كما قال نوح ، - عليه السلام - ، في جواب الذين قالوا : ﴿ أؤمن لك واتبعك الأرزلون ﴾ [قال] ﴿ وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ [الشعراء : II2 ، II3] ، أي: إنما حسابهم على الله ، عز وجل ، وليس علي من حسابهم من شيء ، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء .
وقوله : ﴿ فطردهم فتكون من الظالمين ﴾ أي: إن فعلت هذا والحالة هذه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أسباط - هو ابن محمد - حدثنا أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : مر الملاء من قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعنده : خباب وصهيب وبلال وعمار . فقالوا : يا محمد ، أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ إلى قوله : ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾

ورواه ابن جرير ، من طريق أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : مر الملاء من قريش برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعنده : صهيب وبلال وعمار وخباب ، وغيرهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ ونحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم عنك ، فلعلك إن طردتهم أن تتبعك ، فنزلت هذه الآية : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ ﴿ وكذلك قتنا بعضهم ببعض ﴾ إلى آخر الآية

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا عمرو بن محمد العنقري ،
حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي - وكان قارئ الأزد - عن أبي الكنود ،
عن خباب في قول الله ، عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ قال : جاء
الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع
صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي - صلى الله
عليه وسلم - حقروهم ، فأتوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب
فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء ، فإذا نحن جنناك فأقمهم عنا
، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : " نعم " . قالوا : فآكئب لنا عليك كتابا ، قال : فدعا
بالصحيفة ودعا عليا ليكتب ، ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل فقال : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون
ربهم [بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
قطردهم فتكون من الظالمين] ﴾ فرمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالصحيفة ، ثم دعانا
فأتيناه .

ورواه ابن جرير ، من حديث أسباط ، به .

وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر .

وقال سفيان الثوري ، عن المقدم بن شريح ، عن أبيه قال : قال سعد : نزلت هذه الآية في ستة من

أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي - صلى الله

عليه وسلم - ، وندنو منه ونسمع منه ، فقالت قريش : يدني هؤلاء دوننا ، فنزلت : ﴿ ولا تطرد

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾

رواه الحاكم في مستدرکه من طريق سفيان ، وقال : على شرط الشيخين . وأخرجه ابن حبان في

صحيحه من طريق المقدم بن شريح ، به

تفسير القرطبي : معنى الآية 52 من سورة الأنعام

قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء

وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين .

قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية .

قال المشركون : ولا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا - فاطردهم

عنك ؛ وطلبوا أن يكتب لهم بذلك ، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، ودعا عليا ليكتب ؛ فقام

الفقراء وجلسوا ناحية ؛ فأنزل الله الآية .

ولهذا أشار سعد بقوله في الحديث الصحيح : فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء

الله أن يقع ؛ وسيأتي ذكره .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما مال إلى ذلك طمعا في إسلامهم ، وإسلام قومهم ، ورأى أن ذلك لا

يفوت أصحابه شيئا ، ولا ينقص لهم قدرا ، فمال إليه فأنزل الله الآية ، فنهاه عما هم به من الطرد لا أنه

أوقع الطرد .

روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرده هؤلاء عنك لا يجترئون علينا ؛ قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما ، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .
قيل : المراد بالدعاء المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن .
وقيل : الذكر وقراءة القرآن .

ويحتمل أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره ؛ ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق .

ويحتموه بالدعاء طلبا للمغفرة .

يريدون وجهه أي : طاعته ، والإخلاص فيها ، أي : يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله ، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره .

وقيل : يريدون الله الموصوف بأن له الوجه كما قال : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وهو كقوله :
والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم .

وخص الغداة والعشي بالذكر ؛ لأن الشغل غالب فيهما على الناس ، ومن كان في وقت الشغل مقبلا على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما أمره الله في قوله : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم ، فكان لا يقوم حتى يكونوا هم

الذين يتدئون القيام ، وقد أخرج هذا المعنى مبينا مكمل ابن ماجه في سننه عن خباب في قول الله عز وجل : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إلى قوله : فتكون من الظالمين قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب ، قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ؛ فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم ؛ فأتوه فخلوا به وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جنناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ؛ قال : (نعم) قالوا : فآكتب لنا عليك كتابا ؛ قال : فدعا بصحيفة ودعا عليا - رضي الله عنه - ليكتب ونحن قعود في ناحية ؛ فنزل جبريل عليه السلام فقال : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فطردهم فتكون من الظالمين ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ؛ فقال : وكذلك فتنا بعضهم بعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال : وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة قال : فدونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ؛ فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تجالس الأشراف ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني عيينة والأقرع ، واتبع هواه وكان أمره فرطا ، أي : هلاكا .

قال : أمر عيينة والأقرع ؛ ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا .

قال خباب : فكنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم ؛ رواه عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا عمرو بن محمد العنقري ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزد ، عن أبي الكنود ، عن خباب ؛ وأخرجه أيضا عن سعد ، قال : نزلت هذه الآية فينا ستة ، في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال ؛ قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهم ، قال : فدخل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله أن يدخل ؛ فأنزل الله عز وجل : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية .

وقرئ (بالغداة) وسيأتي بيانه في (الكهف) إن شاء الله .

قوله تعالى : ما عليك من حسابهم من شيء أي : من جزائهم ولا كفاية أرزاقهم ، أي : جزاؤهم وورزقهم على الله ، وجزاؤك وورزقك على الله لا على غيره .

من الأولى للتبعيض ، والثانية زائدة للتوكيد .

وكذا وما من حسابك عليهم من شيء المعنى وإذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل ؛ فإن فعلت كنت ظالما .

وحاشاه من وقوع ذلك منه ، وإنما هذا بيان للأحكام ، ولئلا يقع مثل ذلك من غيره من أهل السلام ؛ وهذا مثل قوله : لئن أشركت ليحبطن عملك وقد علم الله منه أنه لا يشرك ولا يجبط عمله .

فقطردهم جواب النفي .

فتكون من الظالمين نصب بالفاء في جواب النهي / المعنى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من

الظالمين ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم ، على التقديم والتأخير .

والظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه .

وقد تقدم في البقرة مستوفى ، وقد حصل من قوة الآية والحديث النهي عن أن يعظم أحد لجاهه ولثوبه ،

وعن أن يحتقر أحد لحموله ولرثاة ثوبه .

(33)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا لِمَنْ الَّذِينَ

يَسْتَأْذِنُكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . (النور/ 62 - 63) .

تفسير الميسر : إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا

إنما المؤمنون حقاً هم الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي صلى الله عليه

وسلم على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه، إن الذين يستأذنونك

– أيها النبي – هم الذين يؤمنون بالله ورسوله حقاً، فإذا استأذنوك لبعض حاجتهم فأذن لمن شئت ممن

طلب الإذن في الانصراف لعذر، واطلب لهم المغفرة من الله . إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم

بهم .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله، وإذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر يجمعهم لمصلحة المسلمين، لم ينصرفوا حتى يطلبوا منه الإذن في الانصراف، إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن عند الانصراف أولئك الذين يؤمنون بالله، ويؤمنون برسوله حقاً، فإذا طلبوا منك الإذن لبعض أمر يهمهم فأذن لمن شئت أن تأذن له منهم، واطلب لهم المغفرة لذنوبهم، إن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 62

«إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه أي الرسول «على أمر جامع» كخطبة الجمعة «لم يذهبوا» لعروض عذر لهم «حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنونك لبعض شأنهم» أمرهم «فأذن لمن شئت منهم» بالانصراف «واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم».

تفسير السعدي : إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا

هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر جامع، - أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشد بها عنهم، إلا بإذن من

الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم شرطين: أحدهما: أن يكون لشأن من شؤونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له. والثاني: أن يشاء الإذن فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالأذن، قال: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ فإذا كان له عذر واستأذن، فإن كان في قعوده وعدم ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له، ومع هذا إذا استأذن، وأذن له بشرطيه، أمر الله رسوله أن يستغفر له، لما عسى أن يكون مقصرا في الاستئذان، ولهذا قال: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يغفر لهم الذنوب ويرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر.

تفسير البغوي : مضمون الآية 62 من سورة النور

قوله - عز وجل - : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) أي : مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، (على أمر جامع) يجمعهم من حرب حضرت ، أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل ، (لم يذهبوا) يفرقوا عنه ، لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر ، (حتى يستأذنوه) قال المفسرون : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد ، لحاجة أو عذر ، لم يخرج حتى يقوم بجيال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يراه ، فيعرف أنه إنما قام يستأذن ، فيأذن لمن شاء منهم .

قال مجاهد : وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده .

قال أهل العلم : وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن ،
وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن ، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام ، فإن
حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة ، أو يجنب رجل ، أو يعرض له
مرض ، فلا يحتاج إلى الاستئذان .

(إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنونك لبعض شأنهم) أي : أمرهم ،
(فأذن لمن شئت منهم) في الانصراف ، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن ، (واستغفر لهم الله
إن الله غفور رحيم)

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

روى ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآيات ما ملخصه: أنه لما كان تجمع قريش وغطفان في غزوة
الأحزاب، ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم خندقا حول المدينة وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه
ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك، رجال من المنافقين،
وجعلوا يورون- أى يستترون- بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا إذن .

وجعل الرجل من المسلمين إذا نأته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ويستأذن في اللحوق لحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته، رجع إلى ما كان فيه من العمل
رغبة في الخير واحتسابا له .

فأنزل الله هذه الآيات في المؤمنين وفي المنافقين .

والمراد بالأمر الجامع في قوله: وَإِذَا كُنَّا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ: الأمر الهام الذي يستلزم اشتراك الجماعة في شأنه، كالجهاد في سبيل الله، وكالإعداد لعمل من الأعمال العامة التي تهم المسلمين جميعا .

والمعنى: إن من شأن المؤمنين الصادقين، الذين آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان أنهم إذا كانوا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمر جامع من الأمور التي تقتضي اشتراكهم فيه، لم يفارقوه ولم يذهبوا عنه، حتى يستأذنوه في المفارقة أو في الذهاب، لأن هذا الاستئذان دليل على قوة الإيمان، وعلى حسن أدبهم مع نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الأوسى: وقوله: وَإِذَا كُنَّا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ . . . معطوف على آمَنُوا داخل معه في حيز الصلة، والحصر باعتبار الكمال .

أى: إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله-تبارك وتعالى-، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صميم قلوبهم، وأطاعوا في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل .

وإذا كانوا معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمر مهم يجب إجماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب، وغيرها من الأمور الداعية إلى الاجتماع . . .

لم يذهبوا عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ فِي الذَّهَابِ فَيَأْذِنَ لَهُمْ وخص - سبحانه - الأمر الجامع بالذكر، للإشعار بأهميته ووجوب البقاء معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يعطيهم الإذن

بالانصراف، إذ وجودهم معه يؤدي إلى مظاهرتة صلى الله عليه وسلم ومعاوته في الوصول إلى أفضل الحلول لهذا الأمر الهام.

ثم مدح - سبحانه - الذين لا يغادرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانوا معه على أمر جامع حتى يستأذنوه فقال: **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.**

أى: إن الذين يستأذنونك في تلك الأحوال الهامة، والتي تستلزم وجودهم معك، أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله حق الإيمان، لأن هذا الاستئذان في تلك الأوقات دليل على طهارة نفوسهم، وصدق يقينهم، وصفاء قلوبهم.

ثم بين - سبحانه - وظيفته - صلى الله عليه وسلم فقال: **فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ، فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.**

أى: فإذا استأذنتك هؤلاء المؤمنون في الانصراف، لقضاء بعض الأمور والشؤون التي هم في حاجة إليها، فأنت مفوض ومخير في إعطاء الإذن لبعضهم وفي منعه عن البعض الآخر، إذ الأمر في هذه المسألة متروك لتقديرك - أيها الرسول الكريم -.

وقوله - تبارك وتعالى - **وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ** فيه إشارة إلى أنه كان الأولى بهؤلاء المؤمنين، أن يبقوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ينتهوا من حل هذا الأمر الجامع الذي اجتمعوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم من أجله، وحتى يأذن لهم صلى الله عليه وسلم في الانصراف دون أن يطلبوا منه ذلك، فإن الاستئذان قبل البت في الأمر الهام الذي يتعلق بمصالح المسلمين جميعا، غير مناسب للمؤمنين الصادقين،

ويجب أن يكون في أضييق الحدود، وأشد الظروف، ومع كل ذلك، فالله-تبارك وتعالى- واسع المغفرة لعباده عظيم الرحمة بهم.

تفسير ابن كثير

وهذا أيضا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول ، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف - لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة ، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك - أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته . وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين .

ثم أمر رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له ، إن شاء ، ولهذا قال : ﴿ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ومسدد ، قال حدثنا بشر - هو ابن المفضل - عن عجلان عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة " . وهكذا رواه الترمذي والنسائي ، من حديث محمد بن عجلان ، به . وقال الترمذي : حسن .

تفسير القرطبي : معنى الآية 62 من سورة النور

قوله تعالى : إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه
إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم
واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم قوله تعالى : إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه
على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه فيه مسألتان : الأولى : قوله تعالى : إنما المؤمنون (إنما) في هذه
الآية للحصر ؛ المعنى : لا يتم ولا يكمل إيمان من آمن بالله ورسوله إلا بأن يكون من الرسول سامعا غير
معنت في أن يكون الرسول يريد إكمال أمر فيريد هو إفساده بزواله في وقت الجمع ، ونحو ذلك .

وبين تعالى في أول السورة أنه أنزل آيات بينات ، وإنما النزول على محمد - صلى الله عليه وسلم - ؛
فختم السورة بتأكيد الأمر في متابعتها - عليه السلام - ؛ ليعلم أن أوامره كأوامر القرآن .

الثانية : واختلف في الأمر الجامع ما هو ؛ فقيل : المراد به ما للإمام من حاجة إلى تجمع الناس فيه لإذاعة
مصلحة ، من إقامة سنة في الدين ، أو لترهيب عدو باجتماعهم وللحروب ؛ قال الله تعالى : وشاورهم
في الأمر .

فإذا كان أمر يشملهم نفعه وضره جمعهم للتشاور في ذلك .

والإمام الذي يتقرب إذنه هو إمام الإمرة ، فلا يذهب أحد لعذر إلا بإذنه ، فإذا ذهب بإذنه ارتفع عنه
الظن السيئ .

وقال مكحول ، والزهري : الجمعة من الأمر الجامع .

وإمام الصلاة ينبغي أن يستأذن إذا قدمه إمام الإمرة ، إذا كان يرى المستأذن .

قال ابن سيرين : كانوا يستأذنون الإمام على المنبر ؛ فلما كثر ذلك قال زياد : من جعل يده على فيه
فليخرج دون إذن ، وقد كان هذا بالمدينة حتى أن سهل بن أبي صالح رعى يوم الجمعة فاستأذن الإمام
وظاهر الآية يقتضي أن يستأذن أمير الإمرة الذي هو في مقعد النبوة ، فإنه ربما كان له رأي في حبس ذلك
الرجل لأمر من أمور الدين .

فأما إمام الصلاة فقط فليس ذلك إليه ؛ لأنه وكيل على جزء من أجزاء الدين للذي هو في مقعد النبوة .
وروي أن هذه الآية نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش وقائدها أبو سفيان ، وغطفان وقائدها
عيننة بن حصن ؛ فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - الخندق على المدينة ، وذلك في شوال سنة
خمس من الهجرة ، فكان المنافقون يتسللون لوإذا من العمل ويعتذرون بأعذار كاذبة .

ونحوه روى أشهب ، وابن عبد الحكم ، عن مالك ، وكذلك قال محمد بن إسحاق .

وقال مقاتل : نزلت في عمر - رضي الله عنه - ، استأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة
تبوك في الرجعة فأذن له وقال : انطلق فوالله ما أنت بمنافق يريد بذلك أن يسمع المنافقين .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : إنما استأذن عمر - رضي الله عنه - في العمرة فقال : عليه
السلام - لما أذن له : يا أبا حفص لا تتسنا في صالح دعائك .

قلت : والصحيح الأول لتناوله جميع الأقوال .

واختار ابن العربي ما ذكره في نزول الآية عن مالك ، وابن إسحاق ، وأن ذلك مخصوص في الحرب .

قال : والذي يبين ذلك أمران : أحدهما : قوله في الآية الأخرى : قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا وذلك أن المنافقين كانوا يتلذذون ويخرجون عن الجماعة ويتركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر الله جميعهم ألا يخرج أحد منهم حتى يأذن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ وبذلك يتبين إيمانه .

الثاني : قوله تعالى : لم يذهبوا حتى يستأذنه وأي إذن في الحديث والإمام يخطب ، وليس للإمام خيار في منعه ولا إبقائه ، وقد قال : فأذن لمن شئت منهم ؛ فبين بذلك أنه مخصوص في الحرب .
قلت : القول بالعموم أولى ، وأرفع ، وأحسن ، وأعلى .

فأذن لمن شئت منهم فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - بالخيار إن شاء أن يأذن وإن شاء منع .
وقال قتادة : قوله : فأذن لمن شئت منهم منسوخة بقوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم .
واستغفر لهم الله أي لخروجهم عن الجماعة إن علمت لهم عذرا إن الله غفور رحيم .

(34)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذْ دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ

لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا .

(الاحزاب/53) .

التفسير الميسر : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشَرَعِهِ لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِتَنَاوَلَ طَعَامَ غَيْرِ مُنْتَظَرِينَ
نَضْجَهُ، وَلَكِنْ إِذَا دَعَيْتُمْ فَادْخُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمْ فَانصَرَفُوا غَيْرِ مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثِ بَيْنَكُمْ؛ فَإِنْ أَنْتَظَرْتُمْ
وَاسْتَأْنَسْتُمْ يُؤْذِي النَّبِيَّ، فَيَسْتَحْيِي مِنْ إِخْرَاجِكُمْ مِنَ الْبَيْوتِ مَعَ أَنْ ذَلِكَ حَقٌّ لَهُ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ
بَيَانِ الْحَقِّ وَإِظْهَارِهِ . وَإِذَا سَأَلْتُمْ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَةً مِنْ أَوَانِي الْبَيْتِ وَنَحْوِهَا
فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ؛ ذَلِكَ أَطْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَعْرُضُ لِلرِّجَالِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ،
وَلِلنِّسَاءِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ؛ فَالرُّؤْيَا سَبَبُ الْفِتْنَةِ، وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ تَتَزَوَّجُوا
أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ أَبَدًا؛ لِأَنَّهِنَّ أُمَّهَاتُكُمْ، وَلَا يَجِلُّ لِلرِّجَالِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهَ، إِنَّ أَدَاكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنِكَاحَكُمْ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ إِثْمٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ . (وَقَدْ امْتَلَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ هَذَا الْأَمْرَ،
وَاجْتَنَبَتْ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْهُ) .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمَلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ بِدُخُولِهَا بِدَعْوَتِكُمْ
إِلَى طَعَامٍ، وَلَا تَطِيلُوا الْجُلُوسَ تَنْتَظِرُونَ نَضْجَ الطَّعَامِ، وَلَكِنْ إِذَا دَعَيْتُمْ إِلَى طَعَامٍ فَادْخُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمْ
فَانصَرَفُوا، وَلَا تَمْكُثُوا بَعْدَهُ يَسْتَأْنَسُ بَعْضُكُمْ بِحَدِيثِ بَعْضٍ، إِنْ ذَلِكَ الْمَكْثُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم فيستحيي أن يطلب منكم الانصراف، والله لا يستحيي أن يأمر بالحق، فأمركم بالانصراف عنه حتى لا تؤذوه صلى الله عليه وسلم بالمكث، وإذا طلبتم من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حاجة مثل آنية ونحوها فاطلبوا حاجتكم تلك من وراء ستر، ولا تطلبوها منهن مواجهة حتى لا تراهن أعينكم؛ صوتاً لهن؛ لمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلكم الطلب من وراء ستر أظهر لقلوبكم وأظهر لقلوبهن؛ حتى لا يتطرق الشيطان إلى قلوبكم وقلوبهن بالوسوسة وتزيين المنكر، وما ينبغي لكم - أيها المؤمنون - أن تؤذوا رسول الله بالمكث للحديث، ولا أن تزوجوا نساءه من بعد موته، فهن أمهات المؤمنين، ولا يجوز لأحد أن تزوج أمه، إن ذلكم الإيذاء - ومن صورته نكاحكم نساءه من بعد موته - حرام ويعدُّ عند الله إثماً عظيماً .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 53

«يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم» في الدخول بالدعاء «إلى طعام» قد دخلوا «غير ناظرين» منتظرين «إنا» نضجه مصدر أنى يأتي «ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا» تمكثوا «مستأنسين لحديث» من بعضكم لبعض «إن ذلكم» المكث «كان يؤذي النبي فيستحيي منكم» أن يخرجكم «والله لا يستحيي من الحق» أن يخرجكم، أي لا يترك بيانه، وقرئ يستحي بياء واحدة «وإذا سألتموهن» أي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم «متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» ستر «ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن» من الخواطر المريبة «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» بشيء «ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله ذنباً عظيماً» .

تفسير السعدي : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دخول بيوته فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ﴾ - أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام.

وأيضا لا تكونوا ﴿ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ ﴾ - أي: منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه .

والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: ﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ - أي: قبل الطعام وبعده. ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ ﴾ - أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، ﴿ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﴾ - أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شؤون بيته، واشتغاله فيه ﴿ فَيَسْتَخِيبُ مِنْكُمْ ﴾ أن يقول لكم: ﴿ اخرجوا ﴾ كما هو جاري العادة، أن الناس - وخصوصا أهل الكرم منهم - يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ﴿ و ﴾ لكن ﴿ اللَّهُ لَا يَسْتَخِيبُ مِنْ الْحَقِّ ﴾ فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء .

والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كأننا ما كان. فهذا أدبهم في الدخول في بيوته، وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنه، إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتاج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كأن يسألن متاعا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يسألن ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ - أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم

الحاجة إليه. فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه. فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق. ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ ﴾ يا معشر المؤمنين، - أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء ﴾ أن تُؤذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ - أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ﴿ وَلَا أَنْ تَشْكُوهَا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه صلى الله عليه وسلم، له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته [بعده] محل بهذا المقام. وأيضا، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده، لأحد من أمته.

﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ وقد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر، واجتبت ما نهى الله عنه منه، والله الحمد والشكر.

تفسير البغوي: مضمون الآية 53 من سورة الأحزاب

قوله - عز وجل - : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية .

قال أكثر المفسرين : نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا يحيى بن بكير ، أخبرنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني أنس ابن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، قال : وكانت أم هانئ توظيني على خدمة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فخدمته عشر سنين ، وتوفي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا ابن عشرين سنة ، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل ، فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش ، أصبح النبي - صلى الله عليه وسلم - بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا ، وبقي رهط منهم عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأطالوا المكث ، فقام النبي لله فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا ، فمشى النبي - صلى الله عليه وسلم - ومشيت حتى جاء حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه ، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا ، فرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ، فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - بيني وبينه الستر ، وأنزل الحجاب .

وقال أبو عثمان - واسمه الجعد - عن أنس قال : فدخل يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البيت وأرخى الستر وإنني لفي الحجرة ، وهو يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) إلى قوله : (والله لا يستحيي من الحق) .

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

عليه وسلم - يتأذى بهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) يقول : إلا أن تدعوا) (إلى طعام) فيؤذن لكم فتأكلونه (غير ناظرين إناه) غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه ، يقال : أنى الحميم : إذا انتهى حره ، وإنى أن يفعل ذلك : إذا حان ، إنى بكسر الهمزة مقصورة ، فإذا فتحها مددت فقلت الإناء ، وفيه لغتان إنى يأنى ، وأن يئين ، مثل : حان يحين .

(ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم) أكتم الطعام) (فانتشروا) تفرقوا واخرجوا من منزله (ولا مستأنسين لحديث) ولا طالبين الأنس للحديث ، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك .

(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) أي : لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء .

(وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي : من وراء ستر ، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منتقبة كانت أو غير منتقبة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريب .

وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا يحيى بن بكير ، أخبرنا الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع ، وهو صعيد أفيح ، وكان عمر يقول للنبي - صلى الله عليه وسلم - : احجب نساءك ، فلم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة

زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر : ألا قد عرفناك يا سودة - حرصا على أن ينزل الحجاب - فأنزل الله تعالى آية الحجاب .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى ، أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسى ، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حميد ، عن أنس قال : قال

عمر : وافقني ربي في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فأنزل الله : "

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " ، وقلت : يا رسول الله إنه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات

المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله آية الحجاب ، قال : وبلغني بعض ما آذى به رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - نساؤه ، قال : فدخلت عليهن استقربهن واحدة واحدة ، قلت : والله لتنتهن أو ليبدلن الله

أزواجا خيرا منكن ، حتى أتيت على زينب فقالت : يا عمر ما كان في رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ، قال : فخرجت فأنزل الله - عز وجل - : " عسى ربه إن

طلقكن أن يبده أزواجا خيرا منكن " (التحريم - 5) ، إلى آخر الآية .

قوله - عز وجل - : (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء (ولا أن

تتكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال :

لئن قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنكحن عائشة .

قال مقاتل بن سليمان : هو طلحة بن عبید الله ، فأخبره الله - عز وجل - أن ذلك محرم وقال : (إن

ذلكم كان عند الله عظيما) أي : ذنبا عظيما .

وروى معمر عن الزهري ، أن العالمة بنت ظبيان التي طلق النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجت رجلا وولدت له ، وذلك قبل تحريم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - على الناس .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ذكر المفسرون في سبب نزول قوله-تبارك وتعالى-: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ . . .

روايات متعددة منها، ما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال: وافقت ربي في ثلاث .

فقلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله-تبارك وتعالى-: وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب .

وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه في الغيرة عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكفن فنزل كذلك .

وروى البخاري عن أنس بن مالك- رضى الله عنه- قال: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا .

فلما رأى ذلك قام، فلما قام صلى الله عليه وسلم قام معه من قام، وقعد ثلاثة نفر .

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت

النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا .

فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأُنزل الله-تبارك وتعالى- يا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ . . .

قال ابن كثير: وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزَيْنَب بنت جحش:
التي تولى الله-تبارك وتعالى- تزويجها بنفسه، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة، في قول قتادة
والواقدي وغيرهما .

والمراد ببيوت النبي: المساكن التي أعدها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسكنى أزواجه .

والاستثناء في قوله-تبارك وتعالى-: إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ استثناء مفرغ من أعم
الأحوال .

وقوله: غَيْرٍ نَاظِرِينَ . حال من ضمير تَدْخُلُوا وَإِنَاهُ أَي: نضجه وبلوغه الحد الذي يؤكل معه .

يقال: أَنَى الطَّعَامِ يَا نَى أَنِيَا وَإِنِي- كَقَلِي يَقْلِي- إِذَا نَضَجَ وَكَانَ مَعْدًا لِلْأَكْلِ .

والمعنى: يا من آمنتم بالله-تبارك وتعالى- حق الإيمان، لا تدخلوا بيوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في
حال من الأحوال، إلا في حال الإذن لكم بدخولها من أجل حضور طعام تدعون إلى تناوله، وليكن
حضوركم في الوقت المناسب لتناوله، لا قبل ذلك بأن تدخلوا قبل إعداده بفترة طويلة، منتظرين نضجه
وتقديمه إليكم للأكل منه .

قالوا: وكان من عادة بعضهم في الجاهلية أنهم يلجون البيوت بدون استئذان، فإذا وجدوا طعاما يعد،
انتظروا حتى ينضج ليأكلوا منه .

فالنهي في الآية الكريمة مخصوص بمن دخل من غير دعوة، ومن دخل بدعوة ولكنه مكث منتظرا للطعام حتى ينضب، دون أن تكون هناك حاجة لهذا الانتظار .

أما إذا كان الدخول بدعوة أو لحضور طعام بدون انتظار مقصود لوقت نضجه، فلا يتناوله النهي .

قال الألوسي: والآية على ما ذهب إليه جمع من المفسرين، خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، فهي مخصوصة بهم وبأمثالهم ممن يفعل مثل فعلهم في المستقبل .

فالنهي مخصوص بمن دخل بغير دعوة، وجلس منتظرا للطعام من غير حاجة فلا تنفيذ للنهي عن الدخول بإذن لغير طعام، ولا من الجلوس واللبث بعد الطعام لمهم آخر .

وقوله - سبحانه - وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا اسْتَدْرَاكٍ عَلَىٰ مَا فُهِمَ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الدَّخُولِ بغير إذن، وفيه إشعار بأن الإذن متضمن معنى الدعوة .

أى: لا تدخلوا بدون إذن، فإذا أذن لكم ودعيتم إلى الطعام فادخلوا لتناوله وقوله - تبارك وتعالى - فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ بيان للون آخر من ألوان الآداب الحكيمة التي شرعها الإسلام في تناول الطعام عند الغير .

أى: إذا دعيتم لحضور طعام في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فادخلوا، فإذا ما انتهت من طعامكم عنده، فتفرقوا ولا تمكثوا في البيت مستأنسين لحديث بعضهم مع بعض، أو لحديثكم مع أهل البيت .

فقوله مُسْتَأْنِسِينَ مأخوذ من الأنس بمعنى السرور والارتياح للشيء .

تقول: أنست، لحديث فلان، إذا سررت له، وفرحت به .

وأطلق - سبحانه - نفى الاستئناس للحديث، من غير بيان صاحب الحديث، للإشعار بأن المكث بعد الطعام غير مرغوب فيه على الإطلاق، مادام ليس هناك من حاجة إلى هذا المكث .

وهذا أدب عام لجميع المسلمين .

واسم الإشارة في قوله: **إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ** يعود إلى الانتظار والاستئناس للحديث، والدخول بغير إذن .

والجملة بمثابة التعليل لما قبلها .

أى: إن ذلكم المذكور كان يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل الحزن على قلبه، لأنه يتنافى مع الأدب الإسلامى الحكيم، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يستحى أن يصرح لكم بذلك، لسمو خلقه، وكمال أدبه، كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يستحى أن يقول لكم كلاما تدركون منه أنه يريد انصرافكم .

وقوله -تبارك وتعالى-: **وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** أى: والله-تبارك وتعالى- لا يستحى من إظهار الحق ومن بيانه، بل من شأنه - سبحانه - أن يقول الحق، ولا يسكت عن ذلك .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد منعه حياؤه من أن يقول قولاً تفهمون منه ضجره من بقائكم في بيته بعد تناول طعامكم عنده . . فإن الله-تبارك وتعالى- وهو خالقكم لا يمتنع عن بيان الحق في هذه الأمور وفي غيرها، حتى تتأدبوا بأدب دينه القويم .

ثم ذكر- سبحانه - بعض الآداب التي يجب عليهم أن يلتزموها مع نساء نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . أى: وإذا طلبتم- أيها المؤمنون- من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً يتمتع به سواء أكان هذا الشيء حسياً كالطعام أم معنوياً كمعرفة بعض الأحكام الشرعية . . إذا سألتموهن شيئاً من ذلك فليكن سؤالكم لهن من وراء حجاب ساتر بينكم وبينهن . لأن سؤالكم إياهن بهذه الطريقة، أظهر لقلوبكم وقلوبهن، وأبعد عن الوقوع في الهواجس الشيطانية التي قد تولد عن مشاهدتكم لهن، ومشاهدتهن لكم . . ثم ختم- سبحانه - الآية الكريمة بقوله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا .

أى: وما صح وما استقام لكم- أيها المؤمنون- أن تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأى لون من ألوان الأذى، سواء أكان بدخول بيوته بغير إذنه، أم بحضوركم إليها انتظاراً لنضج الطعام أم بجلوسكم بعد الأكل بدون مقتض لذلك، أم بغير ذلك مما يتأذى به صلى الله عليه وسلم .

كما أنه لا يصح لكم مجال من الأحوال أن تنكحوا أزواجه من بعده، أى: من بعد وفاته .

إِنَّ ذَلِكُمْ أَى: إيذائه ونكاح أزواجه من بعده كَانَ عِنْدَ اللَّهِ-تبارك وتعالى- ذَنْبًا عَظِيمًا وَإِثْمًا جَسِيمًا، لَا يَقَادِرُ قَدْرَهُ .

يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا: تفسير ابن كثير

هذه آية الحجاب ، وفيها أحكام وآداب شرعية ، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فأنزل الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : 125] .

وقلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو حجبتن ؟ فأنزل الله آية الحجاب . وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه في الغيرة : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ﴾ [التحريم : 5] ، فنزلت كذلك .

وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر ، وهي قضية رابعة .

وقد قال البخاري : حدثنا مسدد ، عن يحيى ، عن حميد ، أن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله آية الحجاب .

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش ، التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة ، في قول قتادة والواقدي وغيرهما .

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وخليفة بن خياط : أن ذلك كان في سنة ثلاث ، فالله أعلم .

قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، حدثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو [كأنه] يتهيا للقيام فلم يقوموا . فلما رأى

ذلك قام ، فلما قام [قام] من قام ، وقعد ثلاثة نفر . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل ، فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقت ، فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا . فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل ، فألقى [الحجاب] بيني وبينه ، فأُنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ الآية .

وقد رواه أيضا في موضع آخر ، ومسلم والنسائي ، من طرق ، عن معتمر بن سليمان ، به . ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، [بنحوه . ثم قال : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك] قال : بني [على] النبي صلى الله عليه وسلم بزينة بنت جحش مجبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعيا ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون . فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ، ما أجد أحدا أدعوه . قال : " ارفعوا طعامكم " ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة ، فقال : " السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته " . قالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ؟ فتقرى حجر نسائه كلهن ، يقول لمن كما يقول لعائشة ، ويقولن له كما قالت عائشة . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة [في البيت] يتحدثون . وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة ، فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا ؟ فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله ، وأخرى خارجه ، أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب [الستة] ، سوى النسائي في اليوم والليلة ، من حديث عبد الوارث .

ثم رواه عن إسحاق - هو ابن منصور - عن عبد الله بن بكر السهمي ، عن حميد ، عن أنس ، بنحو ذلك ، وقال : " رجالان " انفرد به من هذا الوجه . وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو المظفر ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد - أبي عثمان الشكري - عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم حيسا ثم وضعته في تور ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرئه مني السلام ، وأخبره أن هذا منا له قليل - قال أنس : والناس يومئذ في جهد - فجئت به فقلت : يا رسول الله ، بعثت بهذا أم سليم إليك ، وهي تقرئك السلام ، وتقول : أخبره أن هذا منا له قليل ، فنظر إليه ثم قال : " ضعه " فوضعت في ناحية البيت ، ثم قال : " اذهب فادع لي فلانا وفلانا " . وسمى رجالا كثيرا ، وقال : " ومن لقيت من [المسلمين] . فدعوت من قال لي ، ومن لقيت من [المسلمين] ، فجئت والبيت والصفة والحجرة مألئى من الناس - فقلت : يا أبا عثمان ، كم كانوا ؟ فقال : كانوا زهاء ثلاثمائة - قال أنس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جئ به " . فجئت به إليه ، فوضع يده عليه ، ودعا وقال : " ما شاء الله " . ثم قال : " ليتحلق عشرة عشرة ، وليسموا ، وليأكل كل إنسان مما يليه " . فجعلوا يسمون ويأكلون ، حتى أكلوا كلهم . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ارفعه " . قال : فجئت فأخذت التور فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين

أخذت ؟ قال : وتحلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس حياء - ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا - فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رآوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا ، وأنزل الله عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ إلى قوله : ﴿ بكل شيء عليما ﴾ . قال أنس : فقرأهن علي قبل الناس ، فأنا أحدث الناس بهن عهدا .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا ، عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال :

وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس ، فذكر نحوه .

ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الجعد ، به . وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك ، عن شريك ، عن بيان بن بشر ، عن أنس ، بنحوه .

وروى البخاري والترمذي ، من طريقين آخرين ، عن بيان بن بشر الأحمسي الكوفي ، عن أنس ، بنحوه

ورواه ابن أبي حاتم أيضا ، من حديث أبي نضرة العبدي ، عن أنس بن مالك ، بنحوه ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس ، بنحو ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انتقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليزيد " اذهب فاذكرها علي " .

قال : فانطلق زيد حتى أتاها ، قال : وهي تخمر عجينها ، فلما رأيتها عظمت في صدري . . .

وذكر تمام الحديث ، كما قدمناه عند قوله : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ ، وزاد في آخره بعد قوله

: ووعظ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثه : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى

طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان

يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ﴾ .

وقد أخرجه مسلم والنسائي ، من حديث سليمان بن المغيرة ، به .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الرحمن - ابن أخي ابن وهب - حدثني عمي عبد الله بن وهب ،

حدثني يونس عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع - وهو صعيد أفيح - وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله

عليه وسلم : احجب نساءك . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل ، فخرجت سودة بنت

زمنة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة طويلة ، فنادها عمر بصوته الأعلى : قد

عرفناك يا سودة . حرصا أن ينزل الحجاب ، قالت : فأنزل الله الحجاب .

هكذا وقع في هذه الرواية . والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب ، كما رواه الإمام أحمد والبخاري
ومسلم ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : خرجت
سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لا تحفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن
الخطاب فقال : يا سودة ، أما والله ما تحفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ؟ قالت : فانكفأت
راجعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، وإنه ليتعشى ، وفي يده عرق ، فدخلت فقالت : يا
رسول الله ، إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا . قالت : فأوحى الله إليه ، ثم رفع
عنه وإن العرق في يده ، ما وضعه . فقال : " إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن " . لفظ
البخاري .

فقوله : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ : حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام ، حتى غار الله لهذه
الأمّة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمّة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" إياكم والدخول على النساء " .

ثم استثنى من ذلك فقال : ﴿ إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ .
قال مجاهد وقتادة وغيرهما : أي غير متحينين نضجه واستواءه ، أي: لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب
الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا يكرهه الله ويذمه . وهذا دليل على تحريم التطفيل ، وهو الذي
تسميه العرب الضيفن ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين . وذكر من
أخبارهم أشياء يطول إيرادها .

ثم قال تعالى : ﴿ ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ . وفي صحيح مسلم عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دعا أحدكم أخاه فليجب ، عرسا كان أو غيره " . وأصله في الصحيحين وفي الصحيح أيضا ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدي إلي كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل ، وانتشروا في الأرض " ؛ ولهذا قال : ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ أي: كما وقع لأولئك نفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ، ونسوا أنفسهم ، حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال [الله] تعالى : ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ﴾ .

وقيل : المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، لكن كان يكره أن ينهاتهم عن ذلك من شدة حيائه ، عليه السلام ، حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ والله لا يستحيي من الحق ﴾ أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه .

ثم قال تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن ، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مسعر ، عن موسى بن أبي كثير ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب ، فمر عمر فدعاه ، فأصابت إصبعه إصبعي ، فقال : حس - أو : أوه - لو أطاع فيمكن ما رأيتك عين .

فنزل الحجاب .

﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ أي: هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب

وقوله: ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند

الله عظيما ﴾ : قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا

مهران ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما كان

لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾ قال : نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم .

قال رجل لسفيان : أهى عائشة ؟ قال : قد ذكروا ذلك .

وكذا قال مقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على

ذلك طلحة بن عبيد الله ، رضي الله عنه ، حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ؛ ولهذا أجمع العلماء

قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من

بعده ؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ، كما تقدم . واختلفوا فيما دخل بها ثم طلقها

في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين ، مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله : ﴿ من

بعده ﴾ أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه -

نزاعا ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني [محمد] بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا داود ، عن عامر بن أن نبي

الله صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قبيلة بنت الأشعث - يعني : ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن

أبي جهل بعد ذلك ، فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة ، فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها

ليست من نسائه ، إنها لم يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجلبها ، وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها . قال : فاطمأن أبو بكر ، رضي الله عنهما وسكن .

وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك ، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله : ﴿ إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ ،

تفسير القرطبي : معنى الآية 53 من سورة الأحزاب

قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما .
فيه ست عشرة مسألة : الأولى : قوله تعالى : لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم (أن) في موضع نصب على معنى : إلا بأن يؤذن لكم ، ويكون الاستثناء ليس من الأول .

طعام غير ناظرين نصب على الحال ، أي لا تدخلوا في هذه الحال .

ولا يجوز في غير الخفض على النعت للطعام ، لأنه لو كان نعتا لم يكن بد من إظهار الفاعلين ، وكان يقول : غير ناظرين إناه أتم .

ونظير هذا من النحو : هذا رجل مع رجل ملازم له ، وإن شئت قلت : هذا رجل مع رجل ملازم له هو

وهذه الآية تضمنت قصتين : إحداهما : الأدب في أمر الطعام والجلوس .

والثانية : أمر الحجاب .

وقال حماد بن زيد : هذه الآية نزلت في الثقلاء .

فأما القصة الأولى فالجمهور من المفسرين على أن : سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش امرأة زيد أولم عليها ، فدعا الناس ، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فقتلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أنس : فما أدري أنا أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أن القوم قد خرجوا أو أخبرني .

قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب .

قال : ووعظ القوم بما وعظوا به ، وأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي - إلى قوله - إن ذلكم كان عند الله عظيما أخرجه الصحيح .

وقال قتادة ومقاتل في كتاب الثعلبي : إن هذا السبب جرى في بيت أم سلمة .

والأول الصحيح ، كما رواه الصحيح .

وقال ابن عباس : نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل أن يدرك الطعام ، فيقعدون إلى أن يدرك ، ثم يأكلون ولا يخرجون .

وقال إسماعيل بن أبي حكيم : وهذا أدب أدب الله به الثقلاء .

وقال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي : حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم .

وأما قصة الحجاب فقال أنس بن مالك وجماعة : سببها أمر القعود في بيت زينب ، القصة المذكورة آنفا

وقالت عائشة رضي الله عنها وجماعة : سببها أن عمر قال قلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت الآية .

وروى الصحيح عن ابن عمر قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر .

هذا أصح ما قيل في أمر الحجاب ، وما عدا هذين القولين من الأقوال والروايات فواهية ، لا يقوم شيء منها على ساق ، وأضعفها ما روي عن ابن مسعود : أن عمر أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب ، فقالت زينب بنت جحش : يا بن الخطاب ، إنك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله تعالى : وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وهذا باطل ؛ لأن الحجاب نزل يوم البناء بزینب ، كما بيناه .

أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه ، فأصاب يد رجل منهم يد عائشة ، فكره النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الحجاب .

قال ابن عطية : وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه .

وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك ، فنهى الله المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخل في النهي سائر المؤمنين ، والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك ، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل ، لا قبله لانتظار نضح الطعام .

الثانية : قوله تعالى : بيوت النبي دليل على أن البيت للرجل ، ويحكم له به ، فإن الله تعالى أضافه إليه .
فإن قيل : فقد قال الله تعالى : واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا قلنا : إضافة البيوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم إضافة ملك ، وإضافة البيوت إلى الأزواج إضافة محل ، بدليل أنه جعل فيها الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم والإذن إنما يكون للمالك .

الثالثة : واختلف العلماء في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان يسكن فيها أهله بعد موته ، هل هي ملك لهن أم لا على قولين : فقالت طائفة : كانت ملكا لهن ، بدليل أنهن سكن فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاتهن ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهب ذلك لهن في حياته .

الثاني : أن ذلك كان إسكانا كما يسكن الرجل أهله ولم يكن هبة ، وتمادى سكانها بها إلى الموت .
وهذا هو الصحيح ، وهو الذي ارتضاه أبو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهم ، فإن ذلك من مؤتتهن التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناها لهن ، كما استثنى لهن نفقاتهن حين قال : لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهما ، ما تركت بعد نفقة أهلي ومؤنة عاملي فهو صدقة .

هكذا قال أهل العلم ، قالوا : ويدل على ذلك أن مساكينهن لم يرثها عنهن ورثتهن .

قالوا : ولو كان ذلك ملكا لهن كان لا شك قد ورثه عنهن ورثتهن .

قالوا : وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على أنها لم تكن لهن ملكا .

وإنما كان لهن سكن حياتهن ، فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الذي يعم المسلمين نفعه ، كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مضين لسبيلهن ، فزيد إلى أصل المال فصرف في منافع المسلمين مما يعم جميعهم نفعه .

والله الموفق .

قوله تعالى : غير ناظرين إناه أي غير منتظرين وقت نضجه .

و (إناه) مقصور ، وفيه لغات : (إني) بكسر الهمزة .

قال الشيباني : وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحم تخضت المنون له بيوماني ولكل حاملة تاموقراً ابن أبي عبلة : (غير ناظرين إناه) مجرورا صفة ل (طعام) .

الزحخشري : وليس بالوجه ، لأنه جرى على غير ما هو له ، فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى

اللفظ ، فيقال : غير ناظرين إناه أتم ، كهولك : هند زيد ضاربتة هي .

وأني (بفتحها) ، وأناء (بفتح الهمزة والمد) قال الخطيب : وأخرت العشاء إلى سهيل أو الشعري فطال بي الأناء يعني إلى طلوع سهيل .

وإناه مصدر أنى الشيء يأتي إذا فرغ وحن وأدرك .

الرابعة : قوله تعالى : ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا فأكد المنع ، وخص وقت الدخول بأن يكون عند الإذن على جهة الأدب ، وحفظ الحضرة الكريمة من المباشطة المكروهة .

قال ابن العربي : وتقدير الكلام : ولكن إذا دعيتم وأذن لكم في الدخول فادخلوا ، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذنا كافيا في الدخول .

والفاء في جواب إذا لازمة لما فيها من معنى المجازاة .

الخامسة : قوله تعالى : فادخلوا فإذا طعمتم أمر تعالى بعد الإطعام بأن يتفرق جميعهم وينتشروا .

والمراد إلزام الخروج من المنزل عند انقضاء المقصود من الأكل .

والدليل على ذلك أن الدخول حرام ، وإنما جاز لأجل الأكل ، فإذا انقضى الأكل زال السبب المبيح وعاد التحريم إلى أصله .

السابعة : في هذه الآية دليل على أن الضيف يأكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه ، لأنه قال : فإذا طعمتم فانتشروا فلم يجعل له أكثر من الأكل ، ولا أضاف إليه سواه ، وبقي الملك على أصله .

السابعة : قوله تعالى : ولا مستأنسين لحديث عطف على قوله : غير ناظرين و (غير) منصوبة على

الحال من الكاف والميم في (لكم) أي غير ناظرين ولا مستأنسين ، والمعنى المقصود : لا تمكثوا

مستأنسين بالحديث كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب .

(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) أي لا يمتنع من بيانه وإظهاره .

ولما كان ذلك يقع من البشر لعل الاستحياء نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر .

وفي الصحيح عن أم سلمة قالت : جاءت أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأت الماء .

الثامنة : قوله تعالى : وإذا سألتهم من متاعا روى أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك قال: قال عمر : وافقت ربي في أربع . الحديث .

وفيه : قلت : يا رسول الله ، لو ضربت على نساءك الحجاب ، فإنه يدخل عليهن البر والفاجر ، فأنزل الله عز وجل وإذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب .

واختلف في المتاع ، فقيل : ما يتمتع به من العواري .

وقيل قوى . وقيل صحف القرآن .

والصواب أنه عام في جميع ما يمكن أن يطلب من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا .

التاسعة : في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض ، أو مسألة يستفتين فيها ، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة ، بدنها وصوتها ، كما تقدم ، فلا يجوز كشف ذلك إلا للحاجة كالشهادة عليها ، أو داء يكون بدنها ، أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها .

العاشرة : استدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب على جواز شهادة الأعمى ، وبأن الأعمى يطاء زوجته بمعرفة بكلامها .

وعلى إجازة شهادته أكثر العلماء ، ولم يجزها أبو حنيفة والشافعي وغيرهما .

قال أبو حنيفة : تجوز في الأنساب . وقال الشافعي : لا تجوز إلا فيما رآه قبل ذهاب بصره .

الحادية عشرة : قوله تعالى : ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء ، وللنساء في أمر الرجال ، أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية .

وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له ، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته .

الثانية عشرة : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الآية .

هذا تكرار للعلة وتأکید لحكمها ، وتأکید العلل أقوى في الأحكام .

الثالثة عشرة : قوله تعالى : ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا روى إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا

محمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن رجلا قال : لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة ، فأنزل الله تعالى : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية .

ونزلت : وأزواجه أمهاتهم .

وقال القشيري أبو نصر عبد الرحمن : قال ابن عباس قال رجل من سادات قريش من العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء - في نفسه - لو توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة ، وهي بنت عمي .

قال مقاتل : هو طلحة بن عبيد الله .

قال ابن عباس : وندم هذا الرجل على ما حدث به في نفسه ، فمشى إلى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله ، وأعتق رقيقاً فكفر الله عنه .

وقال ابن عطية : روي أنها نزلت بسبب أن بعض الصحابة قال : لومات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأذى به ، هكذا كفى عنه ابن عباس ببعض الصحابة .

وحكى مكى عن معمر أنه قال : هو طلحة بن عبيد الله .

قلت : وكذا حكى النحاس عن معمر أنه طلحة ، ولا يصح .

قال ابن عطية : لله در ابن عباس ! وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله .

قال شيخنا الإمام أبو العباس : وقد حكى هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة ، وحاشاهم عن

مثله ! والكذب في نقله ، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال .

يروى أن رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد أبي سلمة ،
وحفصة بعد خنيس بن حذافة : ما بال محمد يتزوج نساءنا ! والله لو قد مات لأجلنا السهام على
نساءه ، فنزلت الآية في هذا ، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده ، وجعل لمن حكم الأمهات .
وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبئها على مرتبته صلى الله عليه وسلم .

قال الشافعي رحمه الله : وأزواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن ، ومن
استحل ذلك كان كافرا ، لقوله تعالى : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
أبدا .

وقد قيل : إنما منع من التزوج بزوجاته ، لأنهن أزواجه في الجنة ، وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها .
قال حذيفة لامرأته : إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تزوجي من بعدي ، فإن
المرأة لآخر أزواجها .

وقد ذكرنا ما للعلماء في هذا في (كتاب التذكرة) من أبواب الجنة .

الرابعة عشرة : اختلف العلماء في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ، هل بقين أزواجا أم زال
النكاح بالموت ، وإذا زال النكاح بالموت فهل عليهن عدة أم لا ؟ فقيل : عليهن العدة ، لأنه توفي عنهن ،
والعدة عبادة .

وقيل : لا عدة عليهن ، لأنها مدة تربص لا ينتظر بها الإباحة .

وهو الصحيح ، لقوله عليه السلام : ما تركت بعد نفقة عيالي وروي أهلي وهذا اسم خاص بالزوجية ، فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساء ، وحرمن على غيره ، وهذا هو معنى بقاء النكاح .

وإنما جعل الموت في حقه عليه السلام لمن بمنزلة المغيب في حق غيره ، لكونهن أزواجا له في الآخرة قطعاً بخلاف سائر الناس ؛ لأن الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة ، فربما كان أحدهما في الجنة والآخر في النار ، فبهذا انتقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام : زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الآخرة .

وقال عليه السلام : كل سبب ونسب ينتقطع إلا سببي ونسبي فإنه باق إلى يوم القيامة .

فرع : فأما زوجاته عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها ، فهل كان يحل لغيره نكاحهن ؟ فيه خلاف .

والصحيح جواز ذلك ، لما روي أن الكلبية التي فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عكرمة بن أبي جهل على ما تقدم .

وقيل : إن الذي تزوجها الأشعث بن قيس الكندي .

قال القاضي أبو الطيب : الذي تزوجها مهاجر بن أبي أمية ، ولم ينكر ذلك أحد ، فدل على أنه إجماع

الخامسة عشرة : قوله تعالى : أبدا إن ذلكم كان عند الله يعني أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نكاح أزواجه ، فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب أعظم منه .

السادسة عشرة : قد بينا سبب نزول الحجاب من حديث أنس وقول عمر ، وكان يقول لسودة إذا خرجت وكانت امرأة طويلة : قد رأيتك يا سودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب .

ولا بعد في نزول الآية عند هذه الأسباب كلها - والله أعلم - بيد أنه لما ماتت زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها إلا ذو محرم منها ، مراعاة للحجاب الذي نزل بسببها .

فدلته أسماء بنت عميس على سترها في النعش في القبة ، وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروى أن ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم .

(35)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ . (الحجرات / ٧) .

التفسير الميسر :

واعلموا أن بين أظهركم رسول الله فتأدبوا معه؛ فإنه أعلم منكم بما يصلح لكم، يريد بكم الخير، وقد تريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه، لو يطيعكم في كثير من الأمر مما تختارونه لأدى ذلك إلى مشقتكم، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وحسنه في قلوبكم، فأمنتم، وكره إليكم الكفر

بالله والخروج عن طاعته، ومعصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الراشدون السالكون طريق الحق.

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، فاحذروا أن تكذبوا فينزل عليه الوحي يخبره بكذبكم، وهو أعلم بما فيه مصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لوقعتم في المشقة التي لا يرضاها لكم، ولكن الله من فضله حبب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم فآمنتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن طاعته، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الرشد والصواب.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية >

«واعلموا أن فيكم رسول الله» فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال «لو يطيعكم في كثير من الأمر» الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه «لعنتم» لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب «ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه» حسنه «في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان» استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان إلخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره «أولئك هم» فيه التفات عن الخطاب «الراشدون» الثابتون على دينهم.

تفسير السعدي : واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في

أي: ليكن لديكم معلوماً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين أظهركم، وهو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد بكم الخير وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشر والمضرة، ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنكم، ولكن الرسول يرشدكم، والله تعالى يجب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإجابة إليه، ويكره إليكم الكفر والفسوق، - أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده، وعدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله من الكراهة في القلوب له ﴿ أُولَئِكَ ﴾ - أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ﴿ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ - أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم. وضدهم الغاؤون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، والذنب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما ﴿ زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم.

تفسير البغوي: مضمون الآية 7 من سورة الحجرات

(واعلموا أن فيكم رسول الله) فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو تكذبوه ، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الأمر) مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) لأئتم وهلكم ، والعنت : الإثم والهلاك .

(ولكن الله حبب إليكم الإيمان) فجعله أحب الأديان إليكم (وزينه) حسنه (في قلوبكم) حتى
اخترتموه ، وتطيعون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (وكره إليكم الكفر والفسوق) قال ابن
عباس : يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله .

ثم عاد من الخطاب إلى الخبر ، وقال : (أولئك هم الراشدون) المهتدون .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم أرشد - سبحانه - المؤمنين إلى جانب من نعمه عليهم، ورحمته بهم فقال: **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ.**

والعنت: الوقوع في الأمر الشاق المؤلم، يقال: عنت فلان - بزنة فرح - إذا وقع في أمر يؤدي إلى هلاكه أو
تعبه أو إيدائه .

ويفهم من الآية الكريمة أن بعض المسلمين، صدقوا الوليد بن عقبة، وأشاروا على الرسول صلى الله عليه
وسلم أن يعجل بعقاب بنى المصطلق .

والمراد بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم: أخذه برأيهم، وتنفيذه لما يريدونه منه .

والمراد بالكثير من الأمر: الكثير من الأخبار والأحكام التي يريدون تنفيذها حتى ولو كانت على غير ما
تقتضيه المصلحة والحكمة .

أى: واعلموا- أيها المؤمنون- أن فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله- سبحانه - لكي
يهديكم إلى الحق وإلى الطريق القويم . . وهو- عليه الصلاة والسلام- لو يطيعكم في كثير من الأخبار التي

يسمعا منكم، وفي الأحكام التي تحبون تطبيقها عليكم أو على غيركم . لو يطيعكم في كل ذلك لأصابعكم العنت والمشقة، ولنزل بكم ما قد يؤدي إلى هلاككم وإتلاف أموركم .

قال الآلوسی ما ملخصه: وقوله: **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَ «أَنَّ»** بما في حيزها ساد مسد مفعولي «اعلموا» باعتبار ما قيد به من الحال، وهو قوله: **لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ**.

وتقديم خبر «أَنَّ» للحصر المستتبع زيادة التوبيخ، وصيغة المضارع للاستمرار .

ولَوْلَا امتناع استمرار طاعته- عليه الصلاة والسلام- لهم في كثير مما يعن لهم من الأمور .

وفي الكلام إشعار بأنهم زينوا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيقاع ببني المصطلق .

وفي هذا التعبير مبالغات منها: إيثار «لو» ليدل على الفرض والتقدير .

ومنها: ما في العدول إلى المضارع من تصوير ما كانوا عليه، وتهجينه .

ومنها: ما في التعبير بالعنت من الدلالة على أشد المحذور، فإنه الكسر بعد الجبر، والرمز الخفي على أنه ليس بأول بادرة منهم .

وقوله- سبحانه -: **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَتَّبَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ**

وَالْعِصْيَانَ استدراك على ما يقتضيه الكلام السابق، وبيان لمظاهر فضله عليهم ورحمته بهم .

أى: ولكنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يطيعكم في كل ما يعن لكم، وإنما يتبين الأمور والأخبار ويتثبت من

صحتها ثم يحكم، وقد حُبب اللهُ-تبارك وتعالى- إلى كثير منكم الإيمان المصحوب بالعمل الصالح والقول

الطيب وزينه وحببه في قلوبكم، وكره وبغض إليكم الكفر والفسوق والعصيان لكل ما أمر به أو نهى عنه .

ورحم الله صاحب الكشاف فقد أجاد عند تفسير هذه الآية، فقال ما ملخصه: قوله: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ أَيْ: لَوْ قَعْتُمْ فِي الْعَنْتِ وَالْهَلَاكِ . . . وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا للرسول صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببني المصطلق . . .

وأن بعضهم كانوا يتصنون ويزعمهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم- سبحانه - بقوله: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ أَيْ إِلَى بَعْضِكُمْ، ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم، وهذا من إجازات القرآن، ولحاته اللطيفة، التي لا يفتن لها إلا الخواص .
فإن قلت: كيف وقع لَكِنَّ وشريطها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفياً وإثباتاً؟ قلت: هي مفقودة من حيث اللفظ، حاصلة من حيث المعنى، لأن الذين حُبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم المتقدم ذكرهم، فوَقَعَتْ لَكِنَّ في موقعها من الاستدراك .

واسم الإشارة في قوله: أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ يعود إلى المؤمنين الصادقين، الذين حُبب الله-تبارك وتعالى- إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم .

أى: أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة، هم الثابتون على دينهم، المهتدون إلى طريق الرشد والصواب، إذ الرشد هو الاستقامة على طريق الحق، مع الثبات عليه، والتصلب فيه، والتمسك به في كل الأحوال .

تفسير ابن كثير

وقوله : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه ، وتأدبوا معه ، وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم ، وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم ، كما قال تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ [الأحزاب : 6] .

ثم بين [تعالى] أن رأيهم سخيّف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال : ﴿ لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وخرجكم ، كما قال تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ [المؤمنون : 71] .

وقوله : ﴿ ولكن الله حب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ أي: حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم .

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا علي بن مسعدة ، حدثنا قتادة ، عن أنس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " الإسلام علانية ، والإيمان في القلب " قال : ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ، ثم يقول : " التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا " .

﴿ وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ أي: وبغض إليكم الكفر والفسوق ، وهي : الذنوب الكبار . والعصيان وهي جميع المعاصي . وهذا تدرّج لكمال النعمة .

وقوله : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون ، الذين قد آتاهم الله
رشدهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي ، عن ابن رفاعة
الزرقبي ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
" استووا حتى أثنى على ربي عز وجل " فصاروا خلفه صفوفًا ، فقال : " اللهم لك الحمد كله . اللهم
لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت . ولا
معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت . ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهم ابسط
علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك . اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول .
اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف . اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا ، ومن
شر ما منعتنا . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا
من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين ، وأحيينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين .
اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم
قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق " .

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن
عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، به .

وفي الحديث المرفوع : " من سرته حسنته ، وسأته سيئته ، فهو مؤمن " .

تفسير القرطبي : معنى الآية > من سورة الحجرات

وله تعالى : واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون .

قوله تعالى : واعلموا أن فيكم رسول الله فلا تكذبوا ، فإن الله يعلمه أنباءكم فتتضحون .

لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم أي لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنا لكم مشقة وإثم ، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه لكان خطأ ، ولعنت من أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم .

ومعنى طاعة الرسول لهم : الائتمار بما يأمر به فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم .

والعنت : الإثم ، يقال : عنت الرجل .

والعنت أيضا الفجور والزنى ، كما في سورة (النساء) والعنت أيضا الوقوع في أمر شاق ، وقد مضى في آخر (براءة) القول في عنتم بأكثر من هذا .

ولكن الله حبب إليكم الإيمان هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يخبرون بالباطل ، أي : جعل الإيمان أحب الأديان إليكم وزينه بتوفيقه .

في قلوبكم أي : حسنه إليكم حتى اخترتموه وفي هذا رد على القدرية والإمامية وغيرهم ، حسب ما تقدم في غير موضع .

فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وخلق أفعالهم وصفاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم ، لا شريك له

وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن عباس : يريد به الكذب خاصة .

وقيل : كل ما خرج عن الطاعة ، مشتق من فسقت الرطبة خرجت من قشرها والفأرة من جحرها .

وقد مضى في (البقرة) القول فيه مستوفى . والعصيان جمع المعاصي .

أولئك هم يعني هم الذين وفقهم الله فحبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر أي : قبحه عندهم ، الراشدون

كقوله تعالى : وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون .

قال النابغة : يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد والرشد الاستقامة على طريق

الحق مع تصلب فيه ، من الرشاد وهي الصخرة .

(36)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (الحجر/88) وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . الشعراء/215) .

هذا توجيه من الله سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام في الطريقة التي ينبغي أن يعامل بها

أصحابه، هذا توجيه، أو تربية، أو تأديب، حينما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الأدب الرفيع

الذي يتحلّى به فما زاد عن أن قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي، وهذه الآية من تأديب الله سبحانه

وتعالى .

معنى خفض الجناح:

(وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . خَفِضَ الْجَنَاحَ كِنَايَةً، وَالْكِنَايَةُ هِيَ التَّعْبِيرُ عَنِ الشَّيْءِ بِبَعْضِ لَوَازِمِهِ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَبِّرَ عَنِ كَرَمِ إِنْسَانٍ قَدْ تَسْتَحْدِمُ أُسْلُوبًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ، الْكَرِيمُ مِنْ لَوَازِمِهِ أَنَّ بَابَهُ لَا يُغْلَقُ، دَائِمًا الضُّيُوفُ تَدْخُلُ مِنْهُ، فَإِذَا عَبَّرْتَ عَنِ الْكَرَمِ بِطَرِيقَةٍ مُبَاشِرَةٍ تَقُولُ: فَلَانِ كَرِيمٍ، هَذَا الْأُسْلُوبُ اسْمُهُ: الْأُسْلُوبُ الْمُبَاشِرُ، أَمَا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَبِّرَ عَنِ كَرَمِ هَذَا الْإِنْسَانِ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ فَتَسْتَحْدِمُ الْكِنَايَةَ، تَقُولُ: فَلَانِ بَابُهُ لَا يُغْلَقُ، أَيْ كَرِيمٍ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَبِّرَ عَنِ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ قَدْ نَدِمَ، وَقَلْتَ: فَلَانِ نَدِمَ، اسْتَحْدَمْتَ الْأُسْلُوبَ الْمُبَاشِرَ، أَمَا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَحْدِمَ الْكِنَايَةَ تَقُولُ: فَلَانِ عَضَّ عَلَى أَصْبَعِهِ ! قَالَ تَعَالَى:

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) [سورة الفرقان]

والعض على الأصبع هذا كناية عن الندم الشديد، وخفض الجناح كناية عن التواضع، وقد ورد: "تواضعوا لمن تعلمون"، الله سبحانه وتعالى يوجه النبي عليه الصلاة والسلام، أو يؤذبه، أو يربيه كي يكون متواضعا مع أصحابه (وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

فوائد خفض الجناح:

يبدو أن خفض الجناح يؤلف القلوب، يبدو أن خفض الجناح يعين على المحبة، والمحبة أساس في الدعوة إلى الله. أحد المعلمين القدامى الذين جاؤوا في العصور الساحقة في التاريخ القديم وهو أفلاطون استدعى وليا من أولياء تلاميذه، وقال له: خذ ابنك عني إنه لا يحبني ! أي التعليم أساسه المحبة، التعليم بالقهر وبالإلزام هذا التعليم لا يجدي، خذ ابنك عني إنه لا يحبني، كما قال أحد العلماء: "يا بني، نحن إلى

أدبك أخوج منا إلى علمك!" أي هذا الأدب، وذاك العطف، وذاك التواضع من المعلم يجعل قلوب

المتعلمين تميل إليه، لذلك قال ربنا عز وجل:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (I59) [سورة آل عمران]

وقبلها يقول عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، هذه الرحمة التي استكثت في قلبك كان من آثارها هذا اللين؛ لين الجانب، خفض الجانب فاجتمعوا عليك، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

من صفات الداعية المسلم خفض الجناح:

الآن نحن أمام آية من آيات تربية الله سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام، يجب أن نأخذ بها نحن، كل من دعا إلى الله، كل من تصدى إلى هداية الناس، كل من نصب نفسه إمامًا، كل من نصب نفسه داعيةً، لا بد من أن يتخلق بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام، وإلا تأتي دعوته جوفاء لا جدوى منها.

﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ خفض الجناح كناية عن التواضع: ﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، هذه الآية وردت في صيغة أخرى في مكان آخر من هذا الكتاب الكريم، هنا: ﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الآية الأخرى: ﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (88) قاطبة، أي أنت أيها الأخ إذا دعوت إلى الله فلا ينبغي أن تزدري مؤمنًا ليس من جماعتك، هذا ضيق أفق، هذه نظرة ضيقة، هذه

تُثير مشاعر العدا، ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (88) ﴿ولو لم يتبعوك، ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (88)﴾ مطلقه، أي المؤمن الصادق لا يغمط الناس حقهم، والمؤمن الصادق يعرف لكل ذي حق حقه، والمؤمن الصادق ليس ضيق الأفق، ولا محدود النظرة، وليس يعنيه إلا من حوله، لا، والله للجميع، وفوق الجميع، وبابه مفتوح للجميع، ورحمته لكل الناس، هذا الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال: عن أبي هريرة:

((قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أُعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلأُعْرَابِيِّ: لَقَدْ حَجَرْتِ وَإِسْعًا! يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ.)) [صحيح البخاري]

رحمة الله واسعة! فالفرق بين الآيتين، الآية الأولى: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والآية الثانية:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (88) [سورة الحجر]

في عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان بعض المؤمنين في مكة كانوا عيّن النبي عليه الصلاة والسلام، وكان إيمانهم في قلوبهم، والنبي يعرف ذلك، لذلك هؤلاء الذين آمنوا بقلوبهم، واقتضت المصلحة ألا يظهروا مشمولون بهذه الآية: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قاطبة، أكان إيمانه ظاهرًا أم غير ظاهر، أكان معك أو

ليس معك، أما نحن الآن فالمؤمن الصادق لا يغط الناس حقهم، لا يزدري الناس إن لم يكونوا من
جماعته، هذه نظرة ضيقة محدودة لا تصلح إطلاقاً، ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

صور من تواضع النبي عليه الصلاة والسلام:

شيء آخر، مما يؤكد تمسك النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الأدب العظيم، مما يؤكد استجابته لهذا
التوجيه الكريم، مما يؤكد حرصه على التمسك بهذا التأديب من قبل الله عز وجل، كان عليه الصلاة
والسلام إذا اجتمع بأصحابه كأنه كأحدهم، والدليل: إذا دخل عليهم رجل يريدُهُ، يدخل على أصحابه
والنبي عليه الصلاة والسلام معهم، ولا يعرفهُ فيقول: أيكم محمد؟! ماذا نستنبط من هذا؟ أنه كان
عليه الصلاة والسلام إذا جلس مع أصحابه فهو كأحدهم تماماً، وإذا سار مع أصحابه كان كأحدهم
أيضاً، وقد كان عليه الصلاة والسلام لا يعطي لنفسه امتيازاً أبداً، والقصة المشهورة التي تعرفونها جميعاً
حينما كان النبي مع أصحابه الكرام في مكان وأرادوا أن يأكلوا فقال أحدهم: عليّ ذبح هذه الشاة، وقال
الثاني: عليّ سلخها، وقال الثالث: عليّ طبخها، وقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب، فقال
أحد الصحابة الكرام: نكفك ذلك، قال: أعرف ذلك ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه،
هذا هو خلق النبي عليه الصلاة والسلام، والقصة التي تعرفونها كذلك، وأتلوها على مسامعكم دائماً يوم
بدر حينما كانت الرواحل قليلة وحينما أمر النبي أن يتناوب كل ثلاثة على راحلة: فعن عبد الله بن
مسعود قال :

((كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ تَعَاقَبُ ثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، فَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولَانِ لَهُ: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ، وَلَا أَنْتَمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي.))

[المستدرک علی الصحیحین : خلاصة حکم المحدث : صحیح الإسناد]

((وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسَ فَتَوَاضَعْ لَهُمْ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ طَرِيقَهُمْ إِلَى اللَّهِ فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لَهُمْ، هَذَا وَصْفٌ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَاءَ تَوْجِيهُهُ يُسَمِّيهِ عِلْمَاءُ التَّفْسِيرِ: تَرْبِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ يَأْتِي وَصْفٌ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ التَّرْبِيَةُ تَعْلِيمًا لَنَا، فَكُلٌّ مِنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُو إِلَى اللَّهِ صَدِيقَكَ الَّذِي فِي الْعَمَلِ فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لَهُ، اجْلِسْ مَعَهُ، تَأَدَّبْ مَعَهُ، لَا تَسْتَعْلِ عَلَيْهِ، لَا تَقُلْ لَهُ: أَنَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، هَذَا يَنْفَرُ قَلْبُهُ مِنْكَ، دَعِ الْحَدِيثَ عَنِ نَفْسِكَ كَلِيًّا، مَنْ أَنْتَ؟ حَدَّثَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَفِّ بِهَذَا، دَعِ نَفْسَكَ فِي الظَّلْمِ، دَعِ نَفْسَكَ بَعِيدًا عَنِ الْأَضْوَاءِ حَتَّى يُحِبَّكَ النَّاسُ. النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَطْبِيقًا لِهَذَا التَّوْجِيهِ الْإِلَهِيِّ الْعَظِيمِ كَانَ يُخْصِفُ ثَعْلَهُ بِيَدِهِ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ، بَلْ كَانَ يَكْنُسُ بَيْتَهُ، وَيَجْلِبُ شَاتَهُ، وَيُخْدَمُ نَفْسَهُ، إِذَا كَانَتْ الزَّوْجَةُ نَائِمَةً فَاخْدُمِ نَفْسَكَ، وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ

يحيى بن أبي كثير :

((أَكَلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ .))

[صحیح الجامع : خلاصة حکم المحدث : صحیح]

وفي معظم وقته كما وصفه العلماء كان في مهنة أهله، أي في خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة، وكانت الأمة أي الجارية الصغيرة - الطفلة الصغيرة - تأخذ بيده فتطلق به حيث تشاء، الطفلة الصغيرة تمسك بيده صلى الله عليه وسلم وتطلق به حيث تشاء، هذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام تطبيقاً لهذا التوجيه الكريم يمر بالصبيان فيسلم عليهم، ولو لم يعرف أسماءهم، يقول: السلام عليكم يا صبيان. ومن هذا التوجيه الكريم كان إذا أكل لَعَقَ أصابعه الثالث، لعق الأصبع من السنة، ومن توجيه الله الكريم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما رُبِّيَ مادًّا رجليه قط، سيد الخلق، وحبیب الحق، وما عابَ طعامًا قط من تواضعه صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يتنمَّ لنفسه قط، إنما يغضب إذا انتهكت حُرْمَةٌ من حرمت الله تعالى، وكان عليه الصلاة والسلام يأكل مع الخادم، ويجالس المسكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم، وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، قال مرة: عن أبي هريرة رضي الله عنه :

((لو دُعيتُ إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأجبتُ، ولو أهديتُ إليَّ ذراعًا أو كراعًا لأجبتُ .)) [صحيح البخاري]

هذه أخلاقه صلى الله عليه وسلم، كان يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الدابة، طبعاً في وقته أن تترك حصاناً غالي الثمن شيء يدعو إلى الشعور بالتفوق، أما أن تترك دابةً قميئةً فهذا شيء لا يفعله إلا أواسط الناس، كان عليه الصلاة والسلام يركب دابةً مما يركبه عامة الناس، من تواضعه صلى الله عليه وسلم أن امرأة كانت تخدم المسجد، امرأة فقيرة لا يعرفها أحد، بل لا أحد يعرف اسمها، كانت تخدم المسجد وتوفيت، يبدو أن أصحاب النبي رأوا أنها أقل شأناً من أن يذكروا للنبي أنها ماتت، ماتت

وَدَفَنُوهَا، فَلَمَّا سَأَلَ عَنْهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَجَابُوهُ بِأَنَّهَا مَاتَتْ وَدُفِنَتْ تَأَلَّمَ أَلَمًا شَدِيدًا، وَقَالَ:

عن أبي سعيد الخدري :

((أَلَا أَذْثَمُونِي؟ فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا وَالنَّاسُ خَلْفَهُ، وَدَعَا لَهَا، ثُمَّ

انصرف .)) [صحيح الترغيب : خلاصة حكم المحدث : صحيح لغيره]

فَتَوَجَّهَ إِلَى قَبْرِهَا، وَاسْتَغْفَرَ لَهَا . هَذِهِ أَخْلَاقُهُ، إِذَا كُنْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فَهَذِهِ أَخْلَاقُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

شمائله عليه الصلاة والسلام:

بعض علماء السيرة جمعوا بعض شمائله في نصٍّ متَّصل، من المناسب أن أقرأه لكم في مناسبة هذه الآية:

(وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَّ التَّوَّاضِعِ، وَافِرَ الْأَدَبِ،

يَبْدَأُ النَّاسَ بِالسَّلَامِ، وَيُنْصَرِفُ بِكُلِّهِ إِلَى مُحَدِّثِهِ صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَبِيرًا، أحيانًا يَحْدُثُكَ ابْنُكَ مَرَّةً، وَمَرَّتَيْنِ،

وَالثَّلَاثَةَ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا قُلْتَ لِي؟ لَمْ أَفْهَمْ عَلَيْكَ، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَدْبِهِ الرَّفِيعِ أَنَّهُ يُنْصَرِفُ

بِكُلِّهِ إِلَى مُحَدِّثِهِ، صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَبِيرًا، وَيَكُونُ آخِرَ مَنْ يَسْحَبُ يَدَهُ إِذَا صَافَحَ، إِنْسَانٌ يَكُونُ مِنْ أَقْلٍ

النَّاسُ شَأْنًا يَجْلِسُ إِلَى جَانِبِهِ رَجُلٌ تَجِدُهُ يَتَعَدَّ عَنْهُ تَأْفِقًا أَمَّا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ آخِرَ مَنْ يَسْحَبُ

يَدَهُ إِذَا صَافَحَ، وَإِذَا تَصَدَّقَ وَضَعَ الصَّدَقَةَ بِيَدِهِ فِي يَدِ الْمَسْكِينِ، لَا يُلْقِيهَا لَهُ إِقْلَاءً، وَهَذَا مِنْ تَوَاضِعِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا جَلَسَ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْجُلُوسُ، لِمَاذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِي مَكَانًا فَارِغًا؟ اجْلِسْ

حَيْثُ يَنْتَهِي بِكَ الْجُلُوسُ، هَذَا أَدَبُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يُرْ مَاذَا رَجُلِيهِ قَطُّ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْنُفُ مِنْ

عَمَلٍ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، أَيْ مِنْ حَمَلٍ حَاجَتِهِ بِيَدِهِ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبَرِ، أَوْ حَاجَةَ صَاحِبٍ أَوْ جَارٍ، فَكَانَ

يذهب إلى السوق، ويحمل بضاعته ويقول: أنا أولى بحملها، (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ،
وكان يُجيب دعوة الحرِّ والعبد والمسكين، وكان يقبل عُذرَ المعتذر، وكان يزفو ثوبه، ويخفف نعله،
ويخدم نفسه، ويُعقلُ بعيره، ويكسُّ داره، وكان في مهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم، ويقضي حاجة
الضعيف والبائس، وكان يمشي هونًا خافض الطرف، متواصل الأحران، دائم الفكرة، لا ينطق من غير
حاجة، طويل السكوت، إذا تكلم تكلم بجوامع الكلم، وكان دميًا أي لطيفًا، ليس بالجاحف ولا المهين
يُعظم النعم وإن دقت، فلو أنه شرب كأس ماء قال: الحمد لله رب العالمين الذي جعل هذا الماء
مستساغًا، وجعل طريقه سالكا، لا يذم من هذه النعم شيئًا، هناك من يكثُر حينما يأكل طعامًا، وكأنه
قد اشمازَّ منها، لا يذم منها مذاقًا ولا يمدحه أيضًا، أحيانًا السهرة كلها عن الطعام، الكوسا وحجمها
وكذا، ولا يمدحه، ولا تُغضبُه الدنيا، ولا ما كان منها، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا غضب
أعرض وأشاح، وإذا فرح غصَّ بصره، كان يؤفُّ ولا يُفرق، يقرب ولا يُبعد، يُكرم كريم كلِّ قوم، ويؤليه
عليهم، يتفقد أصحابه، يسأل الناس عما في الناس، أحيانًا هناك قضايا تقلق الناس، يسأل الناس عما في
الناس، كيف حالكم؟ كيف أعمالكم؟ كيف أهلِكُمْ؟ هل أتم مرتاحون؟ يسأل الناس عما في الناس،
يُحسِّنُ الحسَنَ وَيُصَوِّبُهُ، وَيُبْحِ القبيحَ وَيوهنُّه، لا يُقصر عن حقِّ ولا يُجاوزه، ولا يُحسب جليسه أن
أحدًا أكرم عليه منه، من سأل حاجة لم يرده إلا بها، أو ما يسره من القول، كان دائم البشر، سهل الخلق،
لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب ولا فحاش، ولا عيَاب ولا مزاح، يتغافل عما لا يشتهي،
ولا يخيب فيه مؤملاً، وكان لا يذم أحدًا ولا يُعيرُه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يُرجى ثوابه،
يضحك ممَّا يضحك منه أصحابه، ويتعجب ممَّا يتعجبون، ويصبر على الغريب وعلى جفوته في مسألته،
ومنطقه، لا يُقطع على أحدٍ حديثًا حتى يجوزه، والحديث عن شمائله صلى الله عليه وسلم لا تُسرع له

المجلدات، إذا شخص قرأ كتاب الجامع الصغير يجد في آخره أكثر من مئة حديث عن شمائله صلى الله عليه وسلم، كان جلَّ ضحكِهِ التَّبَسُّمُ، كان يفعل كذا وكذا، كان يأكل كذا وكذا، كان إذا دخل بيته لفَّ ثوبه، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً أي هذه شمائله صلى الله عليه وسلم إذا اطَّلَعَ الإنسان عليها ينبغي أن يجعلها طريقاً له في حياته.

الافتداء به عليه الصلاة والسلام:

الآن الشيء الذي يعنيننا هو أن الله سبحانه وتعالى وجه النبي عليه الصلاة والسلام، أو أدبه، أو ربه بهذه الآية: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . . سؤال: هل في القرآن الكريم آيات أخرى تودب النبي عليه الصلاة والسلام وتكون هذه الآيات أيضاً منهجاً لنا في معاملة الناس؟ الحقيقة في القرآن الكريم ما يزيد عن سبع عشرة آية تختص بتأديب النبي عليه الصلاة والسلام، من هذه الآيات:

﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (61) [سورة التوبة]

أي يستمع إلى الناس، ويصدر أحكامه ارتجالاً من دون بحثٍ أو تدقيق، يستمع إلى كلام الآخرين، ويتصرف من دون دراية، هكذا يتهمه أعداؤه، الله سبحانه وتعالى علمه أن يجيبهم عن هذا التقذير الجارح إجابةً لطيفةً هادئة: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ - يا محمد - أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ، أنا أستمع لقضاياكم ولمشكلاتكم، ولا أتخذ قراراً من دون تحقيق أو بحثٍ أو تبصر، والله سبحانه وتعالى يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَبَيِّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)
[سورة الحجرات] (6)

فربنا عز وجل أدبه وقال حتى التقد الجارح، حتى التقد القاسي، إذا تقد به النبي عليه الصلاة والسلام علمه الله سبحانه وتعالى أن يجيب عليه إجابة هادئة لطيفة لا تجريح فيها، (وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٍّ - يا محمد - أذُنٌ خَيْرٌ) لكم أنا، أنا أستمع لخيركم، أستمع لانتفاعكم، أستمع لأخذ بيدكم، ولا أبادر إلى عمل من دون تدقيق أو بحث أو دراسة أو متابعة.

(37)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . (آل عمران/ 59) .

التفسير الميسر : فبرحمة من الله لك ولأصحابك - أيها النبي - من الله عليك فكنت رفيقاً بهم، ولو كنت سيئ الخلق قاسي القلب، لانصرف أصحابك من حولك، فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة "أحد"، وأسأل الله - أيها النبي - أن يغفر لهم، وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عزمت على أمر من الأمور - بعد الاستشارة - فأمضه معتمداً على الله وحده، إن الله يحب المتوكلين عليه .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

فبسبب رحمة من الله عظيمة كان خُلقك - أيها النبي - سهلاً مع أصحابك، ولو كنت شديداً في قولك وفعلك، قاسي القلب لتفرقوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واطلب لهم المغفرة، واطلب

رأيهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوفتهم ويؤيدهم.

تفسير الجلالين :

«فبما رحمة من الله لئنتَ» يا محمد «لهم» أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك «ولو كنت فظاً» سيء الخلق «غليظ القلب» جافياً فأغلظت لهم «لا تفضوا» تفرقوا «من حولك فاعف» تجاوز «عنهم» ما أتوه «واستغفر لهم» ذنوبهم حتى أغفر لهم «وشاورهم» استخرج آراءهم «في الأمر» أي شأنك من الحرب وغيره تطيبها لقلوبهم ولستن بك وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم. (فإذا عزمتم) على إمضاء ما تريد بعد المشاورة «فتوكل على الله» ثق به لا بالمشاورة «إن الله يحب المتوكلين» عليه.

تفسير السعدي :

أي: برحمة الله لك ولأصحابك، من الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترقت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامثلوا أمرك.

﴿ ولو كنت فظاً ﴾ - أي: سيئ الخلق ﴿ غليظ القلب ﴾ - أي: قاسيه، ﴿ لانفضوا من حولك ﴾ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من

أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ - أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحاً لحواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس -إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبدلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول. ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له المطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً-: ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فكيف بغيره؟! ثم قال تعالى: ﴿ فإذا

عزمت ﴿ - أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة ﴾ فتوكل على الله ﴿ - أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئاً من حولك وقوتك، ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾ عليه، اللاجئين إليه .

تفسير البغوي :

قوله تعالى : (فيما رحمة من الله) أي : فبرحمة من الله و " ما " (صلة كقوله (فيما تقضهم) (لنت لهم) أي : سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ، (ولو كنت فظا) يعني : جافيا سيئ الخلق قليل الاحتمال ، (غليظ القلب) قال الكلبي : فظا في القول غليظ القلب في الفعل ، (لانفضوا من حولك) أي : لنفروا وتفرقوا عنك ، يقال : فضضتهم فانفضوا أي فرقتهم فتفرقوا (فاعف عنهم) تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد ، (واستغفر لهم) حتى أشفعك فيهم ، (وشاورهم في الأمر) أي : استخرج آراءهم واعلم ما عندهم من قول العرب : شرت الدابة وشورتها إذا استخرجت جريها ، وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من موضعه واستخرجته .

واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا وكرهوا .

فقال بعضهم : هو خاص في المعنى أي : وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد ، قال الكلبي : يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو .

وقال مقاتل وقتادة : أمر الله تعالى بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم ، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب

لأضغانهم ، فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر شق ذلك عليهم .

وقال الحسن : قد علم الله عز وجل أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده .

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي : أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم بن علي

الصالحاني ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا أحمد

بن ماهان ، أخبرني أبي ، أخبرنا طلحة بن زيد ، عن عقيل عن الزهري عن عروة ، عن عائشة رضي

الله عنها قالت : " ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

قوله تعالى : (فإذا عزمنا فتوكل على الله) لا على مشاورتهم أي : قم بأمر الله وثق به واستعنه ،

(إن الله يحب المتوكلين) .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

فالخطاب في قوله-تبارك وتعالى- فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ . . أَلْحَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبى عنه السياق من استحقاق الفارين والمخالفين للملامة

والتعنيف منه .

صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجملة البشرية .

والباء هنا للسببية، و «ما» مزيدة للتأكيد ولتقوية معنى الرحمة «لنت» من لأن يلين لنا وليانا بمعنى

الرفق وسعة الخلق و «الفظ» الغليظ الجافي في المعاشرة قولاً وفعلاً.

وأصل الفظ- كما يقول الراغب- ماء الكرش وهو مكروه شربه بمقتضى الطبع ولا يشرب إلا في أشد

حالات الضرورة.

وغلظ القلب عبارة عن قسوته وقلة تأثيره من الغلظة ضد الرقة، وتنشأ عن هذه الغلظة الفظاظة

والجفاء .

والمعنى: فبسبب رحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت لنا مع أتباعك في كل أحوالك، ولكن بدون إفراط أو تفريط، فقد وقفت من أخطائهم التي وقعوا فيها في غزوة أحد موقف القائد الحكيم الملمهم فلم تعنفهم على ما وقع منهم وأنت تراهم قد استغرقهم الحزن والهم . . بل كنت لنا رفيقا معهم .

وهكذا القائد الحكيم لا يكثر من لوم جنده على أخطائهم الماضية، لأن كثرة اللوم والتعنيف قد تولد اليأس، وإنما يلتفت إلى الماضي ليأخذ منه العبرة والعظة لحاضره ومستقبله ويغرس في نفوس الذين معه ما يحفز هممتهم ويشحذ عزيمتهم ويجعلهم ينظرون إلى حاضره ومستقبلهم بثقة وإطمئنان وبصيرة مستتيرة .

وإن الشدة في غير موضعها تفرق ولا تجمع وتضعف ولا تقوى، ولذا قال-تبارك وتعالى- وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ .

أى ولو كنت- يا محمد- كره الخلق، خشن الجانب، جافيا في أقوالك وأفعالك، قاسى القلب لا تتأثر لما

يصيب أصحابك . . ولو كنت كذلك لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ أى لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك .

فالجملة الكريمة تنفى عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ فِظًا أَوْ غَلِيظًا، لِأَنَّ «لَوْ» تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْجَوَابِ لِنَفْيِ الشَّرْطِ.

أَيُّ أَنْكَ لَسْتَ - يَا مُحَمَّدَ - فِظًا وَلَا غَلِيظًا الْقَلْبَ وَلِذَلِكَ التَّفَّ أَصْحَابِكَ مِنْ حَوْلِكَ يَفْتَدُونَكَ بِأَرْوَاحِهِمْ وَبِكُلِّ مَرْتَحِصٍ وَغَالٍ، وَيُحِبُّونَكَ حُبًّا يَفُوقُ حُبَّهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَبَائِهِمْ وَأَحِبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِمْ.

وَقَالَ - سَبْحَانَهُ - وَلَوْ كُنْتُ فِظًا غَلِيظًا لَيَنْفِي عَنِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَسْوَةَ وَالغَلِظَةَ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ: إِذِ الْقَسْوَةُ الظَّاهِرِيَّةُ تَبْدُو أَكْثَرَ مَا تَبْدُو فِي الْغَلِظَةِ الَّتِي هِيَ خَشُونَةُ الْجَانِبِ، وَحِفَاءُ الطَّبَعِ، وَالْقَسْوَةُ الْبَاطِنِيَّةُ تَكُونُ بِسَبَبِ يَبُوسَةِ الْقَلْبِ، وَغَلِظَةُ النَّفْسِ وَعَدَمُ تَأْثَرِهَا بِمَا يَصِيبُ غَيْرَهَا.

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، وَيَكْفِي أَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَدْ قَالَ فِي وَصْفِهِ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: إِنِّي أَرَى صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ. إِنَّهُ لَيْسَ بِفِظٍ، وَلَا غَلِيظًا وَلَا صَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدَارَاةُ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْمَدَارَاةِ حَقٌّ مُضِيعٌ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي بِمَدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ».

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الرَّفْقِ وَالْبِشَاشَةِ فَقَالَ: فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ.

فالفاء هنا تفيد ترتيب ما بعدها على ما قبلها، أى أنه يترتب على ابن جانبك مع أصحابك، ورحمتك بهم، أن تغفو عنهم فيما وقعوا فيه من أخطاء تتعلق بشخصك أو ما وقعوا فيه من مخالفات أدت إلى هزيمتهم في أحد، فقد كانت زلة منهم وقد أدبهم الله عليها .

وأن تلتمس من الله تعالى، أن يغفر لهم ما فرط منهم، إذ في إظهارك ذلك لهم تأكيد لعفوك عنهم .

وتشجيع لهم على الطاعة والاستجابة لأمرك .

وأن تشاورهم في الأمر أى في أمر الحرب ونحوه مما تجرى فيه المشاورة في العادة من الأمور التي تهم الأمة .

وقد جاءت هذه الأوامر للنبي صلى الله عليه وسلم، على أحسن نسق، وأحكم ترتيب، لأن الله تعالى

أمره أولاً بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه، فإذا ما انتهوا إلى هذا المقام، أمره بأن يستغفر لهم ما

بينهم وبين الله تعالى، لتزاح عنهم التبعات، فإذا صاروا إلى هذه الدرجة، أمره بأن يشاورهم في الأمر

لأنهم قد أصبحوا أهلاً لهذه المشاورة .

ولقد تكلم العلماء كلاماً طويلاً عن حكم المشورة وعن معناها، وعن فوائدها، فقد قال القرطبي ما

ملخصه: والاستشارة مأخوذة من قول العرب: شرت الدابة وشورتها، إذا علمت خبرها وحالها يجرى

أو غيره . . وقد يكون من قولهم: شرت العسل واشترته، إذا أخذته من موضعه .

ثم قال: واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه أصحابه

فقال طائفة: ذلك في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، تطيبياً لنفوسهم ورفعاً لأقذارهم وإن كان

الله-تبارك وتعالى- قد أغناه عن رأيهم بوحيه .

وقال آخرون: ذلك فيما لم يأت فيه وحى .

فقد قال الحسن: ما أمر الله-تبارك وتعالى- نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل وليقتدى به أمته من بعده.

ثم قال: والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، والذي لا يستشير أهل العلم والدين - والخبرة- فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه .

وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في كثير من الأمور، وقال «المستشار مؤتمن» وقال «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار» وقال: «ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأى» .

وقال البخاري: «وكانت الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها» .

وقال الفخر الرازي ما ملخصه: «اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يجز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة، لأنه إذا جاء النص بطل الرأى والقياس، فأما ما لا نص فيه فهل تجوز المشاورة فيه في جميع الأشياء أولاً؟ قال بعضهم: هذا الأمر مخصوص بالمشاورة في الحروب، لأن الألف واللام في لفظ «الأمر» تعود على المعهود السابق وهو ما يتعلق بالحروب- إذ الكلام في غزوة أحد- .

وقال آخرون: اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحى فتبقى حجته في الباقي وظاهر الأمر في قوله
وَشَاوِرْهُمْ لَلْجُوبِ وَحَمَلَهُ الشَّافِعِيُّ عَلَى النَّدْبِ . . .

والحق أن الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام، وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في غزوات بدر وأحد والأحزاب وفي غير ذلك من الأمور التي تتعلق بمصالح المسلمين، وسار على هذا المنهج السلف الصالح من هذه الأمة.

ولقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يكتب لعماله يأمرهم بالتشاور ويتمثل لهم في كتبه بقول الشاعر: خليلي ليس الرأي في صدر واحد . . .

أشيرا على بالذي تريا نو قد تمدح الحكماء والشعراء بفضيلة الشورى وما يترتب عليها من خير ومنفعة ومن ذلك قول بشار بن برد: إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن . . .

برأى نصيح أو نصيحة حازمولا تحسب الشورى عليك غضاضة . . .

فإن الخوافي قوة للقوادموالحكام العقلاء المنصفون المتحرون للحق والعدل هم الذين يقيمون حكمهم على مبدأ الشورى ولا يعادى الشورى من الحكام إلا أحد اثنين: إما رجل قد أصيب بداء الغرور والتعالي، فهو يتوهم أن قوله هو الحق الذي لا يخالطه باطل، وأنه ليس محتاجا إلى مشورة غيره وإما رجل ظالم مستبد مجانب للحق، فهو ينفذ ما يريد به دون مشورة أحد لأنه يخشى إذا استشار غيره أن يطلع الناس على ظلمه وجوره وفجوره.

هذا ومتى تمت المشورة على أحسن الوجوه وأصلحها واستقرت الأمور على وجه معين، فعلى العاقل أن يمضى على ما استقر عليه الرأي بدون تردد أو تخاذل، ولذا قال - سبحانه - فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ .

أى فإذا عقدت نيتك على إتمام الأمر وإمضائه بعد المشاورة السليمة وبعد أن تبين لك وجه السداد فيما يجب أن تسلكه فبادر بتنفيذ ما عقدت العزم على تنفيذه، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أى اعتمد عليه في الوصول إلى غايتك، فإن الله-تبارك وتعالى- يجب المعتمدين عليه، المفوضين أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب التي شرعها لهم لكي يصلوا إلى مطلوبهم .

فالجملة الكريمة تأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتأمر كل من يتأتى له الخطاب بأن يبذل أقصى جهده لمعرفة ما هو صواب بأن يستشير أهل الخبرة كل في مجال تخصصه فإذا ما استقر رأيه على وجهة نظر معينة- بعد أن درسها دراسة فاحصة واستشار العقلاء الأمناء فيها- فعليه أن يبادر إلى تنفيذها بدون تردد فإن التردد يضيع الأوقات والتأخر كثيرا ما يحول الحسنات إلى سيئات وعليه مع حسن الاستعداد أن يكون معتمدا على الله، مظهرا العجز أمام قدرته- سبحانه - لأنه هو الخالق للأسباب والمسببات وهو القادر على تغييرها .

وكم من أناس اعتمدوا على قوتهم وحدها، أو على مباشرتهم للأسباب وحدها دون أن يجعلوا للاعتماد على الله مكانا في نفوسهم، فكانت تبيحتهم الفشل والخذلان وكانت الهزيمة المنكرة المرة التي اكتسبوها بسبب غرورهم وفجورهم وفسوقهم عن أمر الله .

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما الآن به قلبه على أمته ، المتبعين لأمره ، التاركين لجزره ، وأطاب لهم لفظه : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ أي: أي شيء جعلك لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم .

قال قتادة : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ﴾ يقول : فبرحمة من الله لنت لهم . و " ما " صلة ،
والعرب تصلها بالمعرفة كقوله : ﴿ فيما نقضهم ميثاقهم ﴾ [النساء : 155 ، المائدة : 13] وبالنكرة
كقوله : ﴿ عما قليل ﴾ [المؤمنون : 40] وهكذا هاهنا قال : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ﴾
أي: برحمة من الله .

وقال الحسن البصري : هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله به .

وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [التوبة : 128] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حيوة ، حدثنا بقرية ، حدثنا محمد بن زياد ، حدثني أبو راشد الحبراني قال :
أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي وقال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أبا أمامة ،
إن من المؤمنين من يلين لي قلبه " . انفرد به أحمد .

ثم قال تعالى : ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ الفظ : الغليظ ، [و] المراد به
هاهنا غليظ الكلام ، لقوله بعد ذلك : ﴿ غليظ القلب ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب
عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم ، كما قال عبد
الله بن عمرو : إنه رأى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة : أنه ليس بفظ ، ولا
غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

وروى أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي ، أنبأنا بشر بن عبيد الدارمي ، حدثنا عمار بن عبد الرحمن ، عن المسعودي ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله أمرني بمدارة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض " حديث غريب .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث ، تطيبيا لقلوبهم ، ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم [كما] شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا : يا رسول الله ، لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب ، فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن [شمالك] مقاتلون .

وشاورهم - أيضا - أين يكون المنزل ؟ حتى أشار المنذر بن عمرو المعنق ليموت ، بالتقدم إلى أمام القوم ، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم .

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامد ، فأبى عليه ذلك السعدان : سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فترك ذلك .

وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين ، فقال له الصديق : إنا لم نجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا معتمرين ، فأجابه إلى ما قال .

وقال عليه السلام في قصة الإفك : " أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أبناوا أهلي ورموهم ، وإيم الله ما علمت على أهلي من سوء ، وأبنوهم بمن - والله - ما علمت عليه إلا خيرا " . واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة ، رضي الله عنها .

فكان [صلى الله عليه وسلم] يشاورهم في الحروب ونحوها . وقد اختلف الفقهاء : هل كان ذلك واجبا عليه أو من باب الندب تطيبيا لقلوبهم ؟ على قولين .

وقد قال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر ، حدثنا سعيد بن [أبي] مريم ، أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ قال : أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وهكذا رواه الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكانا حواريا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وأبوي المسلمين .

وقد روى الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر : " لو اجتمعنا في مشورة ما خالفتكما " .

وروى ابن مردويه ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم ؟ قال " مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم " .

وقد قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن أبي بكير عن شيبان عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المستشار مؤتمن " .

ورواه أبو داود والترمذي ، وحسنه [و] النسائي ، من حديث عبد الملك بن عمير بأبسط منه .

ثم قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أسود بن عامر ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المستشار مؤتمن " . تفرد به .

[وقال أيضا] وحدثنا أبو بكر ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعلي بن هاشم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه . تفرد به أيضا .

وقوله : ﴿ فإذا عزم فتوكل على الله ﴾ أي: إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾

تفسير القرطبي :

قوله تعالى : فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين " ما " صلة فيها معنى التأكيد ، أي فبرحمة / كقوله : عما قليل فيما نقضهم ميثاقهم جند ما هنالك مهزوم .

وليست بزائدة على الإطلاق ، وإنما أطلق عليها سيبويه معنى الزيادة من حيث زال عملها .

ابن كيسان : " ما " نكرة في موضع جر بالباء ورحمة بدل منها .

ومعنى الآية : أنه عليه السلام لما رفق بمن تولى يوم أحد ولم يعنفهم بين الرب تعالى أنه إنما فعل ذلك بتوفيق

الله تعالى إياه . وقيل : " ما " استقهام .

والمعنى : فبأي رحمة من الله لنت لهم ؛ فهو تعجيب .

وفيه بعد ؛ لأنه لو كان كذلك لكان " فبم " بغير ألف . لنت من لان يلين لنا وليانا بالفتح . والفظ الغليظ

الجباني .

فظظت تفظ فظاظلة وفضاظا فانت فظ . والأشئ فظة والجمع أفضاظ .

وفي صفة النبي عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ؛ وأنشد المفضل في

المذكر : وليس بفظ في الأداني والأولى يؤمون جدواه ولكنه سهل وفظ على أعدائه يحذرونهفسطوته

حرف ونائله جزلوقال آخر في المؤنث : أموت من الضر في منزلي وغيري يموت من الكظهودنيا تجود على

الجاهلي ن وهي على ذي النهى فظهوغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه ، وقلة الانفعال في الرغائب ،

وقلة الإشفاق والرحمة ، ومن ذلك قول الشاعر : يبكي علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكبادا من

الإبلومعنى لانفضوا لتفرقوا ؛ فضضتهم فانفضوا ، أي فرقهم فتفرقوا ؛ ومن ذلك قول أبي النجم يصف

إبلا : مستعجلات القيص غير جرد ينفض عنهن الحصى بالصمد وأصل الفض الكسر ؛ ومنه قولهم : لا

يفضض الله فاك .

والمعنى : يا محمد لولا رفقت لمنعم الاحتشام والهيبه من القرب منك بعد ما كان من توليهم .

قوله تعالى : فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فيه ثمان مسائل : الأولى : قال العلماء : أمر

الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بهذه الأوامر التي هي بتدرج بليغ ؛ وذلك أنه أمره بأن يعفو عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعه ؛ فلما صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر فيما لله عليهم من تبعه أيضا ، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلا للاستشارة في الأمور .

قال أهل اللغة : الاستشارة مأخوذة من قول العرب : شرت الدابة وشورتها إذا علمت خبرها بجري أو غيره .

وقد مدح الله المؤمنين بقوله : وأمرهم شورى بينهم .

قال أعرابي : ما غبنت قط حتى يغبن قومي ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم

وقال ابن خويز منداد : واجب على الولاة مشاوره العلماء فيما لا يعلمون ، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها .

وكان يقال : ما ندم من استشار .

وكان يقال : من أعجب برأيه ضل .

الثالثة : قوله تعالى : وشاورهم في الأمر يدل على جواز الاجتهاد في الأمور والأخذ بالظنون مع إمكان

الوحي ؛ فإن الله أذن لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور فيه أصحابه ؛ فقالت طائفة : ذلك في مكائد الحروب ، وعند لقاء العدو ، وتطيينا لنفوسهم ، ورفعنا لأقذارهم ، وتألفا على دينهم ، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه .

الخامسة : وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلا مجربا وادا في المستشار .

قال :شاور صديقك في الخفي المشكوك قد تقدم .

وقال آخر :وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصهفي أبيات .

والشورى بركة . وقال عليه السلام : ما ندم من استشار ولا خاب من استخار .

وروى سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي .

وقال بعضهم : شاور من جرب الأمور ؛ فإنه يعطيك من رأيه ما وقع عليه غالبا وأنت تأخذه مجانا .

وقد جعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى .

قال البخاري : وكانت الأئمة بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها .

وقال سفيان الثوري : ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة ، ومن يخشى الله تعالى .

وقال الحسن : والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم لأفضل ما يحضر بهم .

وروي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم .

السادسة : والشورى مبنية على اختلاف الآراء ، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ، وينظر أقربها قولاً

إلى الكتاب والسنة إن أمكنه ، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه ، إذ

هذه غاية الاجتهاد المطلوب ؛ وبهذا أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية .

السابعة : قوله تعالى : فإذا عزم فتوكل على الله قال قتادة : أمر الله تعالى نبيه عليه السلام إذا عزم

على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله ، لا على مشاورتهم .

والعزم هو الأمر المروى المنقح ، وليس ركوب الرأي دون روية عزمًا ، إلا على مقطع المشيحين من فتاك

العرب ؛ كما قال : إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا ولم يستشر في رأيه غير

نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً وقال النقاش : العزم والحزم واحد ، والحاء مبدلة من العين .

قال ابن عطية : وهذا خطأ ؛ فالحزم جودة النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه .

والعزم قصد الإمضاء ؛ والله تعالى يقول : وشاورهم في الأمر فإذا عزم .

فالمشاورة وما كان في معناها هو الحزم . والعرب تقول : قد أحزم لو أعزم . وقرأ جعفر الصادق وجابر

بن زيد : " فإذا عزمتم " بضم التاء .

نسب العزم إلى نفسه سبحانه إذ هو بهدائه وتوفيقه ؛ كما قال : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .

ومعنى الكلام أي عزمتم لك ووفقتك وأرشدتك فتوكل على الله .

والباقون بفتح التاء . قال المهلب : وامثل هذا النبي - صلى الله عليه وسلم - من أمر ربه فقال : لا

ينبغي لنبي يلبس لأمة أن يضعها حتى يحكم الله .

أي ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف ؛ لأنه نقض للتوكل الذي شرطه الله عز وجل مع العزيمة .

فلبسه لأمة - صلى الله عليه وسلم - حين أشار عليه بالخروج يوم أحد من أكرمه الله بالشهادة فيه ،

وهم صلحاء المؤمنين ممن كان فاتته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى عدونا ؛ دال على العزيمة .

وكان - صلى الله عليه وسلم - أشار بالعود ، وكذلك عبد الله بن أبي أشار بذلك وقال : أقم يا

رسول الله ولا تخرج إليهم بالناس ، فإن هم أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن جاءونا إلى المدينة قاتلناهم في

الأفنية وأفواه السكك ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الآطام ، فوالله ما حاربنا قط عدو في

هذه المدينة إلا غلبناه ، ولا خرجنا منها إلى عدو إلا غلبنا .

وأبى هذا الرأي من ذكرنا ، وشجعوا الناس ودعوا إلى الحرب .

فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة ، ودخل إثر صلاته بيته ولبس سلاحه ، فندم

أولئك القوم وقالوا : أكرهنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فلما خرج عليهم في سلاحه قالوا :

يا رسول الله ، أقم إن شئت فإننا لا نريد أن نكرهك ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا ينبغي

لنبي إذا لبس سلاحه أن يضعها حتى يقاتل .

الثامنة : قوله تعالى : فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين التوكل : الاعتماد على الله مع إظهار العجز ،

والاسم التكلان .

يقال منه : اتكلت عليه في أمري ، وأصله : " اوتكلت " قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، ثم أبدلت منها التاء وأدغمت في تاء الافعال .

ويقال : وكلته بأمرى توكيلا ، والاسم الوكالة بكسر الواو وقتحها .

واختلف العلماء في التوكل ؛ فقالت طائفة من المتصوفة : لا يستحقه إلا من لم يحاط قلبه خوف غير الله من سبع أو غيره ، وحتى يترك السعي في طلب الرزق لضمان الله تعالى .

وقال عامة الفقهاء : ما تقدم ذكره عند قوله تعالى : وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

وهو الصحيح كما بيناه . وقد خاف موسى وهارون بإخبار الله تعالى عنهما في قوله لا تخافا .

وقال : فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف وأخبر عن إبراهيم بقوله : فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف .

فإذا كان الخليل وموسى الكليم قد خافا - وحسبك بهما - فغيرهما أولى .

(38)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . (الاحزاب/21)

التفسير الميسر : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

لقد كان لكم فيما قاله رسول الله وقام به وفعله، قدوة حسنة، فقد حضر بنفسه الكريمة، وباشر الحرب، فكيف تبخلون بعد ذلك بأنفسكم عن نفسه؟ ولا يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من كان يرجو ثواب الله ورحمته، ويرجو اليوم الآخر، ويعمل له، وذكر الله ذكراً كثيراً، وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر ولا يذكر الله كثيراً فإنه لا يتأسى برسوله صلى الله عليه وسلم.

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 21

«لقد كان لكم في رسول الله أسوة» بكسر الهمزة وضمها «حسنة» اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه «لمن» بدل من لكم «كان يرجو الله» يخافه «واليوم الآخر وذكر الله كثيراً» بخلاف من ليس كذلك.

تفسير السعدي : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ حيث حضر الهيحاء بنفسه الكريمة، وياشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنفسه فيه؟ "فَتَأْسُوا بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ. وَاسْتَدِلُّ الْأَصُولِيُّونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، عَلَى الْاِحْتِجَاجِ بِأَفْعَالِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ الْأَصْلَ، أَنَّ أُمَّةَ أُسُوتِهِ فِي الْأَحْكَامِ، إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَى الْاِحْتِصَاصِ بِهِ. فَالْأُسُوةُ نَوْعَانِ: أُسُوةٌ حَسَنَةٌ، وَأُسُوةٌ سَيِّئَةٌ. فَالْأُسُوةُ الْحَسَنَةُ، فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ الْمَتَّاسِيَّ بِهِ، سَالِكِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى كِرَامَةِ اللَّهِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. وَأَمَّا الْأُسُوةُ بَغَيْرِهِ، إِذَا خَالَفَهُ، فَهِيَ الْأُسُوةُ السَّيِّئَةُ، كَقَوْلِ الْكُفَّارِ حِينَ دَعَتَهُمُ الرَّسُلَ لِلْمَتَّاسِيِّ [بِهِمْ] ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ﴾ وَهَذِهِ الْأُسُوةُ الْحَسَنَةُ، إِنَّمَا يَسْلُكُهَا وَيُفَوِّقُ لَهَا، مَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ، وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، فَإِنَّ مَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَخَوْفِ اللَّهِ، وَرَجَاءِ ثَوَابِهِ، وَخَوْفِ عِقَابِهِ، يَحْتَهُ عَلَى الْمَتَّاسِيِّ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تفسير البغوي : مضمون الآية 21 من سورة الأحزاب

قوله - عز وجل - : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) قرأ عاصم : " أسوة " حيث كان ، بضم الهمزة ، والباقون بكسرها ، وهم لغتان ، أي : قدوة صالحة ، وهي فعلة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء ، اسم وضع موضع المصدر ، أي : به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه ، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه ، وقتل عمه وأوذي بضروب من الأذى ، فواساكم مع ذلك بنفسه ، فافعلوا أتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان

يرجو الله (بدل من قوله : " لكم " وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين ، يعني : أن الأسوة برسول الله -

صلى الله عليه وسلم - لمن كان يرجو الله ، قال ابن عباس : يرجو ثواب الله .

وقال مقاتل : يخشى الله (واليوم الآخر) أي : يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال (وذكر الله

كثيرا) في جميع المواطن على السراء والضراء .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

قال القرطبي : قوله -تبارك وتعالى-: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَي: كان لكم قدوة في النبي

صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله، في خروجه إلى الخندق.

والأسوة: القدوة.

وقرأ عاصم أُسْوَةٌ بضم الهمزة.

والباقون بكسرها .

والجمع أسى وإسى - بضم الهمزة وكسرها .

يقال: فلان اتسى بفلان، إذا اقتدى به، وسار على نهجه وطريقته .

وقال الإمام ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله

وأفعاله وأحواله ولهذا أمر الناس بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته

ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه-تبارك وتعالى- . . .

والذي يقرأ السيرة النبوية الشريفة .

يرى أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم كان في هذه الغزوة بصفة خاصة، وفي غيرها بصفة عامة القدوة
الحسنة الطيبة في كل أقواله وأفعاله وأحواله صَلَّى الله عليه وسلم .

لقد شارك أصحابه في حفر الخندق، وفي الضرب بالفأس .

وفي حمل التراب بل وشاركهم في أراجيزهم وأناشيدهم، وهم يقومون بهذا العمل الشاق المتعب .

وشاركهم في تحمل آلام الجوع، وآلام السهر . . بل كان صَلَّى الله عليه وسلم هو القائد الحازم الرحيم،
الذي يلجأ إليه أصحابه عند ما يعجزون عن إزالة عقبة صادقتهم خلال حفرهم للخندق .

قال ابن إسحاق ما ملخصه: وعمل المسلمون فيه- أي في الخندق- حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل
من المسلمين يقال له «ججيل» سماه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عمرا، فقالوا: سماه من بعد ججيل
عمرا . . .

وكان للبأس يوما ظهرا فإذا مروا بعمرو، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم «عمرا» وإذا مروا بظهر
قال: «ظهرا» .

ثم قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغني فيها تحقيق نبوته صَلَّى الله عليه وسلم فكان
فيما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث، أنهم اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية- أي صخرة
عظيمة-، فشكوا ذلك إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فقتل فيه، ثم دعا بما

شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبيا لانهاالت- أى: لتفتت- حتى عادت كالكتيب- أى كالرمل المتجمع- لا ترد فأسا ولا مسحاة .

وهذه الآية الكريمة وإن كان نزولها في غزوة الأحزاب، إلا أن المقصود بها وجوب الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله، كما قال-تبارك وتعالى-: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا .

والجار والجرور في قوله- سبحانه - : لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ مَتعلق بمحذوف صفة لقوله حَسَنَةً، أو بهذا اللفظ نفسه وهو حَسَنَةٌ .

والمراد بمن كان يرجو الله واليوم الآخر: المؤمنون الصادقون الذين وفوا بعهودهم .

أى: لقد كان لكم- أيها الناس- قدوة حسنة في نبيكم صلى الله عليه وسلم، وهذه القدوة الحسنة كائنة وثابتة للمؤمنين حق الإيمان .

الذين يرجون ثواب الله-تبارك وتعالى-، ويؤمنون رحمته يوم القيامة، إذ هم المنتفعون بالتأسى برسولهم صلى الله عليه وسلم وقوله: وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا معطوف على كان، أى: هذه الأسوة الحسنة بالرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ولمن ذكر الله-تبارك وتعالى- ذكرا كثيرا، لأن الملازمة لذكر الله-تبارك وتعالى- توصل إلى طاعته والخوف منه- سبحانه - .

وجمع- سبحانه - بين الرجاء والإكثار من ذكره، لأن التأسى التام بالرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحقق إلا بهما .

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة: تفسير ابن كثير

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ؛
ولهذا أمر الناس بالتأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته
ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ، عز وجل ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ؛ ولهذا قال
تعالى للذين تفلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ؟ ولهذا قال : ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وذكر الله كثيرا ﴾ .

تفسير القرطبي : معنى الآية 21 من سورة الأحزاب

قوله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .
فيه مسألتان : الأولى : قوله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة هذا عتاب للمتخلفين عن
القتال ؛ أي كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه
إلى الخندق .

والأسوة : القدوة .

وقرأ عاصم (أسوة) بضم الهمزة .

الباقون بالكسر ؛ وهما لغتان .

والجمع فيهما واحد عند الفراء .

والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في الواحدة : الفرق بين ذوات الواو وذوات الياء ؛ فيقولون كسوة وكسا ، ولحية ولحى .

الجوهري : والأسوة والإسوة بالضم والكسر لغتان .

والجمع أسى وإسى .

وروى عقبة بن حسان الهجري عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قال : في جوع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكره الخطيب أبو بكر أحمد وقال : تفرد به عقبة بن حسان عن مالك ، ولم أكتبه إلا بهذا الإسناد .

الثانية : قوله تعالى : (أسوة) الأسوة القدوة .

والأسوة ما يتأسى به ؛ أي يتعزى به .

فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله ؛ فلقد شج وجهه ، وكسرت رباعيته ، وقتل عمه حمزة ، وجاع بطنه ، ولم يلف إلا صابرا محتسبا ، وشاكرا راضيا .

وعن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ؛ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين .

خرجه أبو عيسى الترمذي وقال فيه : حديث غريب .

وقال صلى الله عليه وسلم لما شج : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وقد تقدم .

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال سعيد بن جبير : المعنى لمن كان يرجو لقاء الله بإيمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال .

وقيل : أي لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر .

ولا يجوز عند الحذاق من النحويين أن يكتب يرجو إلا بغير ألف إذا كان لواحد ؛ لأن العلة التي في الجمع ليست في الواحد .

وذكر الله كثيرا خوفا من عقابه ، ورجاء لثوابه .

وقيل : إن لمن بدل من قوله : لكم ، ولا يميزه البصريون ؛ لأن الغائب لا يبدل من المخاطب ، وإنما اللام من لمن متعلقة ب (حسنة) ، و (أسوة) اسم كان و (لكم) الخبر .

واختلف فيمن أريد بهذا الخطاب على قولين : أحدهما : المنافقون ؛ عطفنا على ما تقدم من خطابهم .

الثاني : المؤمنون ؛ لقوله : لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

واختلف في هذه الأسوة بالرسول عليه السلام ، هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب ؛ على

قولين : أحدهما : على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب .

الثاني : على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب .

ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين ، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا .

(39)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . (آل عمران/31) .

لتفسير الميسر : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

قل -أيها الرسول-: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني وآمنوا بي ظاهراً وباطناً، يحببكم الله، ويمحُ ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم . وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حق الاتباع، مطيعاً له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الاتباع .

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

قل - أيها الرسول - : إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوا ما جئت به ظاهراً وباطناً، تناولوا محبة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 31

ونزل لما قالوا ما نعبد الأصنام إلا حباً لله ليقربونا إليه «قل» لهم يا محمد «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» بمعنى يثيبكم «ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور» لمن اتبعني ما سلف من قبل ذلك «رحيم» به .

تفسير السعدي : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ﴾ - أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محباً لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص .

تفسير البغوي : مضمون الآية 31 من سورة آل عمران

قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه .

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها (الشنوف) وهم يسجدون لها ، فقال : يا معشر قريش والله لقد خالقتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل " فقالت له قريش إنما نعبدها حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال الله تعالى : قل يا محمد إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام ليقربوكم إليه فاتبعوني يحببكم الله ، فأنا رسوله إليكم وحبته عليكم ، أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته ، وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى : (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

وقيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي لأصحابه إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصراني عيسى ابن مريم

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم أمر الله-تبارك وتعالى- رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرشد الناس إلى الطريق الذي متى سلكوه كانوا حقا محبين لله، وكانوا ممن يحبهم- سبحانه - فقال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .

قال بعضهم: عن الحسن البصري قال: قال قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يا محمد إنا نحب ربنا، فأنزل الله الآية، وروى محمد بن إسحاق عن إسحاق بن محمد بن جعفر بن الزبير قال: «نزلت في

نصارى نجران وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح ونعبده حبا لله وتعظيما له فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم» .

ومحبة العباد لله- كما يقول الزمخشري- مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم.

والمعنى: قل يا محمد للناس على سبيل الإرشاد والتبين: إن كنتم تحبون الله حقا كما تدعون، فاتبعوني، فإن اتباعكم لي يؤدي إلى محبة الله لكم، وإلى غفرانه لذنوبكم، وذلك لأن محبة الله ليست دعوى باللسان، وإنما محبة الله تتحقق باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين.

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة الحمديّة، بأنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع الحمدي، والدين النبوي في كل أقواله وأعماله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

وقوله يُحِبُّكُمْ اللهُ جواب الأمر، وهو قوله فَاتَّبِعُونِي .

وهذا رأى الخليل .

ويرى أكثر المتأخرين من النحاة أن قوله «يحببكم الله» جواب لشرط مقدر دل عليه المقام والتقدير: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني، وإن اتبعتموني يحببكم الله، أى يمنحكم الثواب الجزيل، والأجر العظيم، والرضا الكبير.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد بينت أن أول علامات محبة العبد لربه، هي اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وأن هذا الاتباع يؤدي إلى محبة الله-تبارك وتعالى- لهذا العبد وإلى مغفرة ذنوبه.

ومحبة الله لعبده هي منتهى الأمانى، وغاية الآمال، ولذا قال بعض الحكماء: «ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب» .

ومحبة الله إنما تتأتى بإخلاص العبادة والوقوف عند حدوده والاستجابة لتعاليم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكل من يدعى أنه محب الله وهو معرض عن أوامره ونواهيه فهو كاذب في دعواه كما قال الشاعر الصوفي: تعصى الإله وأنت تظهر حبه . . .

هذا لعمرى في القياس بديعلو كان حبك صادقا لأطعته . . .

إن المحب لمن يحب مطيعتم ختم- سبحانه - الآية بوصفين جليلين فقال: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أى أنه- سبحانه - كثير الغفران والرحمة لمن تقرب إليه بالطاعة، واتبع رسوله فيما جاء به من عنده.

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله: تفسير ابن كثير

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة الحمديّة فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " ولهذا قال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض الحكماء العلماء : ليس الشأن أن تحب ، إنما الشأن أن تحب ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن عبد الأعلى بن أعين ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عروة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ قال أبو زرعة : عبد الأعلى هذا منكر الحديث .

ثم قال : ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ أي: باتباعكم للرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا كله بركة سفارته .

تفسير القرطبي : معنى الآية 31 من سورة آل عمران

قوله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم .

الحب : المحبة ، وكذلك الحب بالكسر .

والحب أيضا الحبيب ؛ مثل الخدن والخدين ؛ يقال أحبه فهو محب ، وحبه يحبه (بالكسر) فهو محبوب

قال الجوهري : وهذا شاذ ؛ لأنه لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر .

قال أبو الفتح : والأصل فيه حب كظرف ، فأسكنت الباء وأدغمت في الثانية .

قال ابن الدهان سعيد : في حب لغتان : حب وأحب ، وأصل " حب " في هذا البناء حب

كظرف ؛ يدل على ذلك قولهم : حبيت ، وأكثر ما ورد فعيل من فعل .

قال أبو الفتح : والدلالة على " أحب " قوله تعالى : يحبهم ويحبونه بضم الياء .

و اتبعوني يحببكم الله و " حب " يرد على فعل لقولهم حبيب .

وعلى فعل كقولهم محبوب : ولم يرد اسم الفاعل من حب المتعدي ، فلا يقال : أنا حاب .

ولم يرد اسم المفعول من أفعال إلا قليلا ؛ كقوله : مني بمنزلة الحب المكرموحكي أبو زيد : حبيته أحبه .

وأشد : فوالله لولا تمره ما حبيته ولا كان أدنى من عويف وهاشمواشد : لعمرك إني وطلاب مصر

لكالمزداد مما حب بعداوحكى الأصمعي فتح حرف المضارعة مع الياء وحدها .

والحب الخابية ، فارسي معرب ، والجمع حباب وحببة ؛ حكاه الجوهري .

والآية نزلت في وفد نجران إذ زعموا أن ما ادعوه في عيسى حب لله عز وجل ؛ قاله محمد بن جعفر بن

الزبير .

وقال الحسن وابن جريج : نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا : نحن الذين نحب ربنا .

وروي أن المسلمين قالوا : يا رسول الله ، والله إنا لنحب ربنا ؛ فأنزل الله عز وجل : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني .

قال ابن عرفة : الحبة عند العرب إرادة الشيء على قصد له .

وقال الأزهري : محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ؛ قال الله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني .

ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران ؛ قال الله تعالى : إن الله لا يحب الكافرين ؛ أي لا يغفر لهم .

وقال سهل بن عبد الله : علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلامة حب النبي - صلى الله عليه وسلم - حب السنة ؛ وعلامة حب السنة حب الله وحب القرآن وحب النبي - صلى الله عليه وسلم - وحب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه ، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد والبلغه .

وروى أبو الدرداء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال : (على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس) خرجة أبو عبد الله الترمذي .

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث وأداء الأمانة والأمانة والأمانة يؤذي جاره .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب

فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء - قال - ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه - قال - فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض .

وسياتي لهذا مزيد بيان في آخر سورة " مريم " إن شاء الله تعالى .

وقرأ أبو رجاء العطاردي (فاتبعوني) بفتح الباء ، (ويغفر لكم) عطف على (يجيبكم) .

وروى محبوب عن أبي عمرو بن العلاء أنه أدغم الراء من (يغفر) في اللام من (لكم) .

قال النحاس : لا يميز الخليل وسيبويه إدغام الراء في اللام ، وأبو عمرو أجل من أن يغلط في مثل هذا ، ولعله كان يخفي الحركة كما يفعل في أشياء كثيرة .

(40)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . (النساء/ 65) .

التفسير الميسر : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكماً فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقياداً تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

المختصر في التفسير : شرح المعنى باختصار

فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون .

ثم أقسم الله بذاته عز وجل أنهم لا يكونون مصدقين حقاً حتى يتحاكموا إلى الرسول في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويسلموا تسليماً تاماً بانقياد ظواهرهم وبواطنهم .

تفسير الجلالين : معنى و تأويل الآية 65

«فلا وربك» لا زائدة «لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر» اختلط «بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً» ضيقاً أو شكاً «مما قضيت» به «ويسلموا» ينقادوا لحكمك «تسليماً» من غير معارضة .

تفسير السعدي : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، - أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا

التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك

حتى يسلموا لحكمه تسليماً باشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان.

فَمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها.

فَمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، وَمَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من

العاصين.

تفسير البغوي : مضمون الآية 65 من سورة النساء

قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنا محمد بن يوسف ، أنا محمد بن

إسماعيل ، أنا أبو اليمان ، أنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير : أن الزبير رضي الله عنه

كان يحدث أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج

من الحرة كانا يسقيان به .

كلاهما ، فقال رسول الله للزبير : اسق يا زبير ، ثم أرسل إلى جارك ، فغضب الأنصاري ، ثم قال : يا

رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للزبير : اسق ثم

احبس الماء حتى يبلغ الجدر ، فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه ، وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد به سعة له وللأنصاري ، فلما

أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم .

قال عروة : قال الزبير : والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية .

وروي أن الأنصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة فلما خرجا مر على المقداد فقال

: لمن كان القضاء ، فقال الأنصاري : قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد ،

فقال : قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونهم في قضاء يقضي بينهم ، وايم الله لقد أذنبنا ذنبا

مرة في حياة موسى عليه السلام فدعا موسى إلى التوبة منه ، فقال : اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا

سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا ، فقال ثابت بن قيس بن شماس : أما والله إن الله ليعلم مني

الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت ، فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة : (فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك) .

وقال مجاهد والشعبي : نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر رضي الله عنه .

قوله تعالى : (فلا) أي : ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك ، ثم استأنف القسم

(وربك لا يؤمنون) ويجوز أن يكون (لا) في قوله (فلا) صلة ، كما في قوله (فلا أقسم) حتى

يحكموك : أي يجعلوك حكما ، (فيما شجر بينهم) أي : اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم

حكمه ، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض ، (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) قال مجاهد :

شكا ، وقال غيره : ضيقا ، (مما قضيت) قال الضحاك : إنما ، أي : يَأْتُونَ بِإِنْكَارِهِمْ مَا قَضَيْتَ ،
(ويسلموا تسليما) أي : ويتقادوا لأمرك اقتيادا .

التفسير الوسيط : ويستفاد من هذه الآية

ثم بين- سبحانه - أن كل من يدعى الإيمان لا يكون إيمانه صادقا إلا إذا تقبل حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن إذعان واقتناع فقال: **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .**

والفاء في قوله فلا للإفصاح عن شرط مقدر .

ولا يرى الزمخشري أنها زائدة لتقوية الكلام وتأکید معنى القسم، فهي كقوله-تبارك وتعالى-: **فَوَرَبِّكَ
لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .**

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

ويرى ابن جرير أنها ليست زائدة، وإنما هي رد على ما تقدم ذكره من تحاكمهم إلى الطاغوت وتركهم
حكم شريعة الإسلام فقد قال: «يعنى- جل ثناؤه - بقوله فلا: أى فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون
بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد .

ثم استأنف القسم- جل ذكره- فقال: وربك يا محمد لا يؤمنون أى: لا يصدقون بي وبك حتى يحكموك
فيما شجر بينهم» .

وقوله فيما شجر بينهم أى فيما اختلف بينهم من الأمور والتبس .

يقال: شجر بينهم الأمر يشجر شجرا وشجورا إذا تنازعا فيه.

وأصله التداخل والاختلاط.

ومنه شجر الكلام، إذا دخل بعضه في بعض واختلط.

ومنه الشجر: لتداخل أغصانه.

وقيل للمنازعة تشاجر، لأن المتنازعين تختلف أقوالهم، وتعارض دعاويهم، ويختلط بعضهم ببعض.

وقوله حَرَجاً أى ضيقا وشكا، وأصل الحرج مجتمع الشيء، ويقال للشجر الملتف الذي لا يكاد يوصل إليه حرج.

ثم أطلق على ضيق الصدر لكرهته لشيء معين.

والمعنى: إذا ثبت ما أخبرناك به يا محمد قبل ذلك، فإن هؤلاء المنافقين وحق ربك «لا يؤمنون» إيماناً

حقاً يقبله الله -تبارك وتعالى- حَتَّى يُحَكِّمَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَى: حتى يجعلوك حاكماً بينهم، ويلجئوا

إليك فيما اختلفوا فيه من أمور، والتبس عليهم منها.

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ أَى ضيقا وشكا في قضائك بينهم وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً

أَى: ويخضعوا لحكمك خضوعاً تاماً لا إباء معه ولا ارتياب.

وفي إضافة الاسم الجليل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله - سبحانه - وَرَبِّكَ تَكْرِيماً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ

عليه وسلم وتشريف له، وتنويه بمكاته.

وقوله لا يُؤْمِنُونَ هو جواب القسم .

وقوله ثُمَّ لا يَجِدُوا معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام .

أى: حتى يحكموك فيما شجر بينهم فتحكم بينهم ثم لا يجدوا .

وقوله تَسْلِيماً تأكيد للفعل .

بمنزلة تكريه .

أى تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة فقد روى الحافظ أبو نعيم والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» .

هذا، وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما رواه البخاري عن الزهري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة- أى في مسيل مياه- .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك .

فقال الأنصارى: يا رسول الله!! أن كان ابن عمك؟ فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: اسق يا زبير .

ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر- والجدر هو ما يدار بالنخل من تراب كالجدار- .

ثم أرسل الماء إلى جارك .

قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم

وهذا السبب الخاص في نزول الآية الكريمة لا يمنع عمومها في وجوب التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى الشريعة التي أتى بها بعد وفاته، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يرى جمهور العلماء .

ويبدو أن ما ذكرناه سابقا من تحاكم بعض المناقنين إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء في البخاري من تخاصم الزبير مع الرجل الأنصاري يبدو أن هذه الحوادث قد حدثت في زمن متقارب فنزلت الآيات لبيان وجوب التحاكم إلى شريعه الله دون سواها .

والتأمل في الآية الكريمة يراها قد بينت أن المؤمن لا يكون إيمانه تاما إلا إذا توفرت فيه صفات

ثلاث: أولها: أن يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى شريعته بعد وفاته .

وثانيها: أن يتقبل حكم الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم برضا وطيب خاطر، وأن يوقن إيقانا تاما بأن ما يقضى به هو الحق والعدل .

قال-تبارك وتعالى-: **ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَثَالِثًا: أَنْ يَدْعُوا لِأَحْكَامِ شَرِيعَةِ اللَّهِ**

إذعاناً تاماً في مظهره وحسه .

قال-تبارك وتعالى- **وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .**

أي يخضعوا خضوعاً تاماً .

فقوله-تبارك وتعالى- **ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ** يمثل الانقياد الباطني والنفسي .

وقوله-تبارك وتعالى- وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا يمثل الانقياد الظاهري والحسى .

وهكذا نرى الآية الكريمة تحذر المؤمنين من التحاكم إلى غير شريعة الله بأسلوب يبعث في النفوس الوجع والخشية، ويحملهم على الإذعان لأحكام الله-تبارك وتعالى- .

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر: تفسير ابن كثير

وقوله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة

المقدسة : أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ؛ ولهذا قال : ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، كما ورد في الحديث : " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا في شريح من الحرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك " فقال الأنصاري : يا رسول الله ، أن كان ابن عمك ؟ قتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك " واستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ، حين أحفظه الأنصاري ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة . قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ الآية .

وهكذا رواه البخاري هاهنا أعني في كتاب : " التفسير " من صحيحه من حديث معمر : وفي كتاب :
" الشرب " من حديث ابن جريج ومعمر أيضا ، وفي كتاب " الصلح " من حديث شعيب بن أبي حمزة
، ثلاثهم عن الزهري عن عروة ، فذكره وصورته صورة الإرسال ، وهو متصل في المعنى .

وقد رواه الإمام أحمد من هذا الوجه فصح بالإرسال فقال : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن
الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير : أن الزبير كان يحدث : أنه كان يخاصم رجلا من الأنصار قد شهد
بدرًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة ، كانا يسقيان بها كلاهما ، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير : " اسق ثم أرسل إلى جارك " فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله ، أن كان ابن عمك
؟ قتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى
الجدد " فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك
أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه
وسلم استوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ، قال عروة : فقال الزبير : والله
ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾

هكذا رواه الإمام أحمد وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير ، فإنه لم يسمع منه ، والذي يقطع به أنه
سمعه من أخيه عبد الله ، فإن أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره فقال :
حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنا الليث ويونس ، عن ابن شهاب ، أن عروة بن
الزبير حدثه أن عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام : أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد

بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراح في الحرة ، كانا
يسقيان به كلاهما النخل ، فقال الأنصاري : سرح الماء يمر . فأبى عليه الزبير ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : " اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك " فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله ، أن كان
ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى
يرجع إلى الجدر " واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله
صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير : ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك
: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما ﴾

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن وهب ، به ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث ، به
وجعله أصحاب الأطراف في مسند عبد الله بن الزبير ، وكذا ساقه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن
الزبير ، والله أعلم . والعجب كل العجب من الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، فإنه روى هذا الحديث
من طريق ابن أخي ابن شهاب ، عن عمه ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير فذكره ، ثم
قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فإني لا أعلم أحدا قام بهذا الإسناد عن الزهري يذكر عبد الله بن
الزبير ، غير ابن أخيه ، وهو عنه ضعيف .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن علي أبو دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا
الفضل بن دكين ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة - رجل من آل أبي سلمة - قال :

خاصم الزبير رجلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للزبير ، فقال الرجل : إنما قضى له لأنه ابن عمته . فنزلت : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو حيوه ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب في قوله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون [حتى يحكموك] ﴾ [الآية] قال : نزلت في الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبي بلتعة . اختصما في ماء ، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقي الأعلى ثم الأسفل . هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الأنصاري .

ذكر سبب آخر غريب جدا :

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود قال : اختصم رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انطلقا إليه " فلما أتيا إليه قال الرجل : يا ابن الخطاب ، قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا ، فقال : ردنا إلى عمر . فردنا إليك . فقال : أكذاك ؟ فقال : نعم فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما . فخرج إليهما مشتملا على سيفه ، فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله ، وأدبر الآخر فارا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي ، ولولا أنني أعجزته لقتلني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن " فأنزل الله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ﴾ الآية ، فهدر دم ذلك الرجل ، وبرئ عمر من قتله ،

فكره الله أن يسن ذلك بعد ، فقال : ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما

فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد ثبوتا ﴾ [النساء : 66] .

وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود به .

وهو أثر غريب ، وهو مرسل ، وابن لهيعة ضعيف والله أعلم .

طريق أخرى : قال الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم في تفسيره : حدثنا

شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عتبة بن ضمرة ، حدثني أبي : أن رجلين اختصما إلى

النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للمحق على المبطل ، فقال المقضي عليه : لا أرضى . فقال

صاحبه : فما تريد ؟ قال : أن نذهب إلى أبي بكر الصديق ، فذهبا إليه ، فقال الذي قضى له : قد

اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي فقال أبو بكر : فأتما على ما قضى به النبي صلى

الله عليه وسلم فأبى صاحبه أن يرضى ، قال : نأتي عمر بن الخطاب ، فأتياه ، فقال المقضي له : قد

اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى لي عليه ، فأبى أن يرضى ، [ثم أتينا أبا بكر ،

فقال : أتما على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يرضى] فسأله عمر ، فقال :

كذلك ، فدخل عمر منزله وخرج والسيوف في يده قد سله ، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى ،

فقتله ، فأنزل الله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [إلى آخر] الآية .

تفسير القرطبي : معنى الآية 65 من سورة النساء

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما فيه خمس مسائل :الأولى : قال مجاهد وغيره : المراد بهذه الآية من تقدم ذكره من أراد التحاكم
إلى الطاعوت وفيهم نزلت .

وقال الطبري : قوله فلا رد على ما تقدم ذكره ؛ تقديره فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل
إليك ، ثم استأنف القسم بقوله : وربك لا يؤمنون .

وقال غيره : إنما قدم لا على القسم اهتماما بالنفي وإظهارا لقوته ، ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهم
بالنفي ، وكان يصح إسقاط لا الثانية ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى ، وكان يصح إسقاط الأولى
ويبقى معنى النفي ويذهب معنى الاهتمام .

و " شجر " معناه اختلف واختلط ؛ ومنه الشجر لاختلاف أغصانه .

ويقال لعصي الهودج : شجار ؛ لتداخل بعضها في بعض .

قال الشاعر :نفسي فداؤك والرماح شواجر والقوم ضنك للقاء قيام وقال طرفة :وهم الحكام أرباب
الهدى وسعاة الناس في الأمر الشجر وقالت طائفة : نزلت في الزبير مع الأنصاري ، وكانت الخصومة في
سقي بستان ؛ فقال عليه السلام للزبير : اسق أرضك ثم أرسل الماء إلى أرض جارك .

فقال الخصم : أراك تحابي ابن عمك ؛ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للزبير : اسق
ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر ونزل : فلا وربك لا يؤمنون .

الحديث ثابت صحيح رواه البخاري عن علي بن عبد الله عن محمد بن جعفر عن معمر ، ورواه مسلم
عن قتيبة كلاهما عن الزهري .

واختلف أهل هذا القول في الرجل الأنصاري ؛ فقال بعضهم : هو رجل من الأنصار من أهل بدر .

وقال مكّي والنحاس : هو حاطب بن أبي بلتعة .

وقال الثعلبي والواحدي والمهدوي : هو حاطب .

وقيل : ثعلبة بن حاطب .

وقيل غيره : والصحيح القول الأول ؛ لأنه غير معين ولا مسمى ؛ وكذا في البخاري ومسلم أنه رجل من
الأنصار .

واختار الطبري أن يكون نزول الآية في المنافق واليهودي .

كما قال مجاهد ؛ ثم تناول بعمومها قصة الزبير .

قال ابن العربي : وهو الصحيح ؛ فكل من اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم فهو كافر ،

لكن الأنصاري زل زلة فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وأقال عشرته لعلمه بصحة يقينه ، وأنها

كانت فلتة وليست لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وكل من لم يرض بحكم الحاكم وطعن فيه وردّه فهي ردة يستتاب .

أما إن طعن في الحاكم نفسه لا في الحكم فله تعزيره وله أن يصفح عنه وسيأتي بيان هذا في آخر سورة " الأعراف " إن شاء الله تعالى .

الثانية : وإذا كان سبب نزول هذه الآية ما ذكرناه من الحديث ففقهها أنه عليه السلام سلك مع الزبير وخصمه مسلك الصلح فقال : اسق يا زبير لقربه من الماء ثم أرسل الماء إلى جارك .

أي تساهل في حقه ولا تستوفه وعجل في إرسال الماء إلى جارك .

فحضه على المسامحة والتيسير ، فلما سمع الأنصاري هذا لم يرض بذلك وغضب ؛ لأنه كان يريد ألا يمسك الماء أصلا ، وعند ذلك نطق بالكلمة الجائرة المهلكة الفارقة فقال : أن كان ابن عمك ؟ بمد همزة " أن " المفتوحة على جهة الإنكار ؛ أي أتحمك له علي لأجل أنه قرابتك ؟ .

فعند ذلك تلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم غضبا عليه ، وحكم للزبير باستيفاء حقه من غير مسامحة له .

وعليه لا يقال : كيف حكم في حال غضبه وقد قال : (لا يقضي القاضي وهو غضبان) ؟ فإننا نقول : لأنه معصوم من الخطأ في التبليغ والأحكام ، بدليل العقل الدال على صدقه فيما يبلغه عن الله تعالى فليس مثل غيره من الحكام .

وفي هذا الحديث إرشاد الحاكم إلى الإصلاح بين الخصوم وإن ظهر الحق .

ومنعه مالك ، واختلف فيه قول الشافعي .

وهذا الحديث حجة واضحة على الجواز ؛ فإن اصطالحوا وإلا استوفى لذي الحق حقه وثبت الحكم .

الثالثة : واختلف أصحاب مالك في صفة إرسال الماء الأعلى إلى الأسفل ؛ فقال ابن حبيب : يدخل صاحب الأعلى جميع الماء في حائطه ويسقي به ، حتى إذا بلغ الماء من قاعة الحائط إلى الكعبين من القائم فيه أغلق مدخل الماء ، وصرف ما زاد من الماء على مقدار الكعبين إلى من يليه ، فيصنع به مثل ذلك حتى يبلغ السيل إلى أقصى الحوائط .

وهكذا فسره لي مطرف وابن الماجشون .

وقاله ابن وهب .

وقال ابن القاسم : إذا انتهى الماء في الحائط إلى مقدار الكعبين أرسله كله إلى من تحته ولا يجبس منه شيئاً في حائطه .

قال ابن حبيب : وقول مطرف وابن الماجشون أحب إلي وهم أعلم بذلك ؛ لأن المدينة دارهما وبها كانت القضية وفيها جرى العمل .

الرابعة : روى مالك عن عبد الله بن أبي بكر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سيل مهزور ومذنب : يمسك حتى الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل .

قال أبو عمر : " لا أعلم هذا الحديث يتصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه من الوجوه ، وأرفع أسانيده ما ذكره محمد بن إسحاق عن أبي مالك بن ثعلبة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه أهل مهزور ففضى أن الماء إذا بلغ الكعبين لم يجبس الأعلى .

وذكر عبد الرزاق عن أبي حازم القرطبي عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في سيل مهزور أن يجبس على كل حائط حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل .

وغيره من السيول كذلك .

وسئل أبو بكر البزار عن حديث هذا الباب فقال : لست أحفظ فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً يثبت .

قال أبو عمر : في هذا المعنى - وإن لم يكن بهذا اللفظ حديث ثابت مجتمع على صحته .

رواه ابن وهب عن الليث بن سعد ويونس بن يزيد جميعاً عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراح الحرة كانا يسقيان بها كلاهما النخل ؛ فقال الأنصاري : سرح الماء ؛ فأبى عليه ، فاختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم " وذكر الحديث .

قال أبو عمر : وقوله في الحديث : (يرسل) وفي الحديث الآخر إذا بلغ الماء الكعبين لم يجبس الأعلى يشهد لقول ابن القاسم .

ومن جهة النظر أن الأعلى لو لم يرسل إلا ما زاد على الكعبين لا يقطع ذلك الماء في أقل مدة ، ولم ينته حيث ينتهي إذا أرسل الجميع ، وفي إرسال الجميع بعد أخذ الأعلى منه ما بلغ الكعبين أعم فائدة وأكثر نفعاً فيما قد جعل الناس فيه شركاء ؛ فقول ابن القاسم أولى على كل حال .

هذا إذا لم يكن أصله ملكاً للأسفل محتصاً به ، فإن ما استحق بعمل أو بملك صحيح أو استحقاق قديم وثبوت ملك فكل على حقه على حسب ما كان من ذلك بيده وعلى أصل مسأله .

وبالله التوفيق .

الخامسة : قوله تعالى : ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت أي ضيقاً وشكاً ؛ ومنه قيل للشجر الملتف : حرج وحرجة ، وجمعها حراج .

وقال الضحاك : أي إثماً بإنكارهم ما قضيت .

ويسلموا تسليماً أي يتقادوا لأمرك في القضاء .

وقال الزجاج : تسليماً مصدر مؤكد ؛ فإذا قلت : ضربت ضرباً فكأنك قلت لا أشك فيه ؛ وكذلك

ويسلموا تسليماً أي ويسلموا لحكمك تسليماً لا يدخلون على أنفسهم شكاً .

(41)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . (الاحزاب/56) .

تفسير الوسيط: تفسير الآية

ثم أثنى الله-تبارك وتعالى- على نبيه ثناء كبيرا وأمر المؤمنين بأن يعظموه ويوقروه فقال: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

قال القرطبي ما ملخصه: هذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وموته، وذكر منزلته منه . . . والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره . . . والضمير في يُصَلُّونَ لله-تبارك وتعالى- ولملائكته .

وهذا قول من الله شرف به ملائكته . . . أو في الكلام حذف .

والتقدير: إن الله يصلى وملائكته يصلون .

وقال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية الكريمة، أن الله-تبارك وتعالى- أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى: بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر الله أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه .

ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا .

والمعنى: إن الله-تبارك وتعالى- يثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويرضى عنه، وإن الملائكة تثنى عليه صلى الله عليه وسلم وتدعوه بالظفر بأعلى الدرجات وأسمائها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ أَي: عظموه ووقروه وادعوا له بأرفع الدرجات وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا أَي: وقولوا: السلام عليكم أيها النبي .

والسلام: مصدر بمعنى السلامة .

أى: السلامة من النقائص والآفات ملازمة لك .

والتعبير بالجملة الاسمية في صدر الآية، للإشعار بوجوب المداومة والاستمرار على ذلك .

وخص المؤمنين بالتسليم، لأن الآية وردت بعد النهى عن إيذاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإيذاء له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يكون من البشر .

وقد ساق المفسرون- وعلى رأسهم ابن كثير والقرطبي والآلوسى- أحاديث متعددة في فضل الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي كيفية الصلاة عليه . ومنها: ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن عامر بن ربيعة قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من صَلَّى على صلاة لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما صَلَّى على، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر» .

ومنها ما رواه الشيخان وغيرهما عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله، قد علمنا السلام، فكيف الصلاة عليك، قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

والآية الكريمة تدل على وجوب الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون الصادقون هم الذين يكثرون من ذلك .

قال صاحب الكشاف ما ملخصه: فإن قلت: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة، وإن تكرر ذكره.

ومنهم من أوجبها في العمر مرة.. والذي يقتضيه الاحتياط: الصلاة عليه عند كل ذكر.. لما ورد من الأخبار في ذلك.

ومنها: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على».

« تفسير القرطبي: مضمون الآية

قوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

هذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته ، وذكر منزلته منه ، وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء ، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك .

والصلاة من الله رحمته ورضوانه ، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره .

مسألة : واختلف العلماء في الضمير في قوله : يصلون فقالت فرقة : الضمير فيه لله والملائكة ، وهذا قول

من الله تعالى شرف به ملائكته ، فلا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب : من يطع الله

ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس الخطيب أنت ، قل ومن يعص الله ورسوله أخرجه الصحيح .

قالوا : لأنه ليس لأحد أن يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير ، والله أن يفعل في ذلك ما يشاء .
وقالت فرقة : في الكلام حذف ، تقديره إن الله يصلي وملائكته يصلون ، وليس في الآية اجتماع في ضمير ، وذلك جائز للبشر فعله .

ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت لهذا المعنى ، وإنما قاله لأن الخطيب وقف على ومن يعصهما ، وسكت سكتة .

واستدلوا بما رواه أبو داود عن عدي بن حاتم أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
من يطع الله ورسوله ومن يعصهما .

فقال : قم - أو اذهب - بئس الخطيب أنت .

إلا أنه يحتمل أن يكون لما خطأه في وقفه وقال له : بئس الخطيب ، أصلح له بعد ذلك جميع كلامه ، فقال :
قل ومن يعص الله ورسوله كما في كتاب مسلم .

وهو يؤيد القول الأول بأنه لم يقف على (ومن يعصهما) .

وقرأ ابن عباس : (وملائكته) بالرفع على موضع اسم الله قبل دخول (إن) .

والجمهور بالنصب عطفا على المكتوبة .

قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فيه خمسة مسائل :الأولى : قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أمر الله تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون أنبيائه تشريفا له ، ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة ، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه .

الزحشرى : فإن قلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة .

وقد اختلفوا في حال وجوبها ، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره .

وفي الحديث : (من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله) .

ويروى أنه قيل له : يا رسول الله ، رأيت قول الله عز وجل : إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (هذا من العلم المكون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به ، إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذئك الملكين آمين .

ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذئك الملكين آمين) .

ومنهم من قال : تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره ، كما قال في آية السجدة وتشميت العاطس .

وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ، ومنهم من أوجبها في العمر .

وكذلك قال في إظهار الشهادتين .

والذي يقتضيه الاحتياط : الصلاة عند كل ذكر ، لما ورد من الأخبار في ذلك .

الثانية : واختلف الآثار في صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فروى مالك عن أبي مسعود

الأنصاري قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن

سعد : أمرنا الله أن نصلّي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلّي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا اللهم صل

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على

إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم .

ورواه النسائي عن طلحة مثله ، بإسقاط قوله : (في العالمين) وقوله : (والسلام كما قد علمتم) .

وفي الباب عن كعب بن عجرة وأبي حميد الساعدي وأبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب وأبي

هريرة وبريدة الخزاعي وزيد بن خارجة ، ويقال ابن حارثة أخرجها أئمة أهل الحديث في كتبهم .

وصحح الترمذي حديث كعب بن عجرة .

خرجه مسلم في صحيحه مع حديث أبي حميد الساعدي .

قال أبو عمر : روى شعبة والثوري عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : لما

نزل قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : يا رسول الله ، هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة ؟ فقال : قل اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا لفظ حديث الثوري لا حديث شعبة وهو يدخل في التفسير
المسند إليه لقول الله تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما فبين كيف الصلاة عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه ، وهو قوله : السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله وبركاته .

وروى المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود عن عبد الله أنه قال : إذا صليتم
على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرّون لعل ذلك يعرض عليه .
قالوا فعلمنا ، قال : قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ونبيك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة .

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وروينا بالإسناد المتصل في كتاب (الشفا) للقاضي عياض عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال : عدّهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : عدّهن في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت

من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك

حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

قال ابن العربي : من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم ، وأصحها ما رواه مالك فاعتمده .

ورواية غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها لا يقوى ، وإنما على الناس أن ينظروا في أديانهم نظرم في أموالهم ، وهم لا يأخذون في البيع دينارا معيبا ، وإنما يختارون السالم الطيب ، كذلك لا يؤخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم سنده ، لئلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يطلب الفضل إذا به قد أصاب النقص ، بل ربما أصاب الخسران المبين .

الثالثة : في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا .

وقال سهل بن عبد الله : الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات ؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات ليس كذلك .

قال أبو سليمان الداراني : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأل الله حاجته ، ثم يحتتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يرد ما بينهما .

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : الدعاء يجلب دون السماء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رفع الدعاء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من صلى علي وسلم علي في كتاب لم تنزل الملائكة يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب .

الرابعة : واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير : أن ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها .

قال ابن المنذر : يستحب ألا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم .

وهو قول جل أهل العلم .

وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة ، وأن تاركها في التشهد مسيء .

وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة .

وأوجب إسحاق الإعادة مع تعدد تركها دون النسيان .

وقال أبو عمر : قال الشافعي إذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير بعد التشهد وقبل التسليم أعاد الصلاة .

قال : وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه .

وهذا قول حكاة عنه حرملة بن يحيى ، لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعي إلا من رواية حرملة عنه ، وهو من كبار أصحابه الذين كتبوا كتبه .

وقد تقلده أصحاب الشافعي ومالوا إليه وناظروا عليه ، وهو عندهم تحصيل مذهبه .

وزعم الطحاوي أنه لم يقل به أحد من أهل العلم غيره .

وقال الخطابي وهو من أصحاب الشافعي : وليست بواجبة في الصلاة ، وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ، ولا أعلم له فيها قدوة .

والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه ، وقد شنع عليه في هذه المسألة جدا .

وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عنه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عمر : كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب .

وعلمه أيضا على المنبر عمر ، وليس فيه ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد قال بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة محمد بن المواز من أصحابنا فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب ، واختاره ابن العربي للحديث الصحيح : إن الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك ؟ فعلم الصلاة ووقتها فتعينت كيفية ووقتها .

وذكر الدارقطني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أنه قال : لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم .

وروي مرفوعا عنه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والصواب أنه قول أبي جعفر ، قاله الدارقطني .

الخامسة : قوله تعالى : عليه وسلموا ، قال القاضي أبو بكر بن بكير : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه .

وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره .

وروى النسائي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه ، فقلت : إنا لنرى البشرى في وجهك ! فقال : إنه أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا .

وعن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما منكم من أحد يسلم علي إذا مت إلا جاءني سلامه مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام فأقول وعليه السلام

ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله

ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمي السلام .

قال القشيري والتسليم قولك : سلام عليك .

تم بعون الله وفضله